

العدد الخامس عشر

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

«تصدر مرة كل سنة»


مجلة
كلية الآداب
والعلوم الإنسانية



كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الرباط

العدد الخامس عشر

1989 - 1990



المحتويات

بحوث أساسية

دراسات وعروض بيبليوغرافية

بحـوث أساسيـة

التأويل النَّسَبي (الجينيالوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه ؟

صدقي علي ءازايكو
كلية الآداب - الرباط

يبدو أن كل المشاكل التي يطرحها البحث التاريخي لم تجد بعد حلولها النهائية، وكيفما كان الأمر، فالحلول التي يتوصل إليها قلما تكون نهائية، ذلك لأن المعارف التاريخية نسبية أساسا، هذا من جهة، ولأن تأثير الحاضر على الكتابة التاريخية كبير جدا من جهة أخرى. فكل مكتوب تاريخي لا يمكن أن يكون - نتيجة لذلك - الا قراءة معادة لماض يصعب احتواؤه في شموليته. قراءة تتم تحت ضغط الحاضر والاندفاع أو الإرادة الإيديولوجيين.

هذا لا يعني طبعا أن كل الدراسات التاريخية المنجزة مجردة من كل موضوعية. لأن من بينها دراسات لا تعتبر فقط مساهمة قيمة في اكتشاف ماضي الإنسانية، بل هي كذلك وسائل ساعدت على التعرف على الكيفية التي تمكن بها الإنسان من دمج ماضيه المتعدد في حاضره الدائم السير نحو المستقبل.

إن القصد من هذا العرض هو إثارة انتباه الباحثين إلى وجود إمكانية إعادة التفكير في تاريخ المغرب، وفي تاريخ شمال إفريقيا ككل، تحت أضواء جديدة. ذلك لأن التفسير النَّسَبي أو الجينيالوجي لهذا التاريخ ينبغي - في نظرنا - الإقلاع عن اعتباره الأساس الوحيد الذي لا يناقش، لكل تاريخ الشمال الافريقي.

إن الفرضيات التي سنعرضها هنا حول هذا الموضوع، لا تطمح إلا إلى إثارة مناقشة مثمرة بين الباحثين، والدفع بهم إلى البحث عن وسائل وثائقية أخرى تغني معارفنا عن ماض لا تزال ديناميكيته العميقة مجهولة لدينا.

تحول تاريخي

يعتبر الفتح الإسلامي، رغم المصاعب الأولى الناتجة أساسا عن «الأخطاء السياسية لجيوش الفتح»،[1] يعتبر بالنسبة إلى إفريقيا الشمالية بداية تحول تاريخي لم يسبق له مثيل. هذا التحول التاريخي لم يؤثر في توجيه مستقبل الأمازيغ فحسب، بل حكم على ماضيهم بما يشبه الانمحاء التام. فتاريخ شمال إفريقيا سينقسم من الآن فصاعدا إلى عهدين يتناقضان ويتنافيان ضمن تاريخ واحد، دون أن تحدث مع ذلك قطيعة كاملة تحول دون وقوع الاستمرار الحتمي بين العهدين، وبذلك أصبح هذا التاريخ السجين الدائم للحظة الفتوحات.

إن اعتناق شمال إفريقيا للإسلام سيؤدي بالفعل إلى تغيير اتجاهها على المستوى الديني على الأقل، عن الطريق الذي كانت تنهجه في عصر الاحتلال الروماني،[2] فإذا كانت الديانة المسيحية لم تُغر إلا قسما من الأمازيغ، رغم الطول النِّسبي لفترة وجودها في إفريقيا الشمالية، فإن الإسلام - على العكس من ذلك - تمكن خلال فترة أقل، من الحصول على انخراط نسبة كبيرة من السكان، وسيصبح بعد ذلك دين الجماهير الواسعة. والأساس الإيديولوجي لكل الأنشطة السياسية، وسيصبح كذلك الأساس الذي تحدد انطلاقا منه مواقف معتنقيه تجاه الآخر. وسيكرس بصفة نهائية الصبغة الصراعية للعلاقات بين ساحلي البحر الأبيض المتوسط : أحدهما مسلم والآخر مسيحي. هذا الصراع الثنائي سيكون هو العامل المهيمن في كل تاريخ شمال إفريقيا الخارجي حتى حدود القرن العشرين.

من جهة أخرى سيؤدي اعتناق سكان إفريقيا الشمالية للدين الإسلامي إلى وقوع تغييرات مختلفة مست ميادين جد متنوعة من حياة الأمازيغ. وهكذا نجد - كمثال على ذلك - أن من بين كل أسماء المجموعات البشرية التي تعرفنا عليها بفضل المصادر الاغريقية - اللاتينية، لم تنقل إلينا المصادر الإسلامية إلا قلة قليلة منها.[3] وهكذا نلاحظ أن أسماء مثل : مور (Maures)، أوتولول (Autololes)، نوميد

---

1) انظر : – Magali Morsy, «Réfléxion sur le système politique marocain dans la longue durée historique»; in L'espace de l'Etat. Réflexions sur l'Etat au Maroc et dans le Tiers-Monde, (collectif), Rabat, 1985, p. 106.

انظر كذلك : – A. Bel, La Religion Musulmane en Berbérie, Esquisse d'histoire et de Sociologie religieuses, Tome I, Paris 1938, p. 401.

2) للتعرف على أسباب سرعة انتشار الإسلام في شمال إفريقيا، انظر مقال M. Morsy المشار إليه أعلاه.

3) مثل : ...Libyens, Mazices, Gétules؛ قارن مع: J. Desanges, Catalogue des tribus africaines de l'Antiquité classique à l'ouest du Nil, Dakar, 1962, p. 10

(Numides)، كَارامنت (Garamantes)، ماسيل (Massyles)، ماساييسيل (Masaesyles)... قد حلت محلها أسماء أخرى مثل : زناتة وصنهاجة ومصمودة...[4] هذه الأصول الثلاثة - في زعم مؤرخينا القدامى - هي التي ينتمي إليها مجموع سكان شمال إفريقيا الأمازيغيين.[5] تغيير على المستوى الإيديولوجي، تلاه تغيير على مستوى الأسماء؛ هذه ملاحظة قد لا تفسر كل شيء. ولكن ينبغي القول بأن هذا التغيير فرض القيام بإعادة تحديد تاريخ بكالمه، تاريخ بقي تياره العميق، رغم كل شيء - وفيا لنفسه. وهكذا احتلت مسألة الأصول، مثلا، مكانة بارزة في اهتمامات الاختصاصيين مع كل ما يسبق ذلك - بطبيعة الحال - من الخلفيات الإيديولوجية الممكنة.[6] غير أننا نعتقد كذلك أن التطور الداخلي للمجموعات المعنية، يمكن أن يكون أصل انقلاب عميق في أنظمة التحالفات، أدى إلى ظهور أسماء جديدة للمجموعات مثل : إِمْصْمُودّنْ، إيـزْنَـاكْنْ، وَإِيـزْنَـاتْنْ.[7] هذه الأسماء الثلاثة الكبرى، كانت تطلق على كيانات سوسيولوجية وسياسية جد نشيطة، وبالفعل فإن تاريخ المغرب الإسلامي كان، في أعظم لحظاته مجدا، من صنع الأسر الثلاثة التي تنتمي، كل منها على حدة، إلى تلك الكيانات الثلاثة.

---

4) عند مقارنة المصادر الإسلامية بالمصادر الاغريقية - اللا تينية، يلاحظ أن هذه الأخيرة، لا تحتوي على تفاصيل كافية عن المجموعات البشرية وتقسيماتها في شمال إفريقيا. إن كثرة المادة النسبية المتعلقة بالأمازيغ في الأدب التاريخي المكتوب في العصر الإسلامي، يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هؤلاء الأمازيغ كانوا يهتمون بأنسابهم قبل إسلامهم بكثير.
حول هذا الموضوع انظر مقالنا : **النسب والتاريخ وابن خلدون**، المنشور في **«مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية»**، العدد الحادي عشر، الرباط، 1985، ص 47 - 83؛ انظر كذلك : G. Camps, **Berbères, Aux marges de l'histoire**, Ed. des Hespérides, 1980. pp. 120 sqq..

5) انظر على سبيل المثال : - Ibn Khaldun, **Histoire des Berbères**, trad. Slane, (1925), t. I, pp. 167 sqq.

6) انظر ابن خلدون، **المرجع السابق**، ص 167 وما بعدها؛ **ومفاخر البربر**، لمجهول، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم د 1020، وابن عبد الحليم، **كتاب الأنساب**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم ك 1275؛ انظر كذلك :
– J. Berque, **Structures sociales du Haut – Atlas**, Paris, 1955, p. 420.
– G. Camps, **op. cit**, pp. 26 sqq.
– Marcel Simon, « **Le Judaïsme berbère dans l'Afrique ancienne** », in Revue d'histoire et de philosophie religieuse, XXVI, 1946, pp. 1-31, 105-145

7) هذه مسألة نلاحظها في شمال إفريقيا، انظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج **I** ص 251؛ انظر كذلك : – **R. Montagne, Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, p. 70.
– F. de La Chapelle, « **Les Tribus du Haute montagne de l'Atlas Occidental** », in Revue des études islamiques, Année 1928, Cahier III, p. 350-351.
– J. Desanges, **Catalogue...**, p. 10.

يلاحظ كذلك أن من بين أسماء المرابطين والموحدين والمرينيين نجد أن هؤلاء الأخيرين هم وحدهم الذين احتفظوا باسم الجد الأعلى في تسمية أسرتهم. ومعنى ذلك أن الأسماء بدأت تنزلق من العرقي في اتجاه الإيديولوجي. وهذا يشير، في نظرنا، إلى أن العقلية القبلية شرع في تجاوزها منذ ذلك الوقت.[8] وبظهور السعديين الشرفاء وانتشار الحركات الصوفية، قضي بصفة نهائية على لعبة الكونفدراليات التي كانت من قبل الوسيلة الأساسية للتجديد السياسي.[9] إن الأسماء الثلاثة الكبرى : إيزناتن، امصمودن وإيزناگن، لم تعد تمثل جغرافيا وسوسيولوجيا إلا واقعا مجزأ، ولم تعد تملك أية سلطة على مجرى الأحداث. غير أن التاريخ يحتفظ لنا عنها بذكرى زاهية لا تموت. ويشعرنا بصفة خاصة بأن تلك الكيانات الثلاثة كانت مؤهلة منذ زمن طويل، إلى الانخراط في التاريخ الوطني والإنساني تحت راية النموذج الإسلامي في الحكم.[10]

القالب النَّسَبِي (الجينيالوجي) نموذج إدماجي

إذا كانت المصادر الإسلامية قد أجمعت على إعطاء تفسير جينيالوجي لأصول مجموع سكان المغرب،[11] فإنه بالإمكان اعتبار هذا المجهود من وحي النموذج الجينيالوجي السامي.

وفي هذا الموضوع كتب عبد الوهاب بن منصور ما يلي : «وقد اضطربت أقوال المؤرخين في نسب هؤلاء الكنعانيين، وسبب اختلافهم اعتماد بعضهم على **جدول الأنساب الوارد في التوراة**، وشك بعضهم الآخر في صحته وسلامته من التحريف.

---

8) انظر : M. Morsy، المرجع السابق، ص 107.

9) انظر : Histoire du Maroc, (Collectif), 1967, pp. 199 sqq – انظر كذلك : محمد القبلي، **مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور الدولة السعدية**، المنشور في «مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية»، عدد 3 ـ 4، الرباط. 1978 ص 33 وما بعدها، 44.

10) هذا شيء مشهود بوجوده قبل العصر الإسلامي؛ انظر :

– M. Morsy, op. cit, pp. 94 sqq.

– Ibn Khaldūn, op. cit. (1927), t. II. pp. 160 sqq. et passim.

11) بخصوص إمْصْمُدْنْ (مصمودة)، انظر : ابن عبد الحليم، المرجع السابق، ص 25 وما بعدها؛ انظر كذلك :

– Ibn Khaldūn, op. cit, (1925), t, I, pp. 167 spp.

– G. Camps, op. cit, pp. 26 sqq. 120 sqq.

– F. Decret / M. Fantar, L'Afrique du Nord dans l'Antiquité des Origines au V[e] siècle, Paris, 1981, pp. 33 sq.

وهذا الجدول الوارد في الإصحاح العاشر من سفر التكوين هو الذي قسم الأسرة البشرية إلى آل سام وآل حام وآل يافث (...). **وممن اعتمد جدول التوراة في الأنساب العلامة ابن خلدون** الذي يعتقد أن التحريف الذي وقع فيها إنما هو بالتأويل لا بتبديل الألفاظ...» (قبائل المغرب I، 1968، ص 256).

إن تعميم هذا النموذج، واعتباره العامل الوحيد المحدد للحركية (الدينامية) المجتمعية، وبصفة خاصة عند المصامدة الذين نعرفهم مزارعين مستقرين منذ أمد بعيد،[12] ليعتبر ـ في نظرنا ـ عملية إدماجية عميقة لم يسبق لتاريخ شمال إفريقيا أن عرف لها مثيلا[13] خصوصا إذا علمنا أن التأويل التاريخي يصبح، حين يتم، جزءا لا يتجزأ من التاريخ. ذلك لأن الواقع التاريخي كما نعرفه من خلال المصادر والمراجع لا ينطبق تماما على الواقع كما عاشه الإنسان فعلا في الماضي ومع ذلك فإن تحكم الأدب التاريخي في السيرورة التاريخية للمجتمعات البشرية لا يمكن الاستهانة به بأية حال. فالماضي حينما يكون «معروفا» بأي شكل من الأشكال، فإنه يصبح جزءا لا يتجزأ من الحاضر، ويؤثر كثيرا أو قليلا على أنماط التفكير وردود الفعل العملية للأفراد والجماعات. «أن هذه القيم [الثقافية] نكتشفها أولا كشيء ينتمي إلى فئة الآخر، حينما نلقاها كقيم «كانت موجودة» عند أناس الماضي، داخل حضارات ومجتمعات منقرضة، ولكن في حالة ما إذا بيننا أننا قادرون على الإمساك بها وفهمها، فانها

12) انظر على سبيل المثال :

– G. Camps, op. cit, p. 21.

– R. Montagne, op. cit, p. 36.

– J. Berque, op. cit, p. 420.

– Ch. A. Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1975, T.II, p. 24.

13) اننا لا نطمس في دور القرابة كعامل يدخل في تكوين التلاحم المجتمعي لدى الشعوب القديمة. ولكننا نعتقد أن ظهور تكوينات واسعة كالكونفدراليات واللف، عند المصامدة على الأقل، دليل على أن القرابة الدموية لم يعد لها دور فعال إلا على مستوى التكوينات المجتمعية الصغيرة (الأسرة أو العائلة الموسعة مثلا).

– R. Montagne, op. cit, pp. 164 sqq. 182 sqq. : انظر

– M. Morsy, op. cit, p. 96.

– cf. notre article : « Sur la théorie de la segmentarité appliquée au Maroc », in Hespéris – Tamuda, vol. XXIII, Fax. unique, Rabat, 1985, pp. 105-128.

– Ibn Khaldūn, op. cit, (1925), t.I, p. 179.

– J. Berque, op. cit, p. 420.

– Ch. – A. Julien, op. cit, t.II. p. 22.

– Marcel Simon, op. cit, pp. 8 sqq.

تستعيد الحياة فينا وتكتسب، إن شئنا القول، حقيقة جديدة، وتاريخية (Historicité) ثانية داخل فكر المؤرخ والثقافة المعاصرة التي يدمجها فيها هذا الأخير».

(H. I. Marrou, De la connaissance historique, coll. Poits, 1975, p. 242) إن عواقب تكييف تاريخ مع تاريخ آخر، عواقب وخيمة وبعيدة المرمى. وبالفعل فإن معنى هذا التاريخ يصبح بذلك عرضة للتعديل. فاستعمال الطريقة الجينيالوجية يطرح بالضرورة إشكالية الأصول البعيدة للسكان. وهذا يعني بالطبع أن هذه الأصول تصبح موضوعاً للمناقشة في فترة تعتبر مرحلة انتقالية مضطربة جداً. ويصبح الموضوع، نتيجة لذلك، فرصة مثلى للمزايدات بخصوص ماض يعاد تعريفه انطلاقا من ملابسات ظروف الحاضر. وبعبارة أخرى فإن كل أنواع المصالح تتدخل لتخلق حالات فردية وجماعية تتكيف مع الظروف الجديدة. فتتضافر الإرادة الإدماجية لدى المنتصرين وهم أقوياء إيديولوجيا، مع الطموحات الفردية عند المنهزمين وهم أعزال معنويا، لتحدث «خسائر» هائلة سيبقى مفعولها على الدوام.

إرادة الادماج من جهة، والرغبة في الاندماج من جهة أخرى، تلتقيان إذن لإرضاء تلك الإرادة وتلبية هذه الرغبة وذلك بخلق أسس جديدة لتاريخ وقع تصوره بهدف حسم ما يشهد فيه بالاختلاف، أي ما يمكن أن يعرقل مشروع المستقبل.

ويبدو أن هذه الغاية هي التي حددت أفق النقاش الكبير الذي دار حول مسألة الأصول الشرقية للأمازيغيين، ومسألة افتراض نبلهم أو وضاعتهم حسب الظروف، وحول إعادة تكييف رموزهم المجتمعية ـ الثقافية بصفة عامة.[14]

التأويل الجينيالوجي نِسبي

إن التأويل الجينيالوجي لتاريخ المغرب، بل لتاريخ شمال إفريقيا، الذي اعتبر إلى حد الآن التفسير الممكن الوحيد، يمكن ـ على ما يبدو ـ أن ينال منه النقد. «...وبالفعل ـ يقول Jehan Desanges ـ فإننا لا نعرف عمليا أي شيء عن روابط الأصل

---

14) انظر ماكالي مورمي، المرجع السابق، ص 107، كل المصادر الإسلامية تقريبا تعكس صدى ما راج حول هذه المسألة من نقاش؛ انظر :

- F. Decret / M. Fantar, op. cit, pp. 33 sqq.
- Ibn Khaldûn, op. cit, (1925), t.I. pp. 167 sqq.
- Anonyme, Mafâkhir al-Barbar, ms. B.G. Rabat, n° D 1020, p. 58.
- J. Berque, op. cit, p. 420.
- Marcel Simon, op. cit, pp. 8 sqq.

أو المصلحة التي كانت تجمع بعض القبائل بشكل متين. إذ ليس هناك أي كاتب من القدامى سبق له أن اقترح علينا جينيالوجيا تشبه التي شيدها ابن خلدون في كتابه **تاريخ البربر**».[15]

فبخصوص مصعودة مثلا، يبدو أنهم كانوا يكونون منذ أقدم العصور مجموعات مجتمعية ـ سياسية واسعة، وليس هناك أي دليل يثبت أن أساس وحدتها كان مستمدا من الروابط الدموية وحدها.[16] وعلى العكس من ذلك نعتقد أن زناتة وفرقا من صنهاجة، كان نظامها يرتكز على روابط القرابة بين مختلف المجموعات.

أسباب هذا الاعتقاد يمكن تلخيصها كما يلي :

1) لقد لاحظنا من خلال دراسة أخرى سبق نشرها أن جل النسابين الأمازيغ المشهورين، كانوا ينتمون إلى الشعب الذي اصطلح على تسميته **بالبتر**[17] كما لاحظنا أن التفاصيل الجينيالوجية التي توفرها مختلف المصادر المعروفة بخصوص البتر أكثر من التي تعطيها على كل المجموعات الأخرى.[18]

2) إن تفسير هذا الواقع يمكن أن نجده فيما يلي : لقد ذكر ابن خلدون[19] أن أجداد إيزناتن أو زناتة وإخوآنهم، وكلهم من البتر، كانوا يعيشون حياة الترحال في القسم الشرقي من إفريقيا الشمالية، غرب البلاد المصرية. وزناتة أنفسهم يقدمهم لنا التاريخ تارة رعاة إبل يمارسون الترحال البعيد[20] أو رعاة غنم، مجالات ترحالهم محدودة، تارة أخرى.[21] لذلك يمكن القول بأن نمطهم في العيش ووضعية بلادهم

---

15) انظر :

– J. Desanges, Catalogue..., p. 10

– F. Decret / M. Fantar, op. cit, pp. 33 sqq.

– G. Camps, Berbères..., pp. 120 sqq.

16) نعتقد أن هذا كان عاما عند مزارعي كل المناطق الجبلية في إفريقيا الشمالية. انظر :

– R. Montagne, op. cit, pp. 26 sqq.

– J. Berque, op. cit, pp. 63 sqq. 420 sqq.

– SADKi Ali, Sur la théorie segmentaire..., pp. 112 sqq.

17) انظر مقالنا : النسب والتاريخ وابن خلدون المشار إليه سابقا ص 67 وما بعدها. (هامش 4).

18) المرجع نفسه، ص 67 وما بعدها.

19) تاريخ البربر (بالفرنسية)، 1925 ج I، ص 170، 172، 226، 228، 232.

20) انظر :

– Ch. A. Julien, op. cit, II, p. 23.

وحول لواتة إخوان إيزناتن انظر :

– G. Camps, op. cit, pp. 124 sqq.

21) انظر :

– Ch – A. Julien, op. cit, t.II, p. 164.

الجغرافية ساهما في جعل روابط القرابة هي التي تتحكم إلى حد ما في تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية.

ومع ذلك ينبغي أن نشير إلى أن «كل مجموعة [سواء كانت من الرحل أو من المستقرين] قد يكون تكوينها لا من الأقرباء ولكن من أناس لهم نمط عيش واحد».[22] لكن هذا لا يغير في شيء المفهوم الشامل الذي تكونه كل مجموعة عن نفسها. وبصفة عامة يغلب التصور الجينيالوجي عند القبائل الراحلة.[23]

أما عن دور الوضعية الجغرافية للبلاد الأصلية لزناتة فإنه يكتسي أهمية خاصة، لأن قرب البلاد من مراكز الإسلام في الشرق، وخاصة مصر، جعلهم - قبل غيرهم - على اتصال بالمسلمين الأوائل، وبالتالي أكثر عرضة للتأثر بالنظرة الشرقية إلى التاريخ. خصوصا إذا علمنا أن مسألة الأنساب أعطيتها أهمية كبيرة في أوائل العهد الإسلامي، وقد يكون انتشار بني هلال في شمال إفريقيا عاملا ساعد أكثر على تركيز فكرة الجد الا على الوهمية، لذلك شهد هذا العصر عملية إدماجية واسعة[24] داخل النسق النسبي المعروف في الشرق.

3) نظرا لكون شمال إفريقيا كانت - منذ القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل[25] قد أقحمت فيما سماه Lévi Strauss «حقل الأعمال المتداخلة القوية»[26] (Le champ des interactions fortes)، فإن قسمها الشرقي كان قد عرف تقلبات

22) المرجع نفسه، ص 22.

23) انظر مقالنا النسب... ص 74 وما بعدها، وكذلك :

- G. Tillion, Le Harem et les cousins, Paris, 1966, pp. 135 sqq. 147 sqq.

- J. Berque, « Qu'est-ce qu'une « tribu » nord-africaine »? in Maghreb histoire et société, S.N.E.D. et Duclot, 1974, pp. 23 sqq.

- J. Berque, Structures..., p. 420.

24) انظر :

- J. Berque, Structures..., p. 420.

- G. Camps, Berbèrés..., p. 121.

25) انظر :

- Ch - A. Julien, op. cit, t.I, pp. 66 sq, 138, 160, 198 et passim.

- G. Camps, Berbères..., 122 sqq.

- A. Laroui, L'histoire du Maghreb, Paris, 1970, p. 44 et passim.

- Encyclopédie berbère, I, Edisud, 1984, pp. 22 sqq.

26) «وتكمن في الهجرات، والأوبئة، والثورات، والحروب، التي تقع من حين لآخر، على شكل هزات عميقة تتولد عنها نتائج كثيرة ودائمة المفعول». من مقالة :

« Le temps du mythe », in Annales E.S.C, 26e année, nos 3 et 4, Mai - Août 1971, p. 539.

عميقة.[27] فقد كان بالفعل أول منطقة عرفت نتائج الغزو القرطاجي والروماني ثم الوندالي فالبيزانطي. كما عرفت أخيرا نتائج الفتوحات الإسلامية.

هذه الأحداث كانت ولا شك سببا في دفع سكان هذه المناطق إلى الدخول في حركة تنقل دائم في اتجاه الغرب.[28] يمكن أن يكون هؤلاء إذن هم الذين نشروا في المناطق التي مروا بها نمط نظامهم المجتمعي ـ السياسي.[29]

وقد تكون مجموعات أخرى من الرحل مثل إيڭوزولن أو جزولة وإيزناڭن أو صنهاجة أو قبائل البدو العربية، قد ساعدت هي بدورها في تثبيت «المفهوم الأبوي السائد عند المشارقة، والذي كان الفينيقيون قد أدخلوه من قبل عند البربر».[30]

4) وإذا كنا قد افترضنا في مقال آخر أن الأمازيغيين كانت لهم اهتمامات بالأنساب قبل الإسلام[31] فإننا كذلك نعتقد أن وضع أول مؤلف في أنسابهم لم يتم إلا بعد فتح الأندلس مباشرة[32] وبالفعل فإن عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم صاحب «كتاب الأنساب»[33] يذكر أن أول كتاب في أنساب الأمازيغ جمع بإيعاز من بعض العلماء من التابعين.[34] الذين قالوا لهم : «ظلمتم أولادكم الذين ولدتم هاهنا، يكبرون ولا يعرفون أنسابهم».

وجه هذا الكلام حسب «كتاب الأنساب» إلى أناس كانوا في الأندلس ولكن أصلهم من إفريقية، عرفنا ذلك لأنهم أرسلوا بعد ذلك بعض فقهائهم إلى أفريقية، واتصلوا هناك بالطاعنين في السن من مواطنيهم، وكتبوا في كتاب ما جمعوه من

---

27) انظر :

- A. Laroui, op. cit, p. 44 sqq.
- G. Camps, op. cit, pp. 122 sqq, 169 sq.

28) انظر :

- Encyclopédie berbère, I, p. 22

29) انظر :

G. Camps, op. cit, p. 122.

30) نفس المرجع، ص 121؛ انظر كذلك :

- Marcel Simon, op. cit, pp. 10 sqq.

31) النسب... المشار إليه أعلاه، ص 59 وما بعدها.

32) المرجع نفسه، ص 59.

33) مخطوط الخزانة العامة المشار إليه سابقا، ص 20؛ انظر محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج I الدار البيضاء 1983، ص 18.

34) «علماء التابعين» المصدر السابق، ص 20.

معلومات حول أنسابهم[35] وبما أننا أشرنا أعلاه إلى أن القسم الشرقي من إفريقيا الشمالية كان مواطن المجموع الزناتي مع إخوانهم، يمكن أن نفترض أن هؤلاء ـ نظرا لكونهم سبقوا غيرهم إلى الدخول إلى الإسلام ـ كانوا يكونون أغلبية جنود طارق بن زياد، وبالتالي أغلبية المقيمين الأمازيغ بالأندلس.[36]

5) لكي نلخص ما سبق، نقول : إن سكان إفريقيا الشمالية الشرقية، وهم رحل في غالبيتهم، كانوا ينتظمون بنظام مجتمعي ـ سياسي أبوي (Patriarcale). ولكن هذا لا يعني أن النظام المذكور كان يرتكز على علاقات قرابة «صافية» أو جامدة كما هو الشأن عند البدو المنقطعين في ربوع الصحراء.[37] ذلك لأن سكان إفريقية الشمالية الشرقية كانوا دوما في قلب الأحداث الكبيرة التي تهز منطقتهم في أغلب الأحيان.[38]

وبقدوم العرب المسلمين، في عصر كانت فيه الأنساب تحتل الصدارة[39] عمل الأمازيغ على اقتناء النموذج الجينيالوجي أو النسبي السامي كمؤسسة فريدة لتوحيد مختلف المجموعات. أو كنموذج لتفسير واقع مجتمعي معقد، فرضت عليه الظروف المستجدة توجيها تأويليا يتلاءم مع الذي حمله العرب معهم.[40]

---

35) المصدر السابق، ص 20؛ لم ننتبه إلى هذه الملاحظة في مقالنا عن النسب...، لاننا ظننا خطأ أن كلمة إفريقية تعني عند مؤلف كتاب الأنساب مجموع شمال إفريقيا، مع أننا نعرف أن إفريقية كانت في ذلك العصر تعني تونس الحالية تقريبا.
أما مسألة الأصول الشرقية للأمازيغ، فإنها كانت مطروحة، لأسباب دينية، قبل مجيء الإسلام بكثير. لأن الدعاية اليهودية والمسيحية كانت تستغلها على الدوام لإدخال الأمازيغ في إحدى الديانتين المذكورتين. انظر عن هذا الموضوع مقال مارسيل سيمون المشار إليه سابقا ص 16 وما بعدها.

36) انظر ابن خلدون، **المصدر السابق** (بالفرنسية) 1925، ج I، ص 198، 210، 212، 216، 237، 259، وأماكن أخرى منه؛ صدقي علي : النسب... ص 70؛ في هذه الحالة، لم يكن سكان المغرب الأقصى، على رأي الأستاذ محمد المنوني (المصادر... ص 18) أول من كتب في مادة الأنساب في شمال إفريقيا. إذا قبلنا ما ذهب إليه محمد المنوني (في النسب... ص 59)، فاننا أكدنا في نفس الوقت على الطابع الخفي للأسباب التي دفعتهم إلى القيام بذلك.
انظر كذلك : ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب** تحقيق عبد المنعم عامر 1961، ص 270، 271، 274؛ ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج I ط 3، 1983، ص 43.

37) انظر صدقي علي، النسب...، ص 75 وما بعدها؛ ابن خلدون، **المقدمة**، ط 4 بيروت 1978 ص 129، 130.

38) انظر :

- G. Camps, op. cit, pp. 112 sqq, 122 sqq.
- Ch – A. Julien, op. cit, t.I, pp. 53-54; t.II, p. 22.

39) انظر صدقي علي، النسب... ص 50 وما بعدها.

40) مما يزيد من صحة هذا الرأي أننا نجد داخل نفس المجموعات البشرية فرقا تدعي الانتماء إلى أصول مختلفة (أمازيغ أو عرب). إذا كان ثلاثة من كبار النسابين المشهورين، المنتمين إلى القسم المسمى بالبتر، يزعمون أن البتر أبناء بر =

في الوقت الذي كان فيه الزناتيون يتجهون نحو الغرب عند بداية الفتوحات الإسلامية،[41] كانوا يتوفرون على كثير من المزايا : كالعصبية المتلاحمة، والمهارة الحربية، والوعي السياسي المتنامي[42] والشجاعة الظاهرة في مواجهة الممثلين المحليين للسلطة الأموية... هذه المزايا قد تكون هي التي ساعدتهم ـ أثناء توسعهم في اتجاه الغرب ـ على نشر النموذج الجينيالوجي أو النسبي.

إن النمو الكبير الذي عرفه علم الأنساب في القرن الرابع عشر، في عهد الدولة المرينية التي أسسها الزناتيون الآتون من إفريقيا الشمالية الشرقية، ليس من باب الصدف العادية.

هذا العهد هو بالفعل عهد ابن خلدون، مؤلف أكبر عمل جامع في ماضي إفريقيا الشمالية، والذي ركز كل تفكيره ـ كما هو معلوم ـ على التفسير النسبي ودور العصبية في الدينامية التاريخية.[43]

ولكن دور ابن خلدون قد يكون منحصرا في الدفع إلى أقصى الحدود، بتقليد كان موجودا منذ القدم. وحول هذه النقطة أكد Marcel Simon، أن التقاليد اليهودية هي التي نمت ونشرت فكرة الأصل المشرقي للأمازيغيين، وتبعا لذلك، التفسير الجينيالوجي لتاريخهم. وهذا ما قاله : «أن يكون المؤلفون العرب والمسيحيون مدينين للتقليد اليهودي [بخصوص هذه المسألة]، هذا أمر ليس فيه أدنى شك، فالتشابه الحاصل حتى في البدائل، عند هؤلاء وأولئك له دلالته. وأن تكون الأسطورة من أصل يهودي، فهذا أمر لا يحتاج إثباته إلى مزيد من الحجج. إننا نعتقد أنها تكونت في عين المكان [أي في إفريقيا الشمالية]، كما أن ملابسات تكوينها وموضوعها واضحان كذلك، لقد ولدت في عصر كانت فيه اليهودية تنتشر في إفريقيا، فمن الواجب عليها إذن أن تعطي البربر الذين اعتنقوا اليهودية أو المرشحين لاعتناقها شرف الانتماء إلى نبلاء التوراة، وتساند دعاية اليهود المبشرين» (المرجع السابق، ص 18).

= بن قيس (انظر ابن خلدون تاريخ البربر (بالفرنسية) 1925، ج I، ص 169، 178)، فإن ذلك يعني بكل بساطة أنهم اختاروا أصلا يقربهم من العرب.
انظر كذلك صدقي علي، النسب...، ص 70 ـ 71 تعليق 99، ومارسيل سيمون، المرجع السابق ص 18 وما بعدها.

41) عن مكناسة مثلا، الذين التجأوا إلى المغرب الأقصى «للإفلات من انتقام عقبة بن نافع» انظر ابن خلدون تاريخ البربر (بالفرنسية) 1925، ج I، ص 198.

42) إذا كانوا أول من واجه الجيوش العربية، وأول من صمد أمامهم مدة طويلة، وأول من اعتنق الدين الإسلامي ليصبحوا بعد ذلك جنود الإيمان في إفريقيا الشمالية وإسبانيا... فإن ذلك كله هو الذي مكنهم من اكتساب هذا الوعي وذلك التسييس: انظر صدقي علي، النسب...، ص 71 والتي بعدها.

43) انظر صدقي علي، النسب...، ص 47 والتي بعدها، 78 وما بعدها.

إن هذه المشاغل نفسها، نعتقد أنها كانت، في العصر الإسلامي، وراء نمو المزايدات حول الأصل المشرقي للأمازيغ، وخاصة منهم الزناتيين وقسما من صنهاجة.

التأثير الحاسم للجغرافيا واقع حقيقي

في شمال إفريقيا كثيرا ما ينسى التأثير الحاسم للجغرافيا على نشاط الإنسان، وتأثير أنماط العيش على ثقافته،[44] فالنسب البيولوجي ـ الذي لا ينبغي إهماله بطبيعة الحال ـ ليس هو العامل الوحيد الذي يتحكم في تحديد مجموع المسميات المجتمعية داخل مجموعة معينة. لأن التفسير النسبي (الجينيالوجي) لتاريخ المجموعات البشرية والشعوب هو أساسا تفسير مؤسسي اصطلاحي، يتجاهل تماما المحيط المادي وأثره الكبير في تكييف المجتمعات.

من البديهي أن لكل درجة من درجات نمو مجتمع ما، نظاما للمقاييس وسلما للقيم، ومن هنا يأتي اعتقادنا بأن الاستقرار والترحال، لا يمكن أن تكون لهما نفس العلاقات مع الوسط الإيكولوجي أو البيئي والمجال الجغرافي. وبالتالي فإن تداخل وتفاعل الوقائع الجغرافية والمجتمعية لا يمكن أن يكون واحدا في الحالتين معا.

فإذا كانت أنماط العيش المختلفة تستوجب بالضرورة أشكالا تنظيمية ملائمة، فإن نظام القيم قلما يكون متشابها في الوضعيتين معا.

تقدم لنا المصادر الإسلامية المصامدة، سكان الأطلس ومجموع القسم الغربي من المغرب الحالي،[45] كفلاحين مستقرين منذ قرون طويلة.[46] وحول هذه النقطة كان رأي هيرودوت واضحا، فبالنسبة إليه توجد : «ليبيا الشرقية (حيث) يسكن الرحل،

44) هذا التأثير الحاسم له هنا، بصفة خاصة، أهمية قصوى ودور فاصل، نظرا لوجود منطقة صحراوية في الجنوب وأخرى خصبة في الشمال. الأولى يجوبها الرحل في حين يحتل الثانية مزارعون مقيمون؛ انظر :

- G. Camps, op. cit. p. 20.
- Ch - A. Julien, op. cit, t.II, p. 24.

45) انظر :

- al - Bakri, Description de l'Afrique septentrionale, trad. de Slane, Paris, 1965, pp. 117, 129, 205, 207, 209, 210, 212 -218, 224, 227, 265, 270, 303.
- al - Idrisi, Description de l'Afrique septentrionale et saharienne, pub. par H. Peres, Alger 1957, pp. 35, 39, 41, 43, 45, 49, 54, 55, 106.
- Ibn Khaldūn, Histoire..., trad. (1927). t.II pp. 124 sqq; t.I (1925), p. 194.

46) انظر :

- Ibn Khaldūn, Histoire..., trad. (1927), t.II, pp. 124 sqq. 158 sqq.
- G. Camps, Berbères..., p. 25.

عبيد الله صالح بن عبد الحليم كتاب الأنساب السابق الذكر، ص 28.

(وهي) منخفضة رملية إلى نهر تريتون (Triton)، والتي تقع غرب هذا النهر، ويسكنها المزارعون، (وهي) جبلية جدا وكثيرة الأشجار...»[47] في حين، يبدو أن الإسم الذي عرفنا به هؤلاء المزارعين في العصر الإسلامي اسم قديم جدا، وبالفعل فإن المصادر الإغريقية - اللاتينية تتحدث، من بين ما تتحدث عنه من شعوب ما يُكَوِّنُ المغرب الحالي القديمة، عن شعب ماكانيت (Macanites)[48] أو ماسنيت (Macénites)[49]، بل يحدد لنا بالضبط موقع بلادهم : «هذا الجبل [الأطلس] يوجد في بلاد ماكانيت على طول المحيط في اتجاه الشرق...»[50] في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، كون هؤلاء الـ ماسنيت مع الـ باقوات (Baquates) فدرالية كبيرة كانت تهدد وليلي (Volubilis).[51] هؤلاء الـ ماسنيت (Macénites) الذين افترض ريمون روجي (R. Roget) أنهم مكناسة،[52] يمكن أن يكونوا - في اعتقادنا - هم المصامدة،[53] الذين

47) من اقتباس :

– G. Camps, op. cit, p. 21.

48) انظر :

– J. Desanges, op. cit, pp. 33 sq.

– R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris 1924, pp. 37-41.

49) انظر :

– F. Decret / M. Fantar, op. cit, p. 183.

– R. Roget, op. cit, p. 41.

50)

«نحو الغرب غير بعيد عن المحيط» حسب رأي :

J. Desanges, Catalogue..., p. 33.

51) انظر :

– F. Decret / M. Fantar, op. cit, p. 183.

52) نفس المرجع، ص 48؛ انظر كذلك : J. Desanges, op. cit, p. 30، بما أن مكناسة فرع من إيزناتن (زناتة) الذين كانوا يحتلون المناطق الشرقية من المغرب الأقصى، فأننا نعتقد أن مجيئهم إليه وقع قبل القرن الثاني الميلادي؛ انظر :

– Ibn Khaldūn, Histoire..., trad. (1925), t.I, pp. 172, 198, 258 sqq.

– L'Encyclopédie de l'Islam (1975), t.I, p. 1209 b sq.

– R. Montagne, Les Berbères..., p. 28.

53) إننا نعرف أن المؤلفين القدامى يجدون صعوبات كبيرة في نطق وكتابة الأسماء ذات الأصل الإفريقي - الشمالي : «إن أسماء هذه الشعوب [شعوب إفريقيا] وأسماء مدنها جد صعبة النطق ما عدا في لغتهم...» Pline l'Ancien, in R. – Roget, op. cit, p. 29.

انظر كذلك : – G. Camps, Berbères..., p. 124.

ومع ذلك نعتقد أن اسم ماسنت (Macénites) يعتبر من أقرب الأسماء إلى النطق المحلي. وبالفعل فإن الحروف «م» و«د» يمكن، أن تنطق على التوالي «ن» و«ت»، يقع هذا ليس فقط عند الأجانب، ولكن عند الأمازيغ كذلك، نظرا لكون الحرفين كثيرا ما يقع الادماج بينهما. انظر :

(G. Marcy, « Essai d'une théorie générale de la morphologie berbère », in « Hespéris », 1931, t. XII, Fax. I pp. 50-90, Fax. II, pp. 177-203).

أقرتهم المصادر الإسلامية في نفس المواضع، مع التأكيد على كونهم سكنوها في عصور ما قبل الإسلام.(54)

إذا قبلنا أن الـ باقواتا (Les Bacuatae) الـذين تقع بلادهم حسب بطليموس (Ptolémée) في شمال بلاد الـ ماكانيت(55) هم أجداد برغواطة المشهورين،(56) يمكن الاعتقاد أن كونفدرالية الـ ماسانيت (أي مصاميد الكتاب المسلمين) كانت تضم، منذ القرن الثاني الميلادي، كل سكان الأطلس الكبير والسهول الواقعة جنوب نهر بوركَراكَ الحالي.(57) ورغم أن معلومات أخرى دفعت ج. ديزانج (J. Desanges) «إلى جعل موقع بلاد الـ ماسنيت غير بعيد عن المجرى الأعلى لنهر بوركَراكَ، شرق محور أزرو - خنيفرة بدون شك، والـ باقوات شمال الأطلس المتوسط حسب رأي M. Frézouls»(58) أقول رغم كل ذلك فإنه لا شيء يمنع من الاعتقاد بأن الـ ماسنيت كانوا يتوسعون في اتجاه الجنوب، والـ باقوات نحو الجنوب الغربي ليحتلوا في آخر المطاف كل السهول الأطلسية الواقعة شمال نهر أم الربيع.(59)

عرفت إفريقيا الشمالية إذن نمطين كبيرين من أنماط العيش، كانا يتلاءمان تماما مع الظروف الجغرافية والمناخية للبلاد، هذان النمطان رغم كل الملابسات التاريخية المعروفة، كانا - في نظرنا - لا يتنافيان على العكس مما يقال دائما

---

(54) انظر أعلاه، تعليق 45.

(55) انظر :

- R. Roget, op. cit, p. 37.
- J. Desanges, op. cit, pp. 28-29, 33-34.

(56) رغم اختلاف آراء الباحثين حول هذا الموضوع، فإن فرضية J. Carcopino الذي يعتبر أن الباقوات les Baquates وبرغواطة شيء واحد، تبدو لنا أقرب إلى الصحة؛ انظر : J. Desanges, op. cit, pp. 28 sqq

(57) انظر :

- J. Desanges, op. cit, pp. 29-30, 33.
- Ibn Khaldūn, Histoire..., trad. (1927), t, II, p. 125.

يعتبر هذا الأخير برغواطة «أقدم أمة من الجنس المصمودي».

(58) نفس المصدر، ص 30.

(59) انظر :

M. Talbi, « **Hérésie, acculturation et nationalisme des Berbères Bargauvata** », in Actes du premier congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence Arabo – Bérbère, S.N.E.D, Alger 1973, pp. 217-233.

إن توسع الباقوات المفترض يمكن أن يكون على أقل تقدير، عن طريق التحالفات بينهم وبين جيرانهم من جهة الجنوب الغربي.

بالحاح. لقد كانا متكاملين على النقيض مما هو شائع. وبما أن الرحل كانوا دائما يميلون إلى أن يصبحوا مستقرين، فإن واحدا من هذين النمطين حل ببطء محل الآخر.

فالرحل بهذا المعنى كانوا دائما في شمال إفريقيا بمثابة مصدر بشري احتياطي يضمن الاحتلال المستمر للأراضي الخصبة، كلما أدت الكوارث الطبيعية إلى إحداث نقص في عدد السكان المزارعين. ذلك لأننا نعرف أن الاكتساحات الكبيرة من قبل السكان الرحل لبلاد المستقرين لم تكن تتم إلا في فترات الأزمة، وقلما كانت مخربة، اللهم إلا في حالة عرب بني هلال، التي تعتبر حالة خاصة.[60] إن التداخل المستمر لهذين النمطين في العيش، يعتبر - في نظرنا - هو المسئول عن جعل الواقع التاريخي لسكان شمال إفريقيا واقعا معقدا إلى حد التشبيط.

من جهة أخرى نعتقد أن البحث ينبغي أن ينهج مسالك أخرى جديدة لتطويق هذا الواقع التاريخي بكل تعقيداته. ويبدو أن اللغة، من بين وسائل أخرى، تعتبر واحدة من أحسن الوثائق التي يمكن أن تساعد على تمهيد الميدان للبحث. لأن اللغة، أكثر من أي شيء آخر، غالبا ما تعكس ردود الفعل العميقة والدائمة للمجموعات البشرية، تجاه الطبيعة، ونتائج تأثير هذه على سلوكاتهم وعقلياتهم.[61]

(60) مثال المرابطين والمرينيين يعتبر في هذا الصدد ذا دلالة كبيرة.
وقد وصف ابن أبي زرع ظروف دخول المرينيين إلى المغرب فقال : «...وقصدت مرين نحو المغرب، فنزلوا بالجبل المطل على وادي ملوية، وهو الجبل الفاصل بين بلاد المغرب وبلاد الصحراء، فأقاموا به إلى سنة عشر وستمائة، فدخلت طائفة منهم المغرب ليمتاروا على عادتهم، فوجدوا المغرب خاليا قد باد أهله ورجاله، وفني خيله وحماته وأبطاله، وقتلت قبائله وأقياله، قد استشهد الجميع في غزاة العقاب، فأقفرت بلادهم فعمرها البوم والسباع والذئاب، فأقاموا بمكانهم، وبعثوا البريد إلى إخوانهم يخبرونهم بحال البلاد وخلائها، وخصبها ونقاية هوائها، وسعة مسارحها ومراعيها وعذوبة مياهها، وكثرة أنهارها، والتفاف أشجارها، وبركات ثمارها، ويأمرونهم بالمسير إليها، والقدوم عليها، فليس ثم من يصدكم عنها ولا من ينازعكم فيها (...) فشدوا رحالهم وأقبلوا إلى المغرب مسرعين (...) حتى وصلوا إلى وادي تلاغ، فولجوا المغرب من ذلك الباب بالخيل والإبل والمراكب والقباب في جيوش كالسيل...» **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، الرباط 1972، ص 26.

(61) «إن دراسة اللغة، وتدوينها باعتبارها مخزنا (أو كنزا، إذا شئنا استعمال لفظ أكثر نبلا)، للمعارف التي يملكها البشر، سيكون نقطة انطلاق علوم الحقيقة الإنسانية».
هنا كلام : – Henri Le febvre, **Le langage et la société**, coll. Idées (99), Ed. Gallimard, 1966 (1970), p. 15.

انظر كذلك :

– Lucien Febvre, «Histoire et dialectologie », in Revue de synthèse historique, Juin 1906, t. XII – 3 (n° 36), pp. 249-261.

– Encyclopédie berbère, I, pp. 7 sqq.

– J. Berque, « Cent vingt – cinq ans de sociologie maghrébine », dans Annales E.S.C., Juillet – Septembre 1956, p. 301.

إننا على وعي من أن استعمال اللغة في هذا المجال يطرح مشاكل شائكة، خصوصا إذا كان الأمر يتعلق بلغة لم تدرس بعد، كاللغة الأمازيغية. ومع ذلك فأننا نعتقد أن مثل هذه الصعوبات ينبغي ألا تحول دون إصدار فرضيات كفيلة بأن توحي بأفكار جديدة، وقد تتكفل كذلك بإثارة مشاكل من نوع جديد. وبالفعل : «فإن تاريخا يطرح على الماضي - من الآن فصاعدا - أسئلة تكون دوما أكثر تجددا، وأكثر تنوعا وأكثر طموحا أو أكثر ذكاء، يستلزم بحثا موسعا يطرق جميع الاتجاهات، خلال كل أنواع الآثار التي يمكن أن يتركها لنا هذا الماضي المتعدد الأشكال والذي لا ينضب».(62)

محاولة التأويل اللغوي

«إنه بالاستماع إلى الإفريقي - الشمالي وهو يتحدث عن نفسه، قد يُتَمَكّن أكثر، ليس فقط من إعادة بناء ذاتيته، بل وسطه الموضوعي، وكدليل على ذلك نذكر المساهمة الأساسية التي ساهمت بها اللسانيات في الإثنولوجيا الإفريقية - الشمالية، البارزة في الأعمال التي ظهرت ابتداء من وليام مارسي W. Marçais وإيميل لاووست E. Laoust إلى بوريس Boris»،(63) ومما يزيد هذا الكلام صحة هو أن التاريخ العميق لشمال إفريقيا، قلما نجد له صدى في مصادرنا المكتوبة.(64) فلو استمعنا إلى كلام هذا العدد الكبير من «القبائل» التي تنتشر في شمال إفريقيا، لأمكننا توضيح مشكلة الأصول، حتى البعيدة، لكثير منها.(65)

---

62) انظر :

– Henri – Irénée Marrou, **De la connaissance historique**, coll. Points, Paris 1975, p. 76.

– J. Berque, **Structures...**, pp. 417 sq. : انظر كذلك

63) انظر :

– J. Berque, **Cent vingt-cinq ans...**, p. 301

عن أهمية الاثنولوجيا بالنسبة للبحث التاريخي انظر على سبيل المثال الحوار الذي أجراه مولود معمري مع :

– Pierre Bourdieu : « **Du bon usage de l'ethnologie** », in « **Awal** », **cahiers d'Etudes Berbères, 1985** – n° 1, Maison des sciences de l'Homme, Paris, pp. 7-29.

64) انظر مقالنا : «**مساهمة في التعريف برحلة الوافد...**» الذي نشر في العدد الثالث عشر من **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية** بالرباط.

65) انظر على سبيل المثال :

– Lucien Febvre, **op. cit**, pp. 249-261.

– A. Renisio, **Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Sraïr**, Paris, 1932, Préface, pp. IX-XII.

كثيرا ما يقال لنا إن الأمازيغ يتكلمون بلهجات كثيرة، تنتمي عموما إلى اللهجات الثلاثة الكبرى : تاشلحيت، تامازيغت وتاريفيت، مع الاعتراف بانتماء هذه الثلاثة إلى أصل موحد. فبدل اعتبار هذا التجزؤ عائقا مثبطا، كان بإمكان البحث التاريخي أن يستعمله كمصدر وثائقي كبير الأهمية. إن دراسة اللغة يمكن لها بالفعل أن تعطينا معلومات ليس فقط على الإتجاه العام لتنقلات مختلف المجموعات البشرية على طول وعرض إفريقيا الشمالية. بل ستفيدنا كذلك في معرفة أنماط العيش الأصلية للمجموع البشري الذي تنتمي إليه كل مجموعة من هذه المجموعات.[66]

لقد أشرنا سابقا إلى أهمية تأثير الجغرافيا على أنماط العيش في إفريقيا الشمالية. سنحاول الآن إصدار فرضية تعتمد أساسا على تأويل لغوي، أو بالأحرى على تأويل جديد للأسماء السلالية (noms patronymiques) لشعوب شمال إفريقيا الأكثر شهرة.[67] ولكن قبل ذلك سنعطي بعض الملاحظات العامة حول المعطيات اللغوية التي اعتمدناها في تحليلنا.

1) تعتبر عملية التركيب اللغوي من أقدم الوسائل التي استعملها الأمازيغ في مجال إغناء رصيده المعجمي.[68] إنها طريقة ترتكز على إدماج كلمتين معروفتين لتركيب كلمة جديدة. قد تكون الكلمتان المدمجتان على شكل : اسم + اسم، مع استعمال أو عدم استعمال «ن» الإضافة بين الاسمين المركبين، أو على شكل : فعل +

---

66) انظر :

– G. Marcy, op. cit, pp. 177 sqq.

– L. Febvre, op. cit, pp. 258 sqq.

– Cf. Marcel Locquin, « **Le fond commun des langages et des écritures** », in Sciences et vie, Juin 1980, pp. 50-63.

67) إننا لا نزعم أننا أول من اتخذ هذا الاتجاه؛ انظر على سبيل المثال : G. Marcy, op. cit, pp. 192 sqq

68) انظر :

– E. Laoust, **Mots et choses berbères**, societé Marocaine d'Edition, Rabat, 1983, pp. 109, 112, 184, 185, 187, 190, 218, 272, 356, 492 sqq.

– E. Laoust, **Etude sur le dialecte berbère des N fifa**, Paris, 1918, pp. 95 sqq.

– A. Renisio, op. cit, pp. 46 sq.

– G. Marcy, op. cit, pp. 69, n. 2, 70, 89, 193.

– Salem chaker, **Un parler berbère d'Algérie (Kabylie), Syntaxe**, Aix – en – Provence, 1983, pp. 484 sq.

– Salem chaker, « **Synthématique berbère, Composition et dérivation en kabyle** », Extrait des tomes XXIV – XXVIII, années 1979 – 1984, des comptes rendus du G.L.E.C.S. Librairie orientaliste – Paul Geuthner, Paris, pp. 91 sqq. 124 sq.

اسم، أو اسم + فعل.[69] «إن وجود هـذه الطريقـة [التركيب اللغـوي] عنـد جميع البربر دليل على أنها قديمة».[70]

2) في الكلمـة المركبـة غـالبـا مـا يختفي الحرف المتحرك الأول في الاسم الثاني.[71] غير أنه توجد كذلك حالات يتعرض فيها الحرف المتحرك الأول في الكلمة الأولى لنفس الشيء.[72]

3) إن الألفاظ التي تتكون منها الأسماء المدروسـة هنـا، لا تزال مستعملـة لـدى الأمازيغ في مناطق متعددة، كما أنها لا تزال تحتفظ بوجه عام بمعانيها المعروفة.[73]

إيمصمودن أو مزارعو الغرب

لقد أشرنا سابقا إلى أن أقدم مصادر التاريخ، تقدم لنـا سكـان إفريقيـا الشمـاليـة الغربيـة بوجـه عـام، على أنهم مزارعون مرتبطون بـالأرض.[74] هـذا الواقع يمكن - في نظرنا - تأكيده بتحليل اسم إيمصمودن، سكان المغرب القدامى. وبالفعل نعتقد أن لفـظ «مصمود» كلمـة مركبـة تعني «الـذي / الـذين، يملـك / يملكون، أو يزرع / يزرعـون الحبوب».

لنستعرض فرضياتنا :

فرضية «أ»

كلمة **مصمود** (أو مُسّمُوذْ، أو مْسْمُوذْ)، يمكن أن تكون مركبة من **مْسْ** + (أ) **مُدْ**. **مْسْ** (مّسْ، مَسْ) تعنى : «سيـد (الرجـل الـذي يملـك، يتـوفر على) أي شيء؛ إنسـان مكلف بحراسـة القطعـان، أو بفلاحـة حـديقـة، أو بـالقيـام بـأي عمل، هـو **مِسْ** تلـك القطعان أو تلك الحديقة أو ذلك العمل؛ إنسان عادته السفر أو الصيد... هو **مِسْ** السفر أو الصيد...».[75]

---

69) انظر :

– Salem chaker, **Synthématique...**, pp 94 sqq.

70) نفس المرجع، ص 96.

71) نفس المرجع، ص 94.

72) انظر :

– Fernand Bentolila, **Grammaire fonctionnelle d'un parler berbère**, Paris, 1981, p. 406.

73) سنعطي عن هذه الألفاظ التفاصيل المدققة الضرورية كلما ورد ذكرها.

74) انظر أعلاه، تعليق 45 و46.

75) حسب ما ورد عند :

– Charles de Foucauld, **Dictionnaire Touareg – Francais**, Imprimerie Nationale de France, 1951, t, II, p. 1245.

أمْدْ التي تعني : البذور أو الحبوب أو عملية الزرع؛ الفلاحة أو الحرث أو وقت عملية الحرث.[76]

مْشْمُوذْ (= مْسْ + (أ) مْـدْ)، قـد تعني إذن : النـاس الـذين يملكـون ويتـوفرون على البذور، الذين تعودوا على زراعة الحبوب، أي الفلاحين والمزارعين.

فرضية «ب»

إن كلمـة أمْضْمُـوذْ مشتقـة من أمْـزْمُـوْذ (بتفخيم الـزاي)، وهـذه كلمـة مركبـة، تتكون من الفعل زْ (بـالتفخيم)، وتعنى ممّـا تعني : غرس، زرع[77] (الفعل التـام : إيـزّ (بتفخيم الزاي المشددة))، الفعل غير التام : زْ (بتفخيم الزاي المشددة))، ومن لاصقة اسم الفاعل أمْ، ومن الاسم أمْدْ (= البذور)؛ وبذلـك تصبح الكلمـة على الشكل التـالي : أمْ + زّ + أمْدْ، وبعد سقوط الحرف المتحرك الأول في اسم أمْـدْ، تصبح أمْزْمْـدْ؛ وأخيرا يقع الإهماس في زْ ـــــ صّ ويفقد كذلك التشديـد في سلسلـة مْصْمْ ـــــ مْضْمْ، ذلـك لأن طريقة الإجهار وفك الادغـام عملية عـادية عنـدمـا يتعلق الأمر بنقل كلمـة من الأمازيغية إلى العربية أو العكس. وكمثال على ذلك نذكر ما يلي :

- الصلاة ـــــ تَزَلّتْ (بتفخيم الزاي واللام المشددة).
- الصّوم ـــــ أزُمْ (بتفخيم الزاي).

ويمكن أن نفترض وقوع عملية معاكسة في الكلمات المستعـارة من الأمـازيغيـة إلى العربية في بدايات الاتصال الأولى بين اللغتين : أمْزْمْدْ ـــــ أمْضْمْدْ.

وهكـذا تصبح الكلمـة المحصل عليهـا أخيرا هي : أمْضْمْـدْ ـــــ المزارع والغـارس والحارث.

فرضية «ج»

إن كلمة أمْضْمْدْ بديل لكلمـة أمْزْمْـدْ المكونـة (المركبـة) من أمْزْ + أمْـدْ. أمْزْ (الفعل التـام يُمْزْ، الفعل غير التـام أمْـزْ)، ويعني : أمسـك، أخـذ،[78] وأمْـدْ، تعني :

76) انظر :

- E. Destaing, **vocabulaire Francais – Berbère,** Paris, 1920, p. 258.
- cf. ch. de Foucauld, **op. cit,** t, III, p. 1153.
- E. Laoust, **Mots...,** p. 472.

77) انظر :

- Ch. de Foucauld, **op. cit,** t. IV, p. 1926.
- E. Destaing, **op. cit,** p. 222.

78) انظر :

- E. Destaing, **op. cit,** p. 230.

البذور. وبعد سقوط الحرف المتحرك الأول من لفظ أَمُدْ وإهماس ز، نحصل على أَمْضْمَدْ، ويعني في هذه الحالة : «الذي يقبض على البذور، والذي يحتفظ بها».[79]

إيزناتن أو مربو الأغنام

أما فيما يخص إيزناتن أو زناتة، فإن التاريخ يخبرنا بأنهم كانوا في غالبتيهم رحلا يربون الحيوانات الأليفة، وخاصة منها الصغيرة الأجسام.[80] وعند تحليل اسمهم يمكن التوصل إلى نوع من التأكيد للصورة التي يحتفظ لهم بها التاريخ. وبهذا الصدد يمكن إصدار فرضتين اثنتين :

فرضية «أ»

أَزْنَتْ في المفرد، إِزْنَتْنْ في الجمع. أَزْنَتْ، لفظ مركب من أَزْنْ، ومعناه : «بعث وأرسل»[81] + أَتّْنْ : أي النعاج[82] ← أَزْنْ + أَتّْنْ. إِزْنَتْنْ قد تعني إذن : الذين يبعثون بنعاجهم إلى المراعي، والذين يمارسون أساسا تربية الماشية في الترحال.

فرضية «ب»

إِزْنَتْنْ لفظ مركب من : إِهْنْ (= إزن، أزن)، ويعني : الخيام،[83] وأَتّْنْ ومعناه : أن يكون الشيء كثيرا أو كبيرا،[84] ومن هنا يأتي معنى : «الخيام الكثيرة أو المراتع الكبيرة» وهذا يتضمن أن إِزْنَتْنْ يمارسون التربية الترحالية للماشية.

79) نشير بهذا الصدد إلى أن لاصقة أَمْسْ... التي نجدها في ألفاظ مثل : أَمْسْبْرِدْ (= المسافر) وأَمْسْدْرَارْ (= الإنسان الجبلي)، والتي يعتبر سالم شاكر أنها قد تكون قديمة جدا، ليست في الحقيقة، على ما يبدو، إلا بديلا للفظ أمز (بتفخيم الزاي) التي تحدثنا عنها.
ومما يزيد في صحة هذا الرأي أن «هذا التكوين أمس + اسم، يعطي معنى عاما هو : «الذي / ما هو مرتبط / له علاقة بـ «س»». وحتى ندقق هذه الملاحظة أكثر نضيف بأن الكلمات : أَمْزْ - أَبْرِدْ (= خذ الطريق حرفيا = أخذ الطريق، المشي) وأمز - أَدْرَارْ (= أبق في الجبل حرفيا = ساكن الجبل)، لا تزال مستعملة بكثرة. انظر :

– S. Chaker, Synthématique..., p. 124.

80) انظر أعلاه تعليق 19، 20، 21.

81) انظر :

E. Destaing, op. cit, pp. 113 – 114, 120.

82) نفس المرجع، ص 45.

83) انظر :

Ch. de Foucauld, op. cit, t. II, p. 609.

جمع كلمة إِهْنْ (هـ = ز) هو إِهَنَنْ = مخيمات أو مجموعة من الخيام. (نفس المرجع، ص 610).

84) انظر :

– Ch. de Foucauld, op. cit, t. IV, p. 1876-77.

إيزْنَاكْنْ أو جمّالو الصحراء

«إن القسم الذي تحتله صنهاجة من الصحراء كان يمتد على مسافة ستة أشهر من المشي».[85] وتاريخ المرابطين يبين أنهم كانوا رحلا حقيقيين، متعودين على العيش في فضاءات جافة واسعة. ويبدو أن أسمهم ماخوذ لا من أصل نسبي ما، ولكن من الصبغة الغالبة على أنشطتهم. وبهذا الصدد يمكن اقتراح نوعين من التأويل الممكن.

فرضية «أ»

أَزْنَـكْ في المفرد، إِزْنَكّنْ في الجمع، هذا اللفظ مركب من إِهْنْ (= أزن)،[86] ومعناه : «الخيام المصنوعة من الجلد»، وإِكّنْ (= المغاورون أو الذين يمارسون الغارات).[87] يقع التركيب إذن على هذا النحو : إِزْنْ + إِكّنْ ← إِزْنَكّنْ ← إِزْنَكّنْ. وبما أن التفخيم يعتبر من مميزات اللهجات الصنهاجية، يمكن أن نفترض أن الزاي (العادية) يمكن أن تنطق مفخمة. قد تعني كلمة إِزْنَكّنْ إذن : خيام القوم الذين يقومون بالغارات. ومعلوم أن هذا النوع من الأنشطة يمارس بكثرة عند رحل الصحراء.[88]

فرضية «ب»

يمكن كذلك أن تكون الكلمة مركبة من أَزْنْ : «بعث، أرسل»،[89] وإِكّنْ : «فرقة غير نظامية من الرجال تجتمع للقيام بحركة حربية، قصد النهب».[90] الكلمة المركبة تصبح أَزْنِكَ (= أَزْنَكّ) في حالة المفرد، إِزْنِكّنْ (= إِزْنَكّنْ)، في حالة الجمع. فيكون معناها هنا هو : «الذين يقومون بعمليات الغزو أو الغارة».

---

85) إننا نعرف أن إيزْنَاكَنْ أو صنهاجة ليسوا كلهم رحلا، ومع ذلك فقد يكون الترحال، في الأصل على الأقل، هو نمط العيش الغالب لديهم. انظر ابن خلدون، **تاريخ البربر** (بالفرنسية) ج II (1927) ص 3، 67 وما بعدها.

86) انظر :

– Ch. de Foucauld, op. cit, t, I, p. 5.

87) نفس المرجع، ج 1، ص 456 ـ 457؛ ج II، ص 647؛ كثيرا ما يقع التبادل بين حرف «كّ» وحرف «كّ» المائل إلى الشين عند النطق.

88) انظر على سبيل المثال :

– Ch. de Foucauld, op. cit, t. II, p. 647.

89) انظر أعلاه، تعليق 81.

90) انظر :

– Ch. de Foucauld, op. cit, t, I, p. 456.

إيكَزُولَنْ أو رعاة المناطق ما قبل - صحراوية

إن إيكَزُولَنْ، في نظرنا، يمكن أن يكونوا حفدة الجتول (Gétules) القدامى؛[91] نقول هذا رغم التحفظ الذي أبداه جورج مارسي (G. Marcy).[92] ذلك لأننا نعتقد، كما سبق أن ذكرنا، أن الطريقة التي كتبت بها الأسماء الإفريقية - الشمالية باللغة اللاتينية، بما فيها اسم الـ جتول يمكن أن تكون مشوهة.[93]

ولذلك فإننا نقترح التأويل الآتي :

نظرا لكون «الجتول الرحل كانوا يجوبون الصحراء والسهوب المجاورة، ككبار الرحل الحاليين...»،[94] وكون الكرمانت (Les Garamantes) والنزامون (Les Nasamons)، سبقوهم إلى احتلال الصحراء،[95] وكون الجتول كانوا متواجدين في المنطقة ما قبل - صحراوية في مجموع شمال إفريقيا إلى الغرب من ليبيا،[96] وكون كلمة «جتول (Gétule) لا تحمل إذن معنى سياسيا، وليس لها كذلك أي معنى عرقي، ما دامت تستعمل بكيفية قطعية لتدل على السكان الجنوبيين من المحيط إلى سيرتا بل حتى إلى جنوب منطقة برقة (La Cyrénaïque) (سترابون، 3، 19 و23)، أي على سكان هم بالضرورة رحل»،[97] وكون إيكَزُلَنْ (جزولة)، كما نعرفهم من خلال المصادر الإسلامية،[98] لا يختلفون عن الجتول، سواء فيما يخص المناطق التي كانوا يحتلونها أو فيما يتعلق بنمطهم في العيش؛ نظرا لكل ذلك نعتقد أن تفكيك اسمهم يعطيه معنى يؤكد الصورة التي أعطاها التاريخ عنهم.

---

91) انظر :

– G. Camps, Berbères..., pp. 112 sqq...

92) نفس المرجع، الفصلة II، ص 193.

93) انظر أعلاه، تعليق 51؛ إن تردد جورج مارسي ناتج بالفعل عن كونه لم يفترض وقوع تشويه ممكن في كتابة كلمة : «جتول» (Gétules) التي يمكن أن تكون «جتسول» (Getsules) ثم «جسول» (Gesule) أو «كَزُلْ» (Guzules).

94) انظر :

– G. Camps, Berbères..., p. 112.

95) نفس المرجع، ص 112 - 113.

96) نفس المرجع ص 113 والتي تليها، 115؛ توجد تاهرت بقدم جبل يعرف بأسم «جزول» انظر ابن عذاري، **البيان...** ج I، ص 25.

97) نفس المرجع، ص 115.

98) انظر ابن خلدون، **تاريخ البربر** (بالفرنسية) 1927، ج II، ص 116 - 117.

فرضية «أ»

إكَزْلْنْ في حالة الجمع، أَكَزْلْ في حالة المفرد، قد تكون في الأصل كَزْلْ، باعتبار أن «أ» الواقعة في أول المفرد، قد تكون حرفا مضافا فقط.[99] يتركب اللفظ من كُسْ : «السوق إلى المرعى»،[100] ومن أُلّ : «الماعز، أو الحيوانات الصغيرة الأجسام بصفة عامة.[101] كُسْ ← كُزْ عن طريق الاجهار الممتد إلى سلسلة أُلّ ← أُلْ بعد سقوط الحركة الأخيرة «ـِ» وفك ادغام «لّ».[102]

كُسْ ← كُزْ بالادماج الإجهاري بفعل الاتصال ب «أ». أُلّ ← أُلْ عن طريق الحذف الذي لا يزال موجودا عند سكان الأطلس الصغير.

نحصل إذن على كُزْلْ التي تصبح إكُزْلْنْ بعد إضافة لواصق الجمع. وفي هذه الحالة قد يكون المعنى هو : «رعاة، مربو الماعز، مربو الماشية الصغيرة الأجسام».

هنا تجدر الإشارة إلى أن التاركَريين (توارڭ) لا يزالون، إلى اليوم، يعينون الناس بمهنهم، أو حسب الصبغة المميزة الغالبة على اهتماماتهم المعتادة. وهكذا يقولون مثلا : «كِلْ ـ أُلّ : أي أناس الماعز (وهو لقب التاركَيين السوقة (...)، أناس البقر، أناس الخيل (...)، أناس النوق وأناس الماعز؛ كِلْ ـ تَمَضِنْتْ، أناس الرعي (الذين يرعون القطعان؛ الرعاة)».[103]

---

99) حرف «أ» هنا يمكن أن يسقط في حالات استثنائية، انظر :

– E. Laoust, Mots..., p. 482-483;
– A. Renisio, op. cit, p. 15.

100) انظر :

– E. Destaing, op. cit, p. 208-209.
– Ch. de Foucauld, op. cit, t.II, p. 908-909.
– E. Laoust, Mots..., pp. 474 sqq.

وعن إدماج كَ 〈 كَ، س 〈 ز، انظر :

A. Renisio, op. cit, pp. 33, 46.

101) انظر :

– E. Destaing, op. cit, p. 62-63.
– Ch. de Foucauld, op. cit, t.II, pp. 534, 787.

102) انظر :

A. Renisio, op. cit, p. 31.

نقول مثلا : أَمّ يِسْ بدل أو مكان : أَمْيِنْ سّنَغْ

103) انظر :

Ch. de Foucauld, op. cit, t.II, p. 787.

فرضية «ب»

لتوسيع حقل الإمكانات التي توفرها اللغة، نقترح هنا تأويلا آخر. وبالفعل فإن لفظ **أَكُزُلْ** وجمعها **إِكُزْلَنْ**، كما تنطق إلى اليوم في منطقة سوس، مركب من **أَكْ** : «ابن...، وتجاوزا، رجل...»[104] (**أَكْ** يقابل **گ** (گو) في سوس) ومن **إِسُلَلْ** التي تعني : «سهول فارغة، بدون أودية واضحة، وبعيدة عن الجبال، تتخللها مراعي على شكل بقع غير متسعة، ولكنها كثيرة. تصلح **إِسُلَلْ**، بعد نزول الأمطار، لأن تتبع فيها القطعان العشب الطري، وذلك بسوقها من بقعة عشب إلى أخرى بعد نفاد أعشاب التي كانت فيها».[105] الكلمة المركبة تصبح **أَكْ** + **إِسُلَلْ**. الحركة الأولى في الكلمة الثانية إي (ـِ) تتحول إلى حركة الضم (ـُ) بضرورة الإضافة.[106] وبذلك تصبح الكلمة **أَكُسُلَلْ** ← **أَكُزُلَلْ** بعد إجهار سياقي لحرف «س»، ← **أَكُزُلْ**، بعد سقوط «**أَلْ**» (اللام الأخيرة والحركة التي قبلها)، بحذف مقطعي.[107]

في هذه المحاولة السريعة التي تهدف، قبل كل شيء، إلى إثارة الفضول العلمي عند المؤرخين والباحثين عموما، حتى يتأتى إعادة النقاش، تحت أضواء جديدة، حول كل ما ترك لنا على اعتبار أنه بديهيات، في هذه المحاولة إذن أبرزنا النقط التالية :

1) بما أن إفريقيا الشمالية كانت، منذ أقدم العصور، بلد التقاء الحضارات والثقافات والمؤسسات المتنوعة، فإنه من الضروري أن تؤخذ بعين الاعتبار، عند إنجاز أية دراسة تتعلق بماضيه أو حاضره، ظاهرة المثاقفة التي تكتسي فيه أهمية قصوى.[108]

---

104) نفس المرجع، ج **II**، ص 787.

105) نفس المرجع، ج **III**، ص 1065.

106) في بعض الحالات ينقلب الحرف المتحرك الأول «إ» إلى «أ»، وتوجد كذلك حالات يسقط فيها تماما. فالتاركيون يقولون مثلا : «دَغْ ـ سُلَلْ». انظر :

Ch. de Foucauld, **op. cit**, t.III, p. 1065.

107) ينبغي الإشارة إلى أن الأسماء التي نحن بصددها الآن نقلت إلينا عن طريق الكتابة العربية، ونتيجة لذلك فإنها لابد أن تكون قد تعرضت لبعض التشويهات الأخرى غير التي هي معروفة.

108) عن هذه المسألة انظر :

– Sabatino Moscati, **Cultural Interactions in Ancient Méditerranean History**, pp. 7-19.

– Maxime Rodinson, **Dynamique de l'évolution interne et des influences externes dans l'histoire culturelle de la Méditerrannée**, pp. 21-30.

المقالان منشوران في : «أعمال المؤتمر الأول لدراسات ثقافات البحر الأبيض المتوسط المتأثرة بالفكر العربي البربري» المشار إليه سابقا.

وفي نفس الكتاب توجد مقالات تستحق أن يرجع إليها، أفكر بصفة خاصة في مقال Jean-Paul Charnay، ومقال Hady Reger Idris ومقال André Adam.

أما مقال الأستاذ محمد أركون : **Les fondements arabo – islamiques de la culture maghrébine,**

المنشور في : « Französisch heute » Juin 1984 pp. 173-183. فهو مقال جد بناء.

هـذه الظـاهرة ينبغي أن تفهم وتفسر بشكـل يشمـل كـل تشعبـاتهـا، مستحضرين في الـذهن، بصفـة خـاصـة، صبغـة انعـدام التسـاوي الثقـافي الـذي يتحكم في سير تلـك الظاهرة. انعدام التساوي هذا، على ما يبدو، هو أسـاس دفع إدمـاجي يستهـدف تجـاوز المشاكل التي تحول دون الإنجاز النهائي للأمر غير الواقع.

2) ضرورة الشروع في عمليـة تحقيـق التصـالـح بين الفترتين الكبيرتين من تـاريخنـا، قصـد خلق هـذا التـوازن الـذي ينقصنـا مـا دمنـا نحمـل في داخلنـا زمنين تـاريخيين يتنـافيـان في الحـاضر. وممـا يزيـد هـذا صحـة أن «المستوى الأكثر عمقـا والمنتمي إلى الفترة الزمنية الأكثر امتدادا، هو مستوى الثقافـات السـائـدة قبل الإسلام في كل مجتمع : توازنات بيئية (إيكولوجية)، أنظمة الإنتاج، والمبادلات، والمعتقـدات ولا معتقدات، والمعارف المكتسبة بالتجربة، والتصورات، والسلوكات الجمـاعيـة... كل هذا تشير إليه الثقافة الرسمية في الإسلام، كما هو الحال في الغرب، باستعمال كلمـات سلبية : بـدائي، عتيق، وثني، مشرك، همجي، شعبي، منحرف، مخلف مـاضوي، معـاد الخلق سحري أسطـوري... إن الاثنـوغرافيـا الاستعمـاريـة في المغرب الكبير، والعقـل الوضعي والعلمـاني في القرن التـاسع عشر بصفـة عـامـة، قـد استعملـوا هـذه الكلمـات استعمالا دغمائيا أو عقائديا، مفترضين تقدما خطياً للفكر، مع تجاوزات لا رجعـة فيهـا. إنـه بتجـاهل وتهميش بل وتـدمير الثقـافـات المنعوتـة بـالشعبيـة، يكون الفكر العربي والإسلامي الحالي قد تبنى النزعة الوضعية في العلم الكولونيـالي، والتي أدينت كثيرا، دون أن تكون لديه قدرة الاعتراف بذلك لنفسه».(109)

3) ضرورة المراجعة والتأكد من القواعد التأويليـة لتـاريخ بقي سطحيـا وفقيرا، بسبب القـالب النسبي (الجينيـالوجي) الـذي يحـد من آفـاق البحث المغني. ولتحقيـق ذلـك، توجـد وسـائل كثيرة ان لم نقـل لا تحصى. ينبغي، بصفـة خـاصـة، تتبـع تـأثير الظروف الجغرافية والمناخية على سلوكات الناس تجاه وسطهم الطبيعي والبشري. إننا نعتقد، بكيفية خاصة، أن أنماط عيش مختلف المجموعات الساكنة بإفريقيـا الشمـاليـة، والتي فرضتها الطبيعة منذ آلاف السنين، قد سـاهمت بحـظ وافر في تشكيل السيرورة التاريخية لهذه المجموعات. وبالتـالي فـإننـا نعتقـد أن هـذه الأنمـاط هي التي تكون النسيج العميق لتاريخ، ليس في نهاية الأمر، إلا نتيجة لتفاعل دائم بين نمطين للعيش مختلفين ولكنهما متكاملان.

---

109) محمد أركون، نفس المقال أعلاه، ص 178.

4) ضرورة ترك المفهوم المفقر الذي يرفض أو يحتقر استعمال الوثائق غير المكتوبة في إنجاز الكتابة التاريخية. إن عواقب ذلك تتفاقم أكثر حينما يتعلق الأمر بتاريخ الشعوب التي لا تكتب، أو الشعوب التي لا يمثل المكتوب عن ماضيها شيئا أمام مجد وتشابك وغنى تاريخها.

إن الكتابة التاريخية، كما هو معلوم، كانت دائما عملا رسميا، في حين أن التاريخ لا يقتصر على الأنشطة الرسمية. هذه الأنشطة ليست في الحقيقة إلا انعكاسا باهتا لتاريخ كبير ينجز خارج الميادين المفضلة لدى الأخباريين. فإعادة تكوين هذا التاريخ العميق يستلزم إذن البحث عن مصادر أخرى. وتبقى اللغة واحدة من أفضل الوثائق الخليقة بإعطاء معلومات دقيقة وثمينة، تحت أضواء جديدة، عن مشاكل بقيت دون حلول، ولكنها تبدو وكأنها وضحت بصفة نهائية.(110)

في شمال إفريقيا، بلد المثاقفة الممتاز، البلد الذي تتعايش فيه، إلى يومنا هذا، لغتان تاريخيتان أي العربية والأمازيغية، لا يمكننا تجاهل الفوائد الثمينة التي سيجنيها البحث التاريخي من دراسة هاتين اللغتين. إن دراسة الأمازيغية بصفة خاصة ستساعدنا على القراءة والتأويل الصحيحين لهذا العدد الضخم من الوثائق الموشومة إلى الأبد على طول وعرض أرض شمال إفريقيا.(111)

(110) قارن مع : Lucien Febvre, **Histoire et dialectologie**, pp. 249-261.

(111) الإشارة هنا إلى أسماء الأماكن (la toponymie) ودراسة أسماء الأعلام (l'onomastique).

العلاقات المغربية الإفريقية
من خلال مجموعة وثائق
في خزانة علال الفاسي(*)

محمد المنوني

كلية الآداب - الرباط

والقصد إلى مجموعة وثائقية لم تكن معروفة من قبل، حتى ظهرت بين نوادر المخطوطات، في الخزانة القيمة التي خلقها الأستاذ الرئيس علال الفاسي، حيث تحتضنها «مؤسسة علال الفاسي» بالرباط، فتقدم المجموعة نموذجا من طراز جديد، للفكر الوحدوي في الاتجاه الأفريقي للزعيم المنوه به، وكان الفضل في اطلاعي على هذه الوثائق، يعود إلى مدير المؤسسة، الأستاذ العالم رفيق الدراسة : السيد عبد الرحمن الحريشي، فله على مبادرته جزيل الشكر وجم التقدير.

☆ ☆ ☆

ونصل - الآن - إلى المجموعة المعنية بهذا التدخل، فنشير إلى أنها تشتمل على ص من حجم صغير، موضوعة داخل محفظة تحمل رقم 710، ومكتوبة بخط فاسي مليح، فيصنف ناسخها محتوياتها على الترتيب التالي :

1 - **رسالة** بتاريخ 16 محرم 1311 «1893»، وتذيل بإمضاء أمير تينبكتو : يحيى بن الكاهُيَ عن إذن أعيان السكان، وفيها ينهي إلى العاهل المغربي : السلطان الحسن الأول، أخبار المد الاستعماري بالسودان الغربي، وتحرش فرنسا بتينبكتو، ثم يلح على المبادرة بنجدة البلاد ومدافعة المعتدي.

2 - **رسالة** بتاريخ 14 شوال 1310 «1893»، أمضاها البشير بن محمد بن عبد الرحمن التلموذي الجزولي الحسني، وكتبها - على حد تعبيره - عن إملاء وإذن خواص أهل تينبكتو : أميرهم يحيى بن الكاهُيَ، وسَن بن القائد ببكر، والحاج سَن محمد، ويحيى بن عثمان، وعموم المسلمين، وهي في مضمونها كسابقتها تقريبا.

(*) ألقي في ندوة «علال الفاسي والفكر الوحدوي» : 10 - 11 شوال 1408 / 27 - 28 مايو 1988 بفاس.

3 ـ رسالة كتبت ضحوة الجمعة، لأربع عشرة ليلة مضت من ذي القعدة، ورسم العام فيها هكذا 1309، على أن المؤكد أن ذلك سبق قلم عن عام 1310 «1893»، كاتبها أمير التكرور : أحمد الكبير بن الحاج عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي، وفيها يشكو للسلطان الحسن الأول حروبه مع الوثنيين بالسودان، ثم تعاونهم مع الفرنسيين ومعهم كثير من المسلمين، مما ساعد المستعمرين على احتلال منطقة نفوذه التي يعدد بلدانها واحدا فواحدا، وبذلك يترجى من العاهل المغربي التدخل العاجل.

4 ـ رسالة مؤرخة بأوائل جمادى الأولى 1311 «1893»، كتبها شيخ تندوف : أحمد يَكُنَ بن محمد المختار بن باللعمش، ومعه من يتسمى بعبد الله بن العبد، فتذكر الرسالة للسلطان الحسن الأول أنه يرد على حضرته سودانيان من تينبكتو، وقد استولى الفرنسيون على أطراف من السودان الغربي، وخاف السكان من وصوله إليهم، فيلتمس الكاتبان من العاهل المغربي، المبادرة لتدارك شديد حالهم.

5ـرسالة السلطان الحسن الأول بتاريخ 15 شعبان 1311«1894»، وهي موجهة إلى قضاة فاس الثلاثة : مُحمد بن مُحمد العلوي. وحميد بناني، ومحمد بن رشيد العراقي، فتخاطبهم الرسالة : «...وبعد : فيصلكم على يد مولاي عمر[1] مكاتب أربعة، وردت من عند كبراء السودان وتنبكت، أحدها لرئيسهم : السيد أحمد بن الحاج عمر، وثانيها : لرئيس تنبكت يحيى بن الكاهِيَ وأعيانها، وثالثها للسيد البشير التلموذي وأعيان تنبكت، ورابعها : للسيد محمد بكاي[2] بن محمد بن المختار، تضمنت الإعلام بما دهمهم من صدمة العدو، والاستغاثة في إنقاذهم والدفاع عن بلادهم وأولادهم.

نأمركم أن تحضروا أنتم وعلماء فاس المحروسة عليها، وتتأملوا فيها بالإمعان والتدبر، وما اقتضاه الشرع والطبع والمصلحة في ذلك أجيبوا به، وادفعوا الجواب لمولاي عمر ليوجهه على يده».

6 ـ جواب الشيخ جعفر الكتاني.

7 ـ جواب الشيخ أحمد ابن الخياط.

8 ـ جواب الشيخ محمد بن أحمد العلوي.

9 ـ جواب القاضي محمد بن رشيد العراقي.

10 ـ جواب القاضي أحمد ابن سودة.

---

1) هو ابن السلطان الحسن الأول وخليفته بفاس، وترجمته عند ابن زيدان في «إتحاف أعلام الناس» 497/5 ـ 502.

2) تصحيف من ناسخ الرسالة عن «يَكُنَ»، وورد على الصواب في إمضاء الرسالة الرابعة.

11 ـ جواب الشيخ الطيب بن أبي بكر ابن كيران.

12 ـ جواب الشيخ محمد بن أحمد الصقلي.

13 ـ جواب القضاة الثلاثة عن الرسالة الحسنية.

14 ـ جواب آخر للقاضي أحمد ابن سودة ومعه الشيخ عبد الله بن إدريس البدراوي.

وقد جاءت أجوبة الفقهاء تراعي واقع المغرب أمام قوة المعتدي، مضافا لذلك البعد الشاسع بين المغرب وساحة المواجهة، فلذلك لم يرو مجالا للفتوى بالتدخل العسكري،[3] على أن بعضهم أشار بالتدخل سلميا وسياسا مع الدولة المعتدية.

☆ ☆ ☆

وننتقل ـ الآن ـ إلى تبريز شيء من معطيات الرسائل السودانية، فنشير إلى ما تقدمه من معلومات عن أساليب الاعتداء الفرنسي على المنطقة، ومن أهمية هذه اللقطات مقارنتها مع الروايات الفرنسية، وتصحيحها من هذه المستندات الوطنية، وهكذا تفضح رسالة أمير التكرور، فظائع فرنسا وهي تحتل أجزاء إمارته :

«...وقد خربوا المساجد، وحرقوا المصاحف، وأذزوا كتب العلم منشورة على الفلوات، وأعدوا المصلى كنائس، وجعلوا النواقيس مكان التأذين، واتخذوا بنات الشيخ : (والده الحاج عمر) سراري، وأولاده خدما، وقسموا أولاد المسلمين بين صناديد المشركين».

أما رسالة أمير تينبكتو فتحدد ـ أولا ـ بداية التحرش الفرنسي بعام 1305 «87 ـ 1888»، ثم تعرض تفاصيل عن الاعتداء على إمارة التكرور : «...وقدموا لمدينة جِنِ في 23 من رمضان في السنة العاشرة «1893» بالحرب والقتال، وأرادوا خديعتهم بما ذكرنا، فلم يقبلوا منهم إلا الحرب والقتال، وتحاربوا معهم حربا شديدا، وقد قتل من الفريقين مقتلة عظيمة، وظفروا ـ بعد ـ بأهل جن المذكور، وملكوا مدينتهم ودخلوها عنوة، ونهبوا جميع ما يملكونه من خيل وسلاح ومال، وسبوا نساءهم وذراريهم.

وخرجوا من البلد وتركوا بعضا منهم فيها، وعبروا البحر قاصدين أحمد بن الحاج عمر الفوتاوي، الذي كان متملكا على تلك النواحي كلها، حتى بلغوا دار ملكه

3) تتطابق هذه الفتاوي مع اتجاه الناصري، فيعلق على نازلة طرحت قبل هذا التاريخ، بفقرة مطولة نقتبس منها قولته : «...فهذا القطر المغربي تدارك الله رمقه، على ما نرى من غاية الضعف وقلة الاستعداد، فلا تنبغي لأهله المسارعة إلى الحرب مع العدو الكافر، مع ما هو عليه من غاية الشوكة والقوة...» : «الاستقصا»، دار الكتاب ـ الدار البيضاء 1956 : 189/9.

بنيغر، ففر منهم هاربا يطلب نجاة نفسه، وطلبوه على الأثر بعد الهرب حتى عجزوا عن طلبه، ورجعوا ومكثوا فيما ذكرنا من البلاد كلها، وقد أطاعهم جميعها، إنا لله وإنا إليه راجعون».

☆ ☆ ☆

ومن إفادات هذه الرسالة وسابقتها : الإعلان عن مركز المغرب بين حكام السنودان، وتقرير استمرارية ولاء أفريقية الغربية لملوكه حتى أواخر القرن 19، وقد جاء في رسالة أمير تينبكتو، تصريحها بأن المنطقة في طاعة وبيعة الحسن الأول، ثم اقتناع الغزاة ـ أولا ـ بذلك، وقد قالوا لمخاطبيهم، بأنهم علموا الأرض لمن هي.

يضاف لهذا : دلالات خطاب أمير التكرور وهو يستغيث بالسلطان الحسن الأول قائلا : «والآن : الله. الله. الله يا خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله في أمته، يا بن سيد المرسلين، دارك. دارِك، دارك سريعا، إن صحبك عذبوا، وبلادك قد خربوا، ورعاياك قد شتتوا، فهم ـ اليوم ـ بين قتيل وأسير وطريد ومنهوب ومنتهك ستره»، إلى أن يقول للعاهل المغربي : «فانظر ماذا ترى، فإنا منك وإليك، لا من غيرك، ولا ننسب إلى أحد سواك، فإن كوننا من تلامذة الشيخ التجاني ـ رضي الله عنه ـ أظهر من كل ظاهر، وكوننا من أهل بيعته ظاهر جلي، وكون الشيخ التجاني ـ رضي الله عنه ـ في بيعة جدكم المكرم، والشريف المعظم : أَمِيرُ الْمُومِنِينَ مَوْلَانا سليمان : أظهر من نار على علم».

☆ ☆ ☆

وإلى هنا فقد قدم هذا العرض تحليلا سريعا للمجموعة الوثائقية عن استغاثة السودان الغربي بالسلطان الحسن الأول، ونضيف ـ الآن ـ ملامح من أصداء هذه النازلة في الإعلام التاريخي المغربي، فيأتي في إحدى كناشات العباس بن عبد الرحمن السجلماسي : «وفي أوائل رمضان من عام 1311 «1894» : ورد كتاب السلطان على علماء فاس، طالبا منهم الجواب عما كتب له به أمراء تمبكتو يطلبون منه الإعانة، لأن العدو فاجأهم».

ثم يعلق على القضية ذاتها مؤلف «تلخيص ما عليه المعول، في أخبار من بالمغرب من الدول»،[4] وخلال حديثه عن رجوع السلطان الحسن الأول من رحلة

4) خ. س 12385، وهناك تعريف وجيز بهذا المصدر، ضمن سلسلة «المصادر العربية لتاريخ المغرب»، **مجلة كلية الأداب** بالرباط : العدد 13 ص 221.

تافيلالت عام 1311 «1894» لمراكش، يضيف قائلا : فوردت على حضرته بها مكاتب أهل تمبكتو وما جاورها من بلاد السودان، باستغاثتهم على الفرنسيس الذي أراد الاستيلاء على بلادهم، فكتب لعلماء فاس بقصد الإفتاء في النازلة والحكم فيها، فأفتوا بعدم إجابتهم لأمور بينوها، وجلبوا نصوص الفقهاء، عليها، فأجابهم بكلام ليس بصريح : لا بقبول ولا بعدمه تطييبا لخاطرهم».

وهذه الفقرة تشير ـ أيضا ـ إلى طبيعة الجواب الحسني، الذي سنقدم نموذجا منه عند الملحق 2.

كما أن الفقرة الموالية، تفيد عن مقابلة العاهل المغربي لوفد السودان، وهو ما يعلن عنه الحسن بن الطيب بوعشرين في تاريخه : «التنيه المعرب. عما عليه الآن حال المغرب»،[5] فيقول ءاخر ترجمة س الحسن الأول : «...فعند أواخر عمره وصلته البيعة من السودان، ورد عليه بها بعض أهل بلاد تينبكتو، واجتمع بهم بمراكش، ورأوه ورءاهم، وكلموه وكلمهم، ورأيناهم نحن كذلك».

ثم ذكر الواقعة الطاهر الوديي في كتابه : «الاستبصار»،[6] غير أنه اختلط عليه اسم أحمد الكبير ـ باعث الرسالة الثالثة ـ باسم والده الحاج عمر الفوتي، وزعم أن وزراء السلطان الحسن الأول سخروا من لباس الوفد السوداني : الثوب الأزرق واللثام، كما أنهم لم يخلصوا النصيحة لما استشارهم ولي الأمر، فحذروه من التدخل لدا فرنسا، وعظموا له المشقة في شأن هذه الإعانة الواجبة، وختم بالتقليل من قيمة الصلة التي سلمها وزير المالية للسفيرين السودانيين، مع الإشارة إلى الرسائل الحسنية الجوابية، وفيها ـ حسب تعبير المؤلف ـ «سيكون الكلام عن ساق جد مع الدولة الفرنساوية».

ونضيف ـ الآن ـ إلى الرسائل الأربع الأولى، رسالة من وكيل المغرب بمصر : الحاج عبد الواحد التازي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 10 رمضان 1311 «1894»، وقد جاءت صياغتها مهلهلة في شكلها : تعبيرا وأسلوبا وإعرابا، غير أن مضمونها ينم عن تفكير سياسي، وخبرة بنوايا فرنسا، وإدراك عميق لوضعية المغرب ءانذاك.

---

5) عن التعريف به يرجع إلى نفس المجلة والعدد : ص 225 ـ 226.

6) عن «الاستبصار» : يرجع إلى «مظاهر يقظة المغرب الحديث» ط. بيروت : 247/1 ـ 248.

وأولا : يشعر القنصل المغربي مخاطبه المنوه به، باحتلال فرنسا لتينبكتو، وأمام هذا الواقع يتقدم باقتراحات، ومنها إشعار قبائل فجيج وتافيلالت وشنقيط بأن يكونوا على حذر، تحسبا لهجوم فرنسي مفاجئ، مع إمدادهم بحاجيات الدفاع من مال وسلاح.

ثم تطرح الرسالة اقتراحا بتوجيه الرعية - سرا - إلى بذل المعونة للمجاهدين بالسودان الغربي، حيث استغاثوا بعاهل المغرب، ويضيف : فلو بقيت لهم الدراهم، لاستمروا يقاتلون المعتدي عشر سنين.

والرسالة - بعد هذا - لا تزال تحمل أفكارا سياسية هادفة، ويرد نصها - توا - في الملحق التالي.

أما الرسائل الأربع الأولى، فنحيل على مقتبسات منها عند الأستاذ الكبير : محمد إبراهيم الكتاني، في دراسته المهمة عن «مصادر تاريخ إفريقيا».(7)

7) «مجلة الأكاديمية»، العدد 4، نونبر 1987 : ص 231 - 237.

ملحق 1
رسالة وكيل المغرب بمصر الحاج عبد الواحد التازي
إلى السلطان الحسن الأول

الحمد لله

نعم سيدي

فليكن في شريف علم سيدنا ـ أدام الله مجده وعلاه ـ أن قد بلغنا بأن الفرانسيس ـ دمره الله ـ خرج من سنكّان لجهة تمكتوا، وأخذها بحيلة حيث جاءهم على غفلة، وكانوا تقاتلوا معه ـ سابقا ـ وأخذ الله بيدهم وقهروه، نصرهم الله على القوم الكافرين، وعدو الله قصده الخروج في تلك الجهة لمشاركة البر، والتداخل منها خيب الله أمله، وكلما يمشي يمد السكة الحديد لتتبعونه بمهمات الحرب أهلكه الله، ومرارا توجه لفچيچ وعين الشعير فيقهرونه المجاهدون، ولمْ عُرف يسلك من تلك الطريق، فتوجه لهذه الجهة عسى أن يدرك قصده، ربنا يخذله ويهلكه بقدرته، ويسلط عليه عدوا أقوى منه، بجاه مولانا رسول الله.

فإن اقتضى نظر سيدنا أن يبعث لجميع قبائل تلك الجهة يكونون على حذر وبصيرة منه، وأن يدافعوه ويقاتلوه إن جاءهم على غفلة، ويمدهم سيدنا بما يحتاجون إليه من الدراهم وءالة الحرب ليكونوا مجتهدين في الحزم، مثل أعراب جكنا وشنكيط وبنو محمد وعبد الله وسالم وغيرهم، وأن يكونوا على بال من العدو ويستعدوا له اتباعا لقول الله تعالى، وسيدنا يطالع كتاب الدسولي وما نقله في هذا الباب.

وإن اقتضى نظر سيدنا أن يمدهم ـ على سبيل السر ـ بدراهم وقوت : صدقة، ولأجل مقابلة العدو، وإعانة للمجاهدين الذين يدافعون العدو عنا وعنهم أخذ الله بيدهم، وينبههم بعدم دخول أحد غريب لبلدهم، لربما يدخل بلدهم الكافر ويقول : إنما تابع لمن يقاتله وهو حيلة، وإن قاتلوه مثل الصبنيول ودافعوه عنا وعنهم ذاك من فضل الله، جاءت لنا في الدراهم ربنا يخلفهم، فلو ما قاتلوه وردوه لكان زاد في الدخول، ولكن ببركة سيدنا ورضاء الله علينا ما بلغ مراده، فسيدنا يعمل اللطيف، وقراءة سيدي البخاري كل يوم : يدعون ويتضرعون إلى الله.

ولا يخفى على سيدنا بأن الكفار لما يملكوا ذراعا يمدون فيه سكة الحديد ليملكونه، مثل ما فعلوا بتونس : خرجوا يتبعون الذين يخاصمهم حتى دخل تونس على غفلة، ووقف على باب دار وليها وحاكمها، فقال له يقبل هذا الشرط : أنه يكون تحته وإلا يقبض عليه، فما نفعه إلا قبول قوله، ربنا يحفظنا من هذا الكافر.

فينبغي أن نكون ببال من العدو في كل جهة، ولم نغفل عليه مثل غيرنا، ولا نصدقه، لقول الله تعالى : ﴿ولا تومنوا إلا لمن تبع دينكم﴾، أدام الله لنا وجود سيدنا، الذي بوجوده يدفع هذا الكافر بالتي هي أحسن.

ولا يخفى على سيدنا بأن الكفار يمدون أيديهم، فإذا وجدوا من يقوم معهم على ساق الجد رجعوا، وإلا يزيدوا قوة واستعدادا، ربنا يخيب أملهم.

وقد خرج الكافر من جهة البحر ليحضر له جميع ما يحتاج إليه، حيث المراكب موجودة عنده ينقل فيها جميع المهمات وما يحتاج، وتداخله سنكان بدفع الدراهم للكبراء، والقتال مع الصغار، وإن ـ لا سمح الله ـ ودخل من ذلك الجهة يبطل مدخول الصويرة وغيرها، حيث تلك الجهة تنفع المراسي ورعية سيدنا، ويدخل مال له بال من تلك الجهة، والنظر لمولانا.

وإن رام أن يبعث لجميع رعيته مع أحد من طرفه مثل بُنِعيش، يكلمهم ويوصيهم، ويأمرهم بمدد جيرانهم سرا بما يستعينون به لوجه الله العظيم، حيث استغاثوا بسيدنا، فلو بقي لهم الدراهم يبقوا يقاتلونه عشر سنين.

والنظر لمولانا أدام الله وجوده ومجده وعلاه، ءامين، والسلام : في 10 رمضان المعظم عام 1311.

خديم المقام العالي بالله
الحاج عبد الواحد التازي
ج ح II

ملحق 2

نضيف ـ الآن ـ ملحقاً ثانياً يشتمل على أحد جوابي السلطان الحسن الأول عن إستغاثة السودان، وقد جاء في رسالة حسنية خطابا للبشير بن محمد بن عبد الرحمن التلموذي الجزولي، حيث احتفظ بها سجل وثائقي لاستنساخ الرسائل المخزنية :

المحب الأرضى السيد البشير بن محمد بن عبد الرحمن التلموذي الجزولي.

وبعد : وصل كتابك عن إذن أعيان أهل تنبكت، بأن الفرنصيص كان راودكم على البيع والشراء، واجبتموه بأنكم في طاعتنا، ولا تفعلون معه شيئا إلا بأمرنا الشريف. فإذا به حارب أهل جِنِ وأخذها، وعبر البحر قاصدا ولد الحاج عمر كبير قومه، ثم كاتبكم بقبول ما طلبه منكم بعد فراغه من مقاتلة ولد الحاج عمر المذكور، وطلبتم من شريف جنابنا إغاثتكم وإعانتكم، واعتذرتم عن القدوم لحضرتنا الشريفة بعطش مفاوز الطريق، وأنكم حيث يصل إبان الشتاء تقدمون لأعتابنا السنية، وصار بالبال.

فقد كتب كبيركم الخديم يحيى بن الكاهْيَ لحضرتنا الشريفة بمثل ذلك، وأجبناه صحبته بأن ما طلبتموه من استنقاذكم وإعانتكم لما فيه مدافعة عنكم، فذلك لدينا من الأهم الأكيد، ولو أمكن الاتصال لبالغنا في إمدادكم ومآواتكم منا إلى ركن شديد، إلا أن طول المسافة وإفراط البعاد، قد يضير العزم إمهالا، ويجعل الحال استقبالا.

ولذلك أوجب الشرع الإعانة على أهل المحل الذي فجأه العدو والمجاورين لهم ـ خاصة ـ وجوبا عينيا، دون البعداء لسقوط الفرض عنهم شرعا بسبب البعد الشاق.

على أننا حاولنا الكلام مع الفرنصيص في شأن كفه عنكم، ورفع يده عن التغلب عليكم الواقع بلا قاعدة. فاقتضت السيرة الاصطلاحية، التوقف على الحجة بكونكم تحت إيالتنا السنية، ومن جملة مملكتنا المرعية، ليحتج بذلك على الفرنصيص.

وعليه : فإن كانت لديكم مكاتبات من أسلافنا الكرام، المقدسين في دار السلام، أو ظهائر شريفة قديمة، أو إشارة يقينية، فوجهوا لنا ما تحصل به الحجة من ذلك، لنحاجّه به، ويسلم أنكم تحت إيالتنا السعيدة، ولا يكن تقصير ولا غفلة ـ بحول الله ـ عنكم بكل ما أمكن من المدافعة والاستنقاذ، بحول من له القوة.

وهو المسئول ـ سبحانه ـ أن يكفي ما أهم، ويكشف ما ألم، ويوفي المومنين بما وعدهم ـ على لسان أنبيائه ورسله الكرام ـ من النصرة والعناية، إنه على ما يشاء قدير. وبالإجابة جدير.

والسلام، في أواسط رمضان عام 11 (13).

المصدر : «السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية» للأستاذ محمد ابن عزوز حكيم : الوثيقة 90 ص 160.

ملاحظة : المخاطب بالرسالة (البشير التلموذي)، هو كاتب الوثيقة الثانية المشار لها صدر هذا العرض. ويبدو أنه كان مكلفا بهمة في الصحراء والسودان، خلفا عن والده محمد بن عبد الرحمن التلموذي الجزولي.

ملاحظة ثانية : رسم إسم تينبكتو بالمصادر في شيء من التخالف بين بعض حروفه، فحافظت على كتابته وفق ما جاء بالمصدر المعني.

صور عن أوروبا من خلال ثلاث رحلات مغربية وبعض المراسلات الرسمية

عبد المجيد القدوري

كلية الآداب - الرباط

تعتبر الرحلات صنفا أدبيا متميزا. يدخل ضمن منطق إسلامي دعا ويدعو المومن دوما إلى إعداد نفسه وروحه للرحلة الكبرى وأعني الرحلة المطلقة وذلك عن طريق رحلات صغرى من ضمنها أداء الحج.[1] إن أهمية الرحلة في الإسلام أمر معروف لا بالنسبة للمسلمين فقط بل صار معروفا أيضا لذى غير المسلمين فقد استغرب أحد النصارى لما رأى أحمد قاسم الحجري بمدينة بوردو فخاطبه قائلا :

«يا فلان تعجبت منك، كيف أنت على دين المسلمين ؟ قلت له لماذا ؟

قال لأن عندنا في كتبنا أن المسلمين يزورون مكة ليروا نبيهم».[2]

فالرحلة إلى الحج، إضافة إلى كونها ركنا من أركان الإسلام فإنها تلعب كذلك أدوارا أخرى على مستوى الرمز لأنها تمكن من الالتفاف والتضامن وتجسد القوة.[3] تنفرد الرحلات بإعطائها معلومات تكون مبنية على المشاهدة والإحتكاك وتساهم من جهة ثانية في التكوين الروحي والخلقي للمسافر.

لن نقف في هذا العرض عند هذا النوع من الرحلات التي تخضع لمقاربة خاصة لأنها تتم داخل الرقعة الثقافية الإسلامية (دار الإسلام) وتتم قصد تحقيق غايات

---

1) توجد عدة أحاديث في الموضوع «الحجاج والعمار وفد الله ووزراؤه. إن سألوه أعطاهم، وان استغفروه غفر لهم، وان تشفعوا شفعوا». كما أن آخر سفر للرسول كان حجة الوداع.

2) أحمد قاسم الحجري الأندلسي المعروف بأفوقاي، ناصر الدين على القوم الكافرين تحقيق محمد رزوق، البيضاء 1987. ص 87.

3) لاحظ الياس كانيتي في كتابه الهام منهجيا، وإن كان يبتعد - في مناسبات كثيرة عن المواضيع المدروسة - لاحظ بأن الإسلام قد ركز على التفاف المسلمين، والذي كان يتم على الأقل في أربع مناسبات : يوم الجمعة - في موسم الحج. في الجهاد، وفي يوم القيامة.

E. Canetti, **Masse et Puissance** Paris, gallimard, 1960 p.p. 150-152

عقائدية أو علمية لهذا لا يشعر فيها المسافر بالغربة ولا بالغرابة ومن تم فإنها تختلف عن منطق الرحلات التي يقوم بها الرحالة الأوروبيون نحو العالم الإسلامي أو تلك التي يقوم بها رحالة مسلمون نحو أوروبا لأن هذا النوع يندرج ضمن «ذات الأنا الثقافية» «اتجاه ذات الآخر» علاقة الأنا بالأجنبي (l'Etranger) لنلاحظ كيف. تلتقي كلمة غريب بمفهوم أجنبي (étranger) وكذلك مفهوم غير المألوف وهو من الاشتقاق نفسه. ولاشك أن الأجنبي قد أثار ولا زال يثير الشكوك والخوف في النفوس لأنه ينتمي للمجهول.

درست الرحلات الأوروبية نحو الشرق في مفهومه الواسع. فكانت تَدْخُل ضمن مشروع المد الاستعماري الباحث عن استكشاف نقط ضعف الآخر قصد تبرير تحركاته ولهذا اكتشف الغرب عبر رحلاته «الشرق المنغمس في سبات عميق» على حد قول فلوبير لقد بحث عن شرق ألف ليلة وليلة. لقد ارتبطت الأسفار إذن في أوروبا بمنطق التوسع والشعور بالتفوق على الآخر مما جعل بعض الباحثين يربطون بين كل تأويلات مفهوم الشرق بآفاق التوسعات الأوروبية.(4)

إذا كان هذا النوع من الرحلات نسبيا معروفا فتبقى الرحلات المتجهة من الجنوب نحو الشمال غَيْرَ مَعْرُوفَة. لا زالت دراسة هذا الموضوع في بِدَايَتِهَا ويبقى الخوض فيه مغامرة ومع ذلك فإن الاهتمام به ضرورة لا من أجل إعطاء مسلمات ولكن قصد طرح أسئلة وفرضيات وهذا ما ننوي القيام به مِنْ خِلَالِ هذه الْمُسَاهَمَة التي نريدها أن تكون مجالا للنقاش ومنطلقا لِلْحِوَارِ.

تحتوي الخزانات المغربية على عدد هائل من كتب الرحلات الحجازية أو الرحلات العلمية إلا أن هذه الخزانات تفتقر عندما يتعلق الأمر بالرحلات نحو الشمال : نحو أوروبا مع العلم أن الإنتاج الأوروبي في الموضوع جد مهم ! ألا يمكن أن نرى في هذه الظاهرة تعبيرا آخر وتجسيدا للتفاوت فيما بين الضفة الشمالية للبحر المتوسط وضفته الجنوبية ؟ ألا يمكن أن نجد فيها / وَمِنْ خِلَالِهَا مَظَاهِر واضحة لديناميكية ومبادرة أوربا وإرادتها في الاستحواذ على العوالم الأخرى ؟ لا شك في أن إنتاج أدب الرحلات يكون مسبوقا بالإرادة وبالحركة البشرية نفسها فمن المعروف أن أوربا خرجت منذ القرن الخامس عشر من مجالها لتدخل وتكتسح مجالات جديدة

(4 Alain Clerival : « l'ovient des voyageurs Francais au XIXᵉᵐᵉ ». in Nouvelle Revue Française n° 399 oct 1985 p 61.

بحثا عما يمكنها من تجاوز ذاتها. وقد لاحظ أحمد قاسم الحجري ذلك عندما دعاه قاضي مدينة بوردو للعشاء فاعتذر له، لكن القاضي ألح عليه، لأنه استدعى بالمناسبة أو للمناسبة رجلا من أكابر المدينة فسجل المؤلف الملاحظة التالية :

«وفهمت أنه أحب الكلام في الأديان ليشرح للضيف لأن أكابر الفرنج يفرحون بالمسائل **الغريبة**».[5]

ثلاث رحلات مغربية إلى أوربا : تكامل واختلاف

نعتمد في إنجاز هذا العمل المتواضع على دراسة ثلاث رحلات نعتقد أنها تتكامل إلا أنها تختلف مع بعضها.[6] أولها رحلة ناصِر الدين التي هي في الواقع سيرة ذاتية ألفها الحجري بطلب من أَحَدِ الْعلَمَاءِ المصريين وهو علي الأجهوري. لهذا اعتمد في كتابتها على الذاكرة وكان يهدف من خلالها الوصول إلى مرامي دينية. لقد دون فيها الحجري الأحداث والمناقشات التي اعترضت سفره إلى كل من فرنسا، والعمالات المتحدة وقد تم هذا السفر عبر البحر انطلاقا مِنْ مِينَاء آسفي الواقع على الساحل الأطلسي للمغرب في مطلع القرن السابع عشر. أما ابن عثمان الذي كتب رحلته الإكسير في فكاك الأسير فقد كان معاصرا لعصر الأنوار. ألف رحلته هذه في نهاية القرن الثامن عشر في مرحلة تميزت فيها الأوضاع في المغرب بوجود إرادة رسمية للانفتاح. سعى المغرب خِلَالَها إلى ربط علاقات متعددة مع العالم الغربي، فجاءت هذه الرحلة لتعبر عن مواقف مؤلفها الذي كان مسؤولا وعلى علم بخبايا أمور العلاقات. تم السفر برا وبواسطة الأكداش[7] عبر الطرق السهلة والصعبة داخل المدن والقرى في اسبانيا. وأما الرحلة الثالثة فمؤلفها أحمد بن محمد الكردودي الذي ألف التحفة في نهاية القرن التاسع عشر وهي فترة عرفت أوج التوسعات الأوربية، وممارسات وضغوط القوى الاستعمارية وتضييقها الخناق على باقي

---

5) أحمد قاسم الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين، الدار البيضاء، 1987 ص 63.

6) 1 - أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي أفوقاي، **ناصر الدين على القوم الكافرين** مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، تحقيق محمد رزوق، الدار البيضاء النجاح الجديدة 1987. (ناصر الدين).

2 - محمد بن عثمان المكناسي، **الاكسير في فكاك الأسير**، تحقيق محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط 1965 (الاكسير، ابن عثمان).

3 - أحمد بن محمد الكردودي، **التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الاصبنيولية**، المطبعة الملكية الرباط 1965 (الكردودي - التحفة).

7) الأكداش جمع كدش الأصل اسباني (Coche) العربة التي تجرها الدواب.

المنـاطـق الأخرى بمـا في ذلـك المغرب، لقـد سـافر الكردودي برا وبـواسطـة القطـار فجاءت رحلته سريعة الملاحظـات وجـافـة الحركـات. لا شـك أن لهـذا التكـامل عبر وسائل النقل برا وبحرا بالسفن الشراعية والأكداش وبواسطة القطـار والسفن التجـاريـة وقع كبير على طبيعة الصور التي حملها لنـا كل واحـد من هؤلاء انطلاقـا من شواغل وهمـوم عصره لأننـا أردنـا تتبـع هـذه الصـور عبر القرون لنتمكن من رصـد مـلامـح التطورات الحاصلة في المواقف والممارسات. كما عملنا من جهة أخرى على مقارنة أو مراقبة تلـك الصور اعتمـادا على بعض المراسلات الرسميـة سواء المعروفـة منهـا أو غير المعروفة حتى نقترب قدر الإمكان من صور ومواقف ذهنيـة خلفهـا من بماهم ابن أبي محلي بـأولى الأمر المسـؤولين عن القرارات داخـل المجتمـع المغربي وهم ثـلاثـة في نظره :

«الأمراء العـادلون، العلمـاء الراسخـون، الأوليـاء العـارفـون في الإسـلام والإيمـان والإحسان وكل واحد منهم صاحب أمر فنه وإليه يرجع فيه».[8]

لقد عاصر الحجري أحداثـا وتحولات سيـاسيـة معبرة سواء على المستوى المحلي المغربي أو الدولي فقـد مر المغرب بمحن وويلات واضطرابـات سيـاسيـة منـذ نهـايـة القرن السـادس عشر إلى غـايـة منتصف القرن السـابـع عشر عبر عنهـا ابن أبي محلى بوضوح بقولـه : «لقـد طـال ليل الكرب... فـاضَ دمع الأسف... تعطلت قـلائـد الشكر واسود وجه الزمان، عم البلاء الأركان، ولا مغيث يرجوه الغريق... ولا حيلة لأحد من الخلق مع ما نزل بهم من البؤس».[9]

لقـد تغيرت الأحـوال «وانتصرت الكرافيـلا على القـافلـة» حيث دمرت التجـارة الصحراوية التي كانت مندمجـة في المجتمعـات الإفريقيـة فقـد كـان لهـذه التحولات وقعا كبيرا على ذهنية ومواقف الأشخاص والجمـاعـات. فمـا هي أبعـاد هـذه التحولات على بنيـات المجتمـع المغربي ؟[10] ومـا هي الأدوار التي لعبهـا المـد الأوروبي نحـو الجنوب ونحو الغرب في التصدعات السياسية وغيرها التي أصابت العوالم الأخرى ؟

---

8) عبـد المجيـد القـدوري، «ابن أبي محلى ورحلتـه من خلال الاصليت»، أطروحـة غير منشورة، كليـة الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1984.

وكذلك يمكن الرجوع : ابن أبي محلى نموذج الفقيه الثائر على الوضعيـة والمبـادئ بـالوحـدة ضمن مجموع في النهضـة والتراكم تكريم للأستاذ محمد المنوني، دار توبقال البيضاء 1987 ص 285 ـ 297).

9) ابن أبي محلى، الاصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت مخطوط خ.حسنية عدد 100.

10) قد يكون من المفيد طرح مشكل التحقيب التاريخي بالمغرب كيف نفهم ظهور الشرف على الساحة السياسية في البلاد في هذه الفترة ؟ لماذا نجح السعديون والعلويون حيث فشل الأدارسة الجوطيون ؟

كـان أحمـد قـاسم الحجري الأنـدلسي من الموركسيين الـذين عـانوا من ويـلات الطرد الإسباني لهـذا جـاء كتـابـه بمثـابـة صيحـة جريح مشحونـة بهموم وأحزان هـذه الطائفة إلا أنه كان يتوفر على شخصية قوية له إلمام باللغات كمـا بين ذلـك عنـدمـا سأله الأمير موريس عن ذلك فأجابه :

«العربيـة، ولسـان اشبـانيـة، ولسـان أهل برتقـال وكلام الفرنـج نفهمـه ولكن مـا نعرف نتكلم به[11]. عاش لمدة طويلة متسترا في اسبـانيـا قبل فراره منهـا إلى المغرب غير أنه لم ينس معاناة الموركسيين لذلك أشهر قلمه على ملك اسبـانيـا فليب الثـالث. لقد عين من طرف المنصور سنة 1597 مترجما رسميا لـه وبقى في هـذا المنصب على عهد زيدان إلا أن اشتداد الفتنة خيب آمالـه فقرر الرحيل إلى الحج وعنـد العودة منـه استقر نهائيا بتونس.

يطغى على عنوان الرحلة ـ ناصر الدين على القوم الكافرين[12] الطابع السجـالي والإرادة الجهادية للمؤلف لكن أي جهاد كان يقصد ؟ يبدو من خلال قراءة الرحلـة أن جهاده كان بالقلم لأنه آمن واقتنع باستحالة الجهاد بالسيف لقد أورد حديثـا نبويـا في الموضوع :

«ما تواطأ قوم على ترك الجهاد إلا ابتلاهم الله فيما بينهم».

المهم ليس الحـديث في ذاتـه، بـل المـلاحظـة التي سجلهـا الحجري عقب هـذا الحديث والقاضية بقوله : «وقد شاهدنا شيئا من ذلك» فلا شـك أن إشـارتـه هنـا تعني الاضطرابات التي عمت المغرب في مطلع القرن السـابع عشر. لقـد بين في منـاسبـات كثيرة أثناء النقاش أو غيره بأنه كان يجاهد بل حتى إذا ساعدته إمرأة ماديا فإنه يؤول ذلك في نفس الإتجاه :

«...ثم ابصرتني المرأة التي كـانت معنـا للكـلام، ورعت أن لا يراهـا أحـد وأعطتني دراهيم ذهبا ليس بالقليل وذلك من فضل الله والجهاد على الدين».[13]

لن ندخل هنا في نقاشات حول مفهوم الجهـاد والـذي حـاولت بعض الـدراسـات الحـديثـة أن ترى فيـه مجرد لعبـة سيـاسيـة كـانت تنسج حولهـا استراتيجيـات الـدول المحيطة بالبوغاز، أنها اللعبة المتعارف عليهـا والهـادفـة إلى الخلـط السيـاسي إذا كـان الحجري قد أبرز مظاهر عصره فما هي الحالة بالنسبة لصاحب الإكسير ؟

11) الحجري، ناصر الدين... ص 108.

12) في الحقيقـة هي مجرد ملخص لرحلـة الشهـاب إلى لقـاء الأحبـاب وهو كتـاب لا زال مفقودا إلا أنني علمت من طرف الأستاذ شورت كونكسفلت بأن نسخة، منه توجد بباريس

13) الحجري... ناصر الدين، ص 98.

عرف المغرب أزمة الجيش منذ وفاة المولى اسماعيل وقد دامت ما يزيد على ثلاثين سنة (1727 ـ 1757). اجتاحت البلاد خلالها تناحرات وتقسيمات عميقة. لم يرجع الاطمئنان إلا بصعوبة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر. خلال هذه الفترة عمل المخزن المغربي على الانفتاح على الخارج بربطه لعلاقات متعددة عن طريق معاهدات تجارية مع الغرب أو تجديده لاخريات كانت قديمة كما فعل مع العمالات المتحدة : «الحمد لله وحده

وبعد، كافة خدامنا بثغر الصويرة المحروسة بالله سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فاعلموا إننا جعلنا المهادنة مع أفلامنك في يوم رابع والعشرين من جمادى الأولى عام 1191 هـ 23 يوليوز 1777) فنأمركم أن تتركوا تجار الفلامنك الذين هنالك.[14]

لقد حظيت هولندا بامتيازات كثيرة من طرف المسؤولين المغاربة كما توضح ذلك الوثائق العديدة الموجودة في دار المحفوظات الوطنية بلاهاي، فهذا محمد بن العربي المسؤول عن ميناء الصويرة يقول لقونصو هولندا :

«وأنت كلما تكاتبه لنا من جانب الجنس الفلامنك نحن نقفو فيه إن شاء الله غاية الوقوف».[15]

أما محمد بن عثمان المكناسي فقد أظهر إرادة الإنفتاح على الغرب وكان أداة عملت على تطبيق الإرادة الرسمية. فقد كان أبوه واعظا في إحدى مساجد مكناسة قبل أن يعوضه هو فيه وهو لا زال في مرحلة الشباب. من بعد هذا المنصب سيكلف ابن عثمان بتسيير خزانة السلطان محمد بن عبد الله الذي عينه فيما بعد كاتبا خاصا له. لقد عمل ابن عثمان على توطيد علاقات المغرب مع الخارج وفي هذا الصدد قام بعدة رحلات إلى كل من صقلية، ومالطة، وأسطمبول حيث بقي لمدة ثلاث سنوات ثم إلى إسبانيا من أجل فك الأسرى وتجديد المعاهدة وعن هذه الرحلة ألف كتابه الإكسير. كانت لابن عثمان إذن اليد الكبرى في سياسة المغرب الخارجية على عهد ثلاثة من ملوك المغرب وهم : المولى محمد بن عبد الله، والمولى اليزيد ثم المولى سليمان. لهذا سعى إلى التعرف على قناصل الدول حينما كلف بهذا المنصب والقاضي بالنيابة عن السلطان في قضاياهم كما تنص على ذلك المراسلة التالية :

14) المحفوظات الوطنية بلاهاي عدد 1.02.01 رقم 24.

15) المحفوظات الوطنية بلاهاي عدد 1.02.01 رقم 37.

«الحمد لله وحده،

كافة القونصوات سلام على من اتبع الهدى وبعد، وصلنا كتابكم وعرفنا جميع ما فيه من عرض أموركم كلها على **كاتبنا الفقيه محمد بن عثمان** عرض لكم أمر منها وهو يذكرها لنا عن يده ياتيكم الجواب عنها فعلى ذلك يكون عملكم في 12 ربيع الثاني عام 1207 هـ».[16]

لقد أجاب ابن عثمان القناصل في شأن هذا الموضوع باستعماله لعبارة إلى «كافة أحبابنا» إلى أن قال «وأنتم على ما تعهدون منا في جانبكم قديما وحديثا وإن كان لكم غرض فنحن موجودون لمساعفتكم» لنلاحظ استعماله للفظ مغربي «مساعفة» بمعنى تحمل ما لا يحتمل والأخذ بالخاطر. كانت رحلته انفتاحا وإرادة لفهم واقع اسبانيا لهذا جاء أسلوبه مملوءا بالأسئلة المطروحة مباشرة على القيمين وذوي الاختصاصات فكان يكثر من كلمات : سألت... أخبرني[17] فمن خلال قراءة فاحصة لهذه الرحلة يظهر لنا مدى تكوينه المتين في الشؤون الدينية طبعا، ولكن وبالأساس في التاريخ الإسلامي عموما وفي تاريخ أوروبا واسبانيا على الخصوص ولا أدل على ذلك مما أورده في شأن تاريخ العرش الاسباني،حيث أبرز من خلاله الروابط الاسرية التي كانت تجمع عرش إسبانيا ببلدان أوروبا عموما وبفرنسا على الخصوص. أو ما ركز عليه عند تحليله لتاريخ الكشوف الجغرافية واستفادة اسبانيا منها.[18]

جاءت رحلة الاكسير غنية بالمعلومات ومدققة في الأوصاف ربما يرجع ذلك لطبيعة إنجازها برا وبواسطة الأكداش وخلال مدة زمنية طويلة إضافة إلى نضجه السياسي. لم يفصل ابن عثمان في أهداف الرحلة بل اكتفى بذكر إرادة المغرب في فكاك أسرى المسلمين وتجديد معاهدة الصلح بين البلدين إلا أن القراءة المتمعنة تبين أنه كان يسعى من جهة أخرى إلى التعرف على المؤسسات الإدارية، والاقتصادية في اسبانيا كما نلمس ذلك من خلال كلامه عن مصانع التبغ حين كتب :

«لاكنني احتملت ذلك فملت إلى أن أعبر خبرهم وأعرف عجرهم وبجرهم».[19]

---

16) المحفوظات الوطنية لاهاي عدد 1.02.01 رقم 34.

17) يمكن الرجوع إلى الاكسير، صفحات : 68، 69 و103 الخ.

18) ابن عثمان، الأكسير ص89.

19) ابن عثمان... الأكسير ص 48.

وإذا كان ابن عثمان قد عقد العزم على معرفة التنظيمات الاسبانية إذ ربما قصد الاستفادة منها مع نية تطبيق البعض منها في بلاده فإننا سنجد الأحوال قد تغيرت على عهد الكردودي.

لقد استطاعت أوربا خلال القرن التاسع عشر أن تصل إلى نوع من التوازن فيما بين دولها الصناعية. حيث قسمت العالم إلى مناطق نفوذ فيما بينها. اتخذت من قوتها ومبادراتها أدوات لتحقيق أهدافها الاستعمارية من أجل استغلال خيرات العوالم الأخرى عن طريق الهيمنة والاحتكار : وقد عرف المغرب، على غرار بلدان أخرى ويلات هذا المد فأصبح يعاني من تسربات أجنبية في كل مجالات الحياة فيه وبكل السبل : عرف انهزامات عسكرية في إسلى ضد فرنسا عام 1844 وفي تطوان ضد اسبانيا عام 1859 وقد أدت هذه الإنهزامات إلى تراجع عن المواقف وتغيير في الذهنيات إلا أنها لم تكن إلا بداية لتوغلات أخرى أخطر منها حيث فرضت القوى الأوروبية على المغرب فتح أبوابه لتجارتها بواسطة المعاهدات مع انجلترا 1856 مع اسبانيا 1860 ومع فرنسا 1863. إلا أن هذه التوغلات أصبحت غير كافية لاطماع أوربا التي أصبحت تفرض على المغرب مع نهاية القرن التاسع عشر إدخال إصلاحات على هياكله الإدارية وتجهيزاته الاقتصادية تمشيا مع مصالحها ولهذا أجبرته على قبول خبرائها العسكريين دون أن تهمل مجال القانون أو المالية.

فكانت لهذه الضغوط والتوغلات انعكاسات على المجتمع المغربي في مستويات كثيرة سنقف هنا عند موقف العلماء المغاربة من هذا الشرح الأوروبي. نستطيع أن نميز بين اتجاهين في موقف العلماء اتجاه الضغوط الأجنبية :

أولا : اتجاه يمكن أن نطلق عليه اصطلاحا اتجاه الفقهاء فقد تمسك أصحاب هذا الاتجاه بموقف معاد لأي تعامل مع الأوربي. وطالبوا بالعودة إلى الشريعة الحقة لأن التدخل الأوروبي ناتج في نظرهم عن انصراف المغاربة عن الإسلام وعن المقدسات، مثل هذا الاتجاه الفقهاء، الوعاظ وكل البعيدين عن الممارسات السياسية أولئك الذين ليسوا على علم بحقيقة وبثقل الضغوط.

ثانيا : اتجاه ما يمكن تسميتهم بالكتاب أي أولئك الذين مارسوا مسؤوليات إدارية وسياسية داخل الجهاز المخزني (ابن عثمان المكناسي، محمد الكردودي، الناصري) لقد كان هؤلاء على اتصال مباشر بالضغوط وعلى وعي تام بإرادة المخزن وبإمكانياته.

حاول أصحاب هذا الاتجاه أن يميزوا في التعامل مع أوربا بين مستويين : الأول يربط العلم، بالخبرة وبالتقنيات على أساس أن هذه الأمور ليست موقوفة على أوربا وحدها بل هي كونية لأن الغرب قد بنى خبرته مقتبسا وآخذا من الحضارات التي سبقته بما في ذلك الحضارة العربية الإسلامية وانطلاقا من هذا المبدإ فإن أصحاب هذا الاتجاه قد حثوا وشجعوا الأخذ بالعلة وبكل الاختراعات مع مراعاة عدم السقوط في الأخذ بالظاهرة الثقافية للخبرة.

والسؤال المطروح إذن يبقى إلى أي حد يمكن الأخذ بالطابع الأدواتي للعلم وللتقدم ؟ وهل يمكن الفصل فيما بين الاختراع كأداة كتقنية والاختراع كظاهرة ثقافية ؟ انطلاقا مما سبق نستطيع أن نقول بأن نخبة الكتاب التي كانت على وعي تام باستحالة الحصر من الغزو الأوربي قد عملت نسج خطاب تبريري قصد الحد من الاحتجاجات الداخلية ضد الجهاز المخزني. لأنها كانت تعرف بأن احتلال وتقسيم المغرب أصبح متوقفا على اتفاق القوى الأوربية فيما بينها وما أن حصل ذلك حتى فرضت الحماية على البلاد.

ينتمي أبو العباس محمد بن عبد القادر الكردودي لهذا العصر (1840 ـ 1898) ولد في وسط شريف بمدينة فاس ودرس بالقرويين وقد كانت عائلته مرتبطة دوما بالمخزن وقد عين بدوره كاتبا بوزارة العدل ثم كاتبا للسلطان الحسن الأول (1873 ـ 1894) لمدة سبع عشرة سنة تمكن خلال من التعرف على قضايا الدولة حيث أسندت له مهام كثيرة أهمها مشاركاته في أسفار وبعثات إلى أوربا : فرنسا، الفاتكان واسبانيا وعن هذه الرحلة الأخيرة ألف كتابه التحفة الذي لم يذكر فيه صراحة أهداف سفره عام 1885 والذي كان على ما يبدو يرمى من خلاله شراء الأسلحة.

صور عن أوربا من خلال هذه الرحلات الثلاث

عمل الحجري على تقديم صور عن أوربا التي كانت متعطشة للمعرفة والنقاش. نلمس ذلك من أسلوبه المبنى على الحوار. فبنى بواسطته خطابا سهلا ومفتوحا ناقش أمورا وقضايا صعبة بكلمات سهلة وبسيطة. جاء بجمل متقطعة تحيل على الأخذ والعطاء وتنتقل بالقارئ باستمرار من «الانا» ذات الثقافة الإسلامية إلى ذات «الآخر» صاحب الشخصية الثقافية الأوروبية التي كانت باحثة باستمرار عن العلم والمعرفة،

كما يتضح ذلك من خلال مراسلات الحجري مع يعقوب جوليوس.[20] عبر دراسة هذه الرحلات، والتي لن نستطيع تناول كل ما جاء فيها، نود تلمس التحولات التي حصلت على العلاقات السياسية فيما بين المغرب وبعض الدول الأوربية. ما هي الصور التي قدمها لنا الحجري عن أوربا التي زار ؟

أبرز بوضوح جو التوتر الذي ساد العلاقات الأوربية العتمانية وأشار إلى تخوفات النصارى من العثمانيين :

«وكل واحد من السلاطين النصارى يرتعد ويخاف من سلاطين الإسلام والدين المجاهدين في سبيل رب العالمين وهم السلاطين الفضلا العظما. العتمانيون التركيون».[21]

إلا أن العداوة الحقيقية كانت ضد العرش الاسباني على حد قول الحجري.

«ولم يكن لسلاطين المسلمين أعداء ولا أضر من سلاطين شبانيا».[22]

على عكس العمالات المتحدة، وربما لأجل هذا السبب بالذات ـ العداوة ضد الاسبانيين ـ بيّن الحجري كيف كان الهولنديون يحسنون للمسلمين، مما دفعه إلى اختيار طريق هولندا في عودته إلى المغرب بدلا من الرجوع من فرنسا.

«ولم تولي إلى بلادنا في سفنهم (يعني الفرنسيون) بل نمشي إلى فلينضس، لأنهم لا يضرون المسلمين، بل يحسنون إليهم».[23]

ارجع الحجري موقف الهولنديين هذا إلى الحركة الإصلاحية التي قادها كل من لوتر وكالفان والتي كانت حربا ضروسا خاضاها ضد البابوية في روما، وسببا في اشتداد حربهم ضد اسبانيا من أجل الاستقلال.

«...بعد أن ظهر في تلك البلاد رجل عالم يسمى بلطري، وعالم آخر يسمى بقلبي. ودخل في هذا المذهب جميع أهل فلنضس وقاموا على سلطانهم إلى الآن، وهم أيضا على هذا المذهب أهل سلطنة الانجليز وكثير منهم بفرنجة... وسبب ذلك لهم ميل إلى المسلمين».[24]

---

20) يمكن في هذا الصدد الرجوع إلى مجموعة رسائل جوليوس بخزانة الجامعة بليدن عدد (OR 1228) وكذا إلى العمل الجديد والجيد الذي أنجزه في الموضوع الباحث.

G.A WIEGERS. A LEARNED MUSLIM, Aquaitance of ERPENIUS and Golius Ahmad b. KASIM al Andalusi and Arabic studies in the NETHERLANDS

21) الحجري، ناصر الدين ص 99.

22) الحجري، ناصر الدين ص 99.

23) الحجري، ناصر الدين ص 105.

24) نفس المصدر ص 106.

قدم الحجري إذن صورا متعددة عن أوربا الإصلاحات الدينية لهذا جاءت مناظرات كثيرة بينه وبين رجال الدين النصارى منهم واليهود وأخذ هذا الموضوع صفحات كثيرة من الكتاب بل شكل العمود الفقري فيه. الملاحظ أن المناقشات بقيت سجينة الجدل والمفاضلة وقد تمحورت هذه المواضيع حول : الإسلام / المسيحية / اليهودية عبر الكتب المقدسة. الصوم في الديانات ـ المحرمات في الإسلام ـ اللواط في الديانات. ويطغى على هذه المناظرات في بعض الأحيان (العقم) في الجدل كما نستخرج ذلك من خلال الحوار التالي حينما سأله قسيسان في بورد وقائلين له :

«أنت مسلم ؟ قلت لهما نعم. قالا : تعتقدون أن في الجنة أكلا وشربا، وتنعما مثلما في الدنيا ؟ قلت لهما لماذا تنكران ذلك».[25]

إننا نشعر من خلال الرحلة بأن محنة الطائفة الموريسكية قد شغلت بال الأوربين سواء في اسبانيا أو في فرنسا أو في هولندا. ولا أدل على ذلك من الحوار الذي أجراه الحجري في الموضوع مع الهولندي مَوْريس في لاهاي حيث استقبله أربع مرات حيث طرح عليه السؤال التالي :

«ما السبب الذي ظهر لك حمل سلطان اشبانيا على إخراج الأندلس من بلاده».[26]

لقد استحوذت مأساة الموريسكيين على بال المؤلف وهو منهم وهو لذلك خصها بصفحات كثيرة من كتابه.[27] وبالرغم من هيمنة الطابع الجدلي على الكتاب والذي جاء انعكاسا، لواقع العالم خلال هذه الفترة : نهاية القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر فإن القارئ يخرج منه بفكرة وجود حوار وتسامح داخل أوربا على عكس الأحكام التي صدرت فيما بعد في حق هذه المرحلة. لقد أبرزت النقاشات التي سادت جو الكتاب مشاغل وهموم الإنسان الأوربي لا سيما النخبة المثقفة التي كانت تبحث عن المعرفة وتوسيعها.

---

25) الأمثلة كثيرة من هذا النوع من المناظرات الحجري، ناصر الدين ص 77.

26) الحجري، ناصر الدين، ص 109.

27) تناول الموضوع في أبعاده الكثيرة، يمكن الرجوع إليه حسب المواضيع على الشكل التالي :
عدد الموريسكين المطرودين، ص 56 و95.
ملاحقة اسبانيا لهم ص 37 ـ 38.
موهلاتهم التقنية ومحاكم التفتيش ص 24 ـ 29 ـ 34 ـ 43.
أسباب طردهم ص 111 ـ 113.

لقد أورد الحجري مغامرة عاطفية عاشها مع امرأة فرنسية بالكلمات التالية :

«كثرت المحبة بيننا حتى ابتليت بمحبتها بلية عظيمة».[28]

وكان هذا الإحساس متبادلا، وأجرى معها نقاشا عميقا عن واقع المرأة في الديانات وبالخصوص في الإسلام وفي المجتمعات الإسلامية دار النقاش عن الزواج وعن تعدد الزوجات، عن المرأة المسلمة والحجاب.

إننا لا نريد القول بأن أوربا التسامح والحوار كانت تشغل بال كل الفئات والمجالات إلا أنها كانت موجودة وبالخصوص عند الفئات المستنيرة منها والتي كانت تدعم وتنشر المبادئ الانسية إلا أن الحقد والتعصب كانا يطغيان على أوربا العامة أوربا الشعبية وهذا نراه حين هاجم أحد الفرنسين الحجري بقوله :

«كيف أنت ببلادنا ؟ ومن أذن لك في ذلك ؟ واظهر الغضب ـ يقول الحجري ـ وأكثر الكلام فاظهرت لهم كتاب سلطانهم وسحرهم الله جميعا».[29]

أورد المؤلف صورا متنوعة عن أوربا، غير أن صورة التسامح والمواقف الإيجابية فقد خص بها هولندا فهو لم يجد ما يعبر به عما عاشه الا بقوله «ويطول الكلام عما رأيت بفلنضس». لقد تأثر الحجري بمواقف هذا البد من محنة الموريسكيين، وباستقبالات الأمير ماوريس له إضافة إلى الصداقات التي كانت تربطه ببعض رجالات علمها مثل إيربنيوس وجوليوس، وكذا ببعض التجار الذين عرفهم بمراكش ومن بينهم التاجر الذي قدمه للأمير المذكور بلاهاي.[30] لقد انبهر بجمال ومعمار ونظافة المدن الهولندية لا سيما مدينة أمسترضام فوصفها بقوله :

«ولما بلغنا مدينة أمسترضام رأيت العجب في حسن بنيانها، ونقائها، وكثرة مخلوقاتها... ولم تكن في الدنيا مدينة بكثرة السفن مثلها... وأما الديار كل واحدة مرسومة، ومزوقة من أعلاها إلى أسفلها بالألوان العجيبة لن تشبه واحدة أخرى في صنع رقمها، والأزقة كلها بالأحجار المنبتة والتقيت بمن رأى بلاد المشرق ورمة وغيرها من بلاد الدنيا، وقال لي أنه ما رأى مثلها في الزين والملاحة».[31]

---

28) الحجري، ناصر الدين ص 69.

29) الحجري، ناصر الدين... ص 85.

30) نفس المصدر ص 106 و108.

31) نفس المصدر ص 105.

ويجب الا ننسى أن الحجري كان مترجما للسلطان زيدان وبالتالي كان على علم بالتقدير والاحترام اللذين كان يكنهما هذا السلطان للعمالات المتحدة، إذ لم يكتف زيدان بصداقة هولندا بل عمل على الاستعانة بحبرتها التقنية والعسكرية كما توضح ذلك الرسالة التالية بتاريخ 6 مارس 1610.

«فيما يخص الفلامنكيين الموجودين هنا فإننا اعتمدنا عليهم في خدمة المدفعية داخل جيوشنا».[32]

فقد عمل زيدان على استعمال عناصر افلامنكية في البحرية ضباطا وبحارة، وكان يمدح كفاءة الإنسان الهولندي، ويفضله في الاستعمالات التقنية على الإنسان المغربي لهذا كان ينادي ويرغب في القيام بأعمال مشتركة مع العمالات المتحدة إلا أن نار الفتنة كانت تحرق كل مبادراته.

«لهذا فإننا ـ يقول زيدان ـ مقبلين على تشييد قصبات عسكرية في كل من المعمورة والصويرة، وكذا في أماكن أخرى كما سيوضح لكم ذلك خديمنا شمويال بلياش... ومن أجل هذا نأمل أن ترسلوا إلينا مهندسيين في الماء والبناء قصد تشييد هذه القصبات ولن يكون ذلك الا مفيدا للجانبين».[33]

هل تغيرت هذه الصور الإيجابية عن هولندا خلال المراحل اللاحقة ؟ يظهر أن العلاقات قد ارتبطت فيما بعد بالمعاملات التجارية لا سيما تجارة الأسلحة. غير أن الاختيارات الهولندية قد صارت في اتجاهات أخرى وأن المغرب قد بقي هامشيا في سياستها بالرغم من التقدير الذي نلمسه على الدوام اتجاه الجنس الفلامنكي لا على المستوى الرسمي فقط ولكن وكذلك على المستويات الشعبية، ونستطيع أن ندرك هذه المواقف من خلال المراسلات الرسمية كما توضح ذلك رسالة السلطان المولى سليمان التالية إلى قونصو هولندا :

«إلى خادمنا القونصو ابلط السلام على من اتبع الهدى وبعد، أنتم عندنا أعلى مرتبة أجناس النصارى وتنال معنا الخير حتى يتعجب عنكم النصارى».[34]

---

32) H. de Castrie, les Sources inedites de l'Histoire du Maroc 1er Serie Pays. Bas T 11 p. 498-501

33) نفس المصدر ونفس الجزء ص 669.

34) المحفوظات الوطنية لاهاي عدد 1.02.01 رقم 37.

قد يكون من المفيد الوقوف عند المعاهدات التي عقدها المغرب مع هولندا 1610 ـ 1651 ـ 1777.

إذا كان الحجري قد أورد صورا متعددة شغلت بال معاصريه قدم من خلالها أوربا المتنوعة : حقودة ـ متسامحة شغوفة بالمعرفة فما هي الصور التي سجلها أو تلك التي أخذت ببال ابن عثمان خلال القرن الثامن عشر ؟

عاش محمد بن عثمان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر فهو إذن قد عاصر عهد التنوير في أوربا وساهم بقدر كبير في سياسة الانفتاح التي تبناها السلطان محمد بن عبد الله. فعمد المغرب إلى ربط علاقات ودية وتجارية مع الدول الأوربية واعترف باستقلال الولايات المتحدة[35] لن نقف هنا عند / وحول أثر فلسفة الأنوار على المغرب والمغاربة بالرغم من أن الموضوع يحتاج في نظرنا إلى دراسة مستقلة. فابن عثمان رجل دولة أولا ومحتك بالتعامل مع الهيئة الدبلوماسية ثانيا بل عينه السلطان محاورا رسميا ووحيدا للقونصوات.[36] لهذا يمكن إدراجه ضمن فئة الكتاب المطلعين على خبايا الأمور من هذه الزاوية جاءت رحلته انعكاسا لواقعه الجديد وتكوينه الخاص فما هي إذن الصور التي حاول أن يقدمها لنا عن أوربا وما هي التحولات التي حصلت في عصره على الذهنيات ؟

يصعب علينا في هذه العجالة الإلمام بكل ما جاء به محمد بن عثمان في رحلته لهذا سنلجأ إلى اختيار صور نرى أنها أكثر تعبيرا عن أوربا القرن الثامن عشر والواضح أن أسلوب الحوار والنقاش غاب في كتاب الإكسير على عكس ما قرءناه عند الحجري في ناصر الدين لا سيما في المواضيع الدينية. فهل هذا يعني غياب المواضيع الدينية ؟ أم أن ذهنية رجال الدين قد تغيرت ؟ نلاحظ في البداية بأن الممارسات الدينية قد كانت حاضرة باستمرار وأن المؤلف قد وصف طقوسا نصرانية أبرز من خلالها الطابع الشعبي فيها حيث قال :

> «فتلك المدة التي أقمنا فيها بمادريد يخرج هؤلاء (الرهبان) بين العشائين ويوقدون عدة منارات ويرفعون على أعمدة... ويرفعون أصواتهم في الأزقة بألحان... ويتصدق عليهم النصارى وما رأيتهم أبطلوا عملهم ذلك مدة إقامتنا (12 يوم) وكان ذلك في فصل الشتاء وشدة القر».[37]

---

35) من هذا المنظور نستطيع أن نفهم وجود معاهدة استقلال الولايات المتحدة بتوقيع من طرف مسؤولين أمريكين وآخرون انجليز، ضمن الملفات الخاصة بالمغرب في دار المحفوظات بلاهاي.

36) يمكن الرجوع إلى هامشي 16 و17.

37) ابن عثمان الأكسير... ص 106.

وصف مظاهر دينية كثيرة إلا أن النقاش كان غائبا وحينما يبدأ فإنه سرعان ما يتوقف بسبب تصلب الطرفين واتخادهما لنهج أسلوب المفاضلة وحتى نقترب أكثر من الفكرة نورد النقاش الذي دار بين ابن عثمان وترجمان السلطان الاسباني بمادريد والذي كان يحسن اللغة العربية على لسان المشارقة قال ابن عثمان :

«وقد جرى الكلام بيني وبينه ذات يوم في شأن المسيح عليه السلام... (وبعد مناقشة طويلة توصل إلى القناعة التالية) فصمم على اعتقاده الذميم وحاد عن الطريق المستقيم».[38]

نجد موقفا مشابها لهذا في حوار آخر أجراه المؤلف مع أحد الرهبان في مسجد قرطبة :

«فالتفت في إحدى الكنائس فلم أملك نفسي ان قلت له هذا محض كذب وافتراد لم يقع (يعني قتل المسيح) وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه إليهم فأخذ في الجدال والتصميم والباطل فخشيت أن أجاريه في الكلام لا يطلعني على أحوال المسجد المذكور فأعرضت عنه وأخذت في حديث آخر مع يقيني أنه لا يقبل الحق».[39]

نلاحظ من خلال ما رأينا وقوع تغيير لم تعد إمكانية الحوار بين الأديان ممكنة بالشكل الذي قاربناه على عهد الحجري. لقد أصبح كل طرف متخذا لاستراتيجية المواقع أو المواقف الذهنية المكتسبة، وتجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى مسألة تناول المؤلف للمآثر الإسلامية بالأندلس، والتي خصها بأوصاف وتحاليل كثيرة غير أنه تناولها من زاوية كونية ـ أبرز بالمناسبة كلما كان ذلك حاصلا أصلها الروماني.[40] لقد وقع تحول واضح على ذهنية المغاربة فلم يعد ابن عثمان يتكلم عن المآثر الإسلامية بالأندلس من منطلق ومنطق العودة ولكن ذكرها من زاوية مساهمة كونية للحضارة الإسلامية، لهذا نجده قد أكثر من الترحم كلما ذكر المسلمين زمان وجودهم بالأندلس.[41]

38) ابن عثمان... الإكسير ص 116.
39) ابن عثمان... الإكسير ص 182.
40) ابن عثمان... الإكسير ص 38.
41) يمكن الرجوع إلى أماكن كثيرة من الرحلة انظر على سبيل المثال صفحات : 122 ـ 126 ـ 127 ـ 139 ـ 160 ـ 171 ـ الخ.

يمكننا وفي نفس السياق أن نتتبع داخل الرحلة الظاهرة الموركسية لنتساءل عن الطريقة والابعاد التي حاول أن يقدمها من خلالها. كيف استمرت داخل المجتمع الاسباني خلال القرن الثامن عشر ؟ الملاحظة الأولى أن الظاهرة الموركسية لم تنقطع بل استمرت في مناطق متعددة لكن بأشكال مختلفة وجديدة. ففي مناسبة من هذه المناسبات كتب ابن عثمان ما يلي :

«وقد ورد علينا خليفة الحاكم هو وأخته وانتسب لنا وقال إنهم من بقية المسلمين وقد ذكر لنا أن عنده خمر معتقة وهذا فصل الشتاء وأنا أتيكم بها الساعة تشربونها لمحبتي فيكم».[42]

لقد أصبح الارتباط إذن مجرد ارتباط سلالي، ثقافي، لم تعد هذه العناصر تدرك المحرمات في الإسلام، ومع ذلك فإنهم يريدون الانتساب. أورد المؤلف أخبارا كثيرة عن وجود علائلات عديدة في غرناطة.

«وبهذه المدينة من بقايا المسلمين شيء كثير فمنهم من ينتسب، ومنهم من لا ينتسب، وقد تعرف إلينا أحد أصحاب الشرطة ممن له غلظة وتحيز، وقد رأيت فيه ظلما كثيرا يضرب النصارى ويشتمهم وقد أتانا ذات يوم فقال إنني من المسلمين وإنما جعلت هذه الخطة بيدي سببا للوصول إلى إذاية هؤلاء الكفرة وأنا من أولاد صيرون».[43]

الخلاصة أن حدة الأزمة الموركسية كما جاء بها الحجري قد انتهت، بل أصبح المنحدرون من المسلمين يحتلون وظائف سامية في السلم الإداري، يمكن الكلام عن الاندماج في المجتمع الاسباني مع بقاء التواصل الثقافي فيما بين هذه العناصر والمجتمعات الإسلامية.

لقد ركز ابن عثمان من جهة أخرى في رحلته على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في اسبانيا. أثبتها كمرجع وكنماذج قد يستفاد منها داخل المغرب. فكتب من منظور النخبة المغربية الحاكمة التي بحثت في / وعن الانفتاح من أجل احتكار العلاقات مع الخارج قصد تقوية المؤسسات المخزنية. لعل أهم محور أخذ ببال ابن عثمان يبقى سياسة التجهيز في اسبانيا. لقد خصها بصفحات كثيرة نخص بالذكر هنا ما أورده عن الموانئ في كل من اشبيلية، وقالص وقرطجنة كما

42) ابن عثمان، الإكسير، ص 70.

43) نفس المصدر ص 83.

دقق في الكلام عن المدارس البحرية :

«وقد رأيت في اشبيلية أيضا دارا كبيرة معدة لتعليم الصبيان علم البحر وخدمة المراكب وبها قيم معين من قبل الطاغية».[44]

لقد أطال المؤلف في الكلام عن مرحلتي التعليم بها وطريقة الجمع في هذه المؤسسة بين الجانب النظري، والجانب التطبيقي. لقد ازداد إعجابه بهذا الاهتمام الاسباني عندما وقف لوصف وفهم أوراش صناعة وإصلاح السفن بمدينة قرطجنة حيث سجل الملاحظة التالية :

«وفي جوانب هذه المرسى منجرة كبيرة لإنشاء المراكب فيها من الخدمة زهاء الألفين... وقد جمعت المرسى جميع أهل الحرف المتوقف عليهم أمر المراكب من النجارين والحدادين ونساجي القلوع وصانعي الأحبال وغير ذلك وكل ذلك حوالي المرسى».[45]

لعل استعمال الأكداش للتنقل خلال الرحلة مكنت ابن عثمان من التعرف على الإنجازات التي حققتها اسبانيا في تشييدها للطرق والقناطر[46] مما جعله يقول :

«وقد رأيت النصارى شرعوا في تسويتها (الطريق) وأنزلوا الاقامة إليها لتمر بها الأكداش بسهولة لأن لهم اعتناء كثيرا بتسوية الطرقات وصنع القناطر حتى إنهم إذا رأوا مكانا يكثر فيه الطين يصنعون الطريق بوسطه ويبلطونه بالتراب الأحرش والجير والحجارة كما هو مشاهد في بلادهم كلها».[47]

لقد اهتم ابن عثمان بالموضوع كرجل دولة ولم يتناوله من زاوية تقنية فقط ولكن وقف عنده كظاهرة اجتماعية ولهذا أبرز الوسائل التي استعملتها اسبانيا من أجل استتباب الأمن وحماية المسافرين في الطرقات :

«وجميع ما بجبل سييرا مورينة من القرى والمداشر كلها محدثة بأمر الطاغية بقصد حراسة الطريق لأن هذا الجبل كان مخوفا».[48]

ولهذا فإن ابن عثمان كما يبدو كان منتبها جدا لمسألة الأمن في الطرق لأن المغرب كان يعاني في الوقت نفسه من اضطراب الأمن في طرقه كما توضح ذلك

---

44) ابن عثمان، الإكسير، ص 41.

45) نفس المصدر ص 163.

46) الأمثلة كثيرة انظر صفحات : 50. 73. 74. 120. 137. 146 الخ.

47) ابن عثمان، الإكسير، ص 50.

48) ابن عثمان... الإكسير... ص 72.

تقارير القونصوات :[49] وقد كانت دهشته كبيرة وإعجابه عميقا بتنظيم البريد سواء على طول الطرق الرابطة بين المدن أو داخل المدن نفسها مما كان يدر على الدولة أموالا كثيرة.

«وكل بلد من بلاد اسبانيا فيها دار معدة للبراوات ويسمونها دار الرقاص... ولكل دار من الدور أمناء ووكلاء بحيث تجتمع المكاتب كلها... ويوم ورود السفير معلوم في سائر المدن وكل من وجد براءته يدفع عليها مالا معلوما فيحصل من ذلك مال عظيم تخرج منه المصارف واللوازم وما فضل فهو للطاغية فيجمع لبيت المال وأما الرقاص فليس له شيء من ذلك لأن له راتبه من بيت المال وهو ينفق على نفسه في الطريق».[50]

صار الانفاق في الطرق أمرا عاديا نظرا لتجهيزات الفندقية والمطعمية التي اثارت انتباه ابن عثمان والتي استحسنها لأن المسافر كان لا يحتاج إلى زادٍ ولا إلى مؤونة، بل كان يكفيه حمل النقود. لقد أعطانا ابن عثمان إذن صورا مختلفة عن ديناميكية التجهيز في اسبانيا، وكان أكثر وضوحا عندما وصف لنا المؤسسات، والقطاعات الاقتصادية بهذا البلد.

وبالرغم من هيمنة القطاع الفلاحي على اقتصاد اسبانيا فإننا نخرج بنظرة التنوع والاختلاف سواء داخل القطاع الفلاحي أو خارجه لقد وصف ابن عثمان لنا أوجها مختلفة للأنشطة الفلاحية مع تركيز خاص على الجوانب التقنية بما في ذلك طريقة استخراج المياه من الابار وقد سجل الملاحظة التالية في الموضوع :

«وقد رأيت لهم كيفية استخراج الماء من آبارهم».

سواء تعلق الأمر بنظام الناعورة والذي دقق في أوصاف حركاتها[51] وقد توصل في الأخير إلى الخلاصة التالية : «الحاصل أن لهذا الجنس خبرة كبيرة بالفلاحة وتربية الأشجار».[52]

---

49) انظر رسالة : David Jan Subrimont de Tanger à W Blount 1780 à Mogador.

« Mais – Comme l'on entend ici tous les jours que les Courriers et Voyageurs d'ici au Maroc sont volés en chemin, j'ai cru qu'il valait mieux d'attendre une occasion sûre que d'être exposé à des Vols ».

50) لقد ركز ابن عثمان على الاستفادة المادية بالنسبة لبيت المال في مناسبات كثيرة من الكتاب كما كان يستحضر دائما النموذج المغربي. انظر، ابن عثمان، الإكسير ص 76، 119، 120.

51) للمزيد يمكن الرجوع إلى صفحات : 32 ـ 66 ـ 67.

52) ابن عثمان الإكسير ص 45.

وقد انصب اهتمام ابن عثمان، خارج القطاع الفلاحي، على المؤسسات الصناعية حيث كان منتبها لأهمية هذه المنشآت وحيويتها لاقتصاد البلاد. فأورد في شأنها صفحات كثيرة لن نستطيع الوقوف عندها بتفصيل لكن تكفينا الإشارة إلى بعضها مع ملاحظة تخص تركيز المؤلف دائما على جوانبها التقنية التطبيقية وكذا أهمية طرق التسيير والتكوين فيها فقد أورد معلومات كثيرة ودقيقة عن بعض الصناعات التي كانت تحتكرها الدولة من بينها صناعة طابة أو ما سماه ابن عثمان «ب دار عشبة طابة التي نفعها مقصور على عظيمهم». ثم فصل الكلام عن مراحل الإنتاج وطرق الصناعة دون أن يغفل عدد العاملين بها (1000 خدام). دقق الوصف في موضوع التنظيم في المؤسسة حيث أشار إلى المخازن مع تركيز خاص منه في موضوع دفاتر الحسابات بل ذهب أبعد من كل هذا فسأل القيم على الدار قائلا :

«كم يكون مدخول الطاغية في كل شهر من هذه العشبة».

لقد جاء ابن عثمان في أماكن مختلفة من الكتاب بصور متعددة من هذا القبيل سواء تعلق الأمر بدور السكة أو معاصر الزيتون أو صنع الفخار والأمثلة كثيرة.[53] لقد قدم هذه الصور بشعور الحسرة والتلميح هنا وهناك إلى جوانب التفاوت فيما بين اسبانيا والمغرب لأن الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط كانت قد قطعت خطوات في طريق الصناعة وهي على أبواب قرن التحولات الجدرية : القرن التاسع عشر.

أما رحلة الكردودي فقد كانت في نهاية هذا القرن لهذا جاءت مشحونة بمشاعر الحسرة التي بدأ يشعر بها ابن عثمان خلال القرن الثامن عشر. نلمس قلق وحسرة صاحب التحفة بسبب هيمنة أوربا على كل المبادرات أولا من خلال شكل وطريقة كتابته لهذه الرحلة. عاش الكردودي منعزلا في أسبانيا تحت ضغوط سيكلوجية لم يكن فاطنا بها. لذلك نراه يرفض الحوار، ولا يقبل إلا ما «تستصيفه الأذن وتقبله العين» كان يطبق أسلوب الاختيار لذلك جاءت رحلته بأسلوب جاف نسج بواسطته الكردودي حكيا دفاعيا نابعا من الذات الجريحة تحت وطأة الضغوط الأجنبية المتزايدة لا سيما بعد مؤتمر مادريد لهذا جاء بصور تتلاءم والمحيط الذي عاصره.

من أبرز ما أخذ ببال الكردودي ودونه صورة أوربا الصناعية فسجل الابتكارات العلمية المعاصرة كاختراع الهاتف :

---

53) يمكن الرجوع إلى صفحات : 46، 48، 49، 67، 116، 118، 133، 147.

«ومن خلال مقامنا بهذا الثغر السعيد (طنجة) أحدث النصارى فيه من عجيب الإنشاء سلكا يخاطب الرجل فيه من شاء... فيسمع المخاطب فيه خطاب صاحبه كأنما يتكلم بجانبه... كأنما يتخاطبان وليس بينهما حجاب».[54]

على عكس ابن عثمان الذي كان لا يتردد في طرح الأسئلة على القيمين والخبراء في كل مناسبة وعند كل ظاهرة فإننا نلاحظ بأن الكردودي لم تكن له هذه الإرادة بل كان يلجأ إلى إعطاء تفاسير سادجة كما فعل عند كلامه عن اختراع الهاتف.

«وذكر أن أول من أنشأه صبيان من أهل هذا الثغر كانا يلعبان بجعبتين من قصب».

كيف نفهم هذا التراجع عن إرادة الفهم ورفض الحوار والانفتاح ؟ ما علاقة هذه المواقف بالتكالب الأوروبي ؟ لقد انبهر الكردودي بالثورة التي حصلت على وسائل النقل بفضل المحرك البخاري والتي أحدث ثورة في السرعة وفي مفهوم المجال والزمان لهذا أورد المؤلف بإعجاب كلاما عن الظاهرة عندما قال :

«ولم يزل معنا (حاكم قالص) حتى ركبنا في محل من البابور من أفضل محاله وأجملها. فمكثنا يومنا كله والليلة التي بعده وهو يمر كالريح العاصف، ومروره في طريق مستوية، لا منخفضة، ولا مرتفعة، ومربنا تحت جبلين كل منهما يمكث في صروره فيه نحو خمس دقائق».[55]

سجل المؤلف من جهة بتفصيل معلومات عن صناعة الأسلحة فلا شك أن لهذا الاهتمام ما يبرره سياسيا فلا ننسى أنه جاء لشراء الأسلحة من اسبانيا لهذا تتبع مراحل صناعتها مذيلا ذلك بملاحظة مفادها أن هذا البلد لا زال متأخرا صناعيا بالمقارنة مع الدول الأوربية الأخرى، سجل ملاحظات إدارية لم يعهدها في المغرب ككلامه عن وجود صورة السلطان الاسباني في الأماكن الرسمية :

«وفي مقابلة الداخل إليه (قصر البلدية) صورة ملكهم كأنه بنفسه جالس ينظر إليهم».[56]

---

54) أحمد بن محمد الكردودي، التحفة... ص 31.

55) الكردودي، التحفة، ص 40.

56) نفس المصدر ص 43.

لقد كتب أحيانا عن الإدارة الاسبانية مستحضرا في الوقت نفسه النموذج المغربي ونلمس ذلك عند كلامه عن نظام الحكم في اسبانيا عندما قال :

«وكان دخولنا فيه (مادريد) صبيحة الأربعاء في 17 صفر... وورد علينا منهم من أخبر أن ملكهم الفونسو اخترمته المنية... وخشينا من اضطرابهم ووقوع الفتنة بينهم فواقانا الله مما توخيناه ولم يصدر بينهم شيء مما ظنناه بل بقي أمرهم على حاله كما كان حياة سلطانهم ولم يختلف أحدهم في شيء».[57]

لقد أورد الكردودي صورا أقل ما يقال عنها إنها كانت انعكاسا لما صارت إليه أحداث القرن التاسع عشر : صور أوربا السرعة في المقابل المغرب المجروح، المنغلق المتخذ لخطاب تبريري وتمجيدي خطاب الذي لا حول وقوة له، وبهذا ختم الكردودي رحلته :

«هذا وقد ألمعنا في هذا التقييد العجيب ببعض ما شاهدناه من الأعاجب، واقتصرنا فيه على ما لا بأس بذكره للعلم به... والا فالمغرور من اغتر بزخرفهم واعتقد صدق محبتهم ونصحهم».[58]

الاستنتاجات

ما هي أهم الاستنتاجات التي نخرج بها من خلال قراءتنا السريعة لهذه الرحلات والتي حاولنا مراقبة بعض أحداثها ومن تم مقارنتها ببعض المراسلات الرسمية :

أولا : ضرورة التأكيد على مفهوم الصور لا صورة داخل أوربا التعدد والاختلاف. لقد عرفتنا هذه الرحلات، التي تتكامل وتختلف، بصور من أوربا المبادرة والغليان خلال القرن السابع عشر، وبأوربا المؤسسات الاقتصادية الاجتماعية المندمجة والفعالة خلال القرن الثامن عشر لتقدم لنا صورا عن أوربا القوة، والقهر أوربا الهيمنة ذات الإرادة الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر.

ثانيا : وفي مقابل هذا المد الأوربي المتصاعد وجدنا تقهقر وتراجع الشخصية الثقافية، والاقتصادية المغربية حيث انطلقنا من الحوار والثقة بالنفس عند الحجري إلى مرحلة الانغلاق والدفاع عن النفس عند الكردودي.

57) نفس المصدر ونفس الصفحة.

58) الكردودي... التحفة ص 92.

ثالثا : علينا أن نسجل بارتياح أهمية هذا النوع من المصادر في كتابة التاريخ ورسم الصور وقد نتساءل عن دور أدب الرحلات في ترسيخ صور واكليشيهات كان لها ولا زال وقع كبير على الرأي العام في هذه الحضارة أو في تلك. فالمقارنة الساذجة بين الرحلات المغربية نحو أوربا والرحلات الأوربية نحو المغرب تبين اختلافات جوهرية فإذا كان الرحالة المغاربة يقدمون صورا إيجابية عن أوربا ـ ما عدا المواضيع الدينية ـ فإن ذلك يرجع لمكانتهم الاجتماعية والرسمية إضافة إلى تكوينهم الشخصي ومع ذلك فإن هذه الصور قد بقيت هامشية وغير معروفة. على عكس الرحلات الأوربية والتي غلب عليها طابع المغامرة وإصدار الأحكام المسبقة، تفتقر إلى الموضوعية بل كثيرا ما غلب عليها طابع الشعور بالتفوق والاحتقار للآخر. ومما زاد الأمر شيوعا طبع هذه الرحلات ونشرها على مستوى واسع.

رابعا : تبقى هذه الصور الواردة في هذه الرحلات من وحي النخبة الرسمية المعروفة بفئة الكتاب لهذا تبقى صورا غير مكتملة بل لا زالت في حاجة إلى تدعيم وتطعيم واطلاع على مواقف الفئات الأخرى الفقهاء والعامة هذه الفئة لم تترك مخلفات مدونة إلا أننا نستطيع جمع شتات ما يوجد متفرقا هنا وهناك. لا ندعى بأننا أعطينا الموضوع كل ما يستحق لأنه يحتاج إلى مزيد من التنقيب ولا يسعنا إلا أن نردد مع ابن عثمان قوله في الموضوع عندما أنهى رحلته معتذرا عن كل قصور ما نصه :

«وإن لم أكن من أهل هذا الميدان ولا من له فيه جولان، لكنني رسمته لمن هو كان مثليَ بالقصور معترفا ولم يكن مستنكفا».

الكوارث الطبيعية والحتمية التاريخية

محمد الناصري

معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ

الرباط

مقدمــة :

تتطلب دراسة الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للجفاف عبر تاريخ المغرب بعض الشروط الأولية مثل :

□ الوثائق / الأرشيفات : إن المعارف التاريخية المتوفرة لا تخبرنا إلا بشكل عرضي عن آثار الجفاف في القرون الماضية.

هناك خلاصات هامة فيما يخص القرنين السادس والسابع عشر. أما بالنسبة للفترات الأخرى فليس هناك سوى معلومات متفرقة، على شكل حكايات، غالبا ما تكون ناقصة. وما يزال تأخر البحث التاريخي في هذا المجال كبيرا.

□ قضية العلاقة بين المناخ والمجتمع : يقلل بعض المؤرخين من أثر المناخ على مصير الإنسان بينما يؤمن البعض الآخر بأهميته القصوى في تفسير تاريخ الإنسانية. وقد اعتبر مونتسكيو المناخ من العناصر الأساسية في تفسير الاختلاف بين الحضارات.

هناك مؤرخون آخرون بالغوا في استعمال هذا المنهج، فحاولوا التعرف على التغيرات المناخية من خلال النظر في تاريخ هجرات السكان.

□ إن مجموعات أرصادية مهيأة، توفر لنا تمثيلا للسنوات الجافة والأخرى الرطبة في تتابعها الامبريقي.

وإذا كان علم مناخ الأشجار dendroclimatologie يعطينا قانونا لنظام تلاحق هذه المجموعات وتحقيبها وتسمح باحتمال حدوث مثيلاتها في المستقبل ومعرفة تزامنها، فإن ذلك يعني أن خطوة كبيرة قد تحققت في ضبط التغييرات المناخية.

□ وتبقى أخيرا مسألة أخرى، وهي ربما ذات طابع فلسفي، وتشكل بصفة عامة لب حديثنا : هل هناك حتمية يخضع لها تاريخ المجتمعات ؟ هل هناك قدرية جغرافية تقلص من حرية الإنسان وتجعله تابعا بشكل مطلق للعوامل الطبيعية ؟.

لتوضيح هذه الصعوبات، وتوفير بعض عناصر الاجابة ـ على الرغم من طابعها الجزئي ـ عن هذه الأسئلة، هناك ثلاثة أمثلة نعتبرها ذات دلالة نستمدها من ثلاث فترات تاريخية : القرون 15 و16 و17.

وقد اعتمدنا بالخصوص :

من جهة على المعلومات التي ذكرها : كتابا الاستقصا للناصري. ونشر المثاني لابن الطيب القادري.

والبحث الهام : المجاعات والأوبئة في مغرب القرن 16 و17 لحميد التريكي وبرنارد روزنبرجيه Rosenberger.

ومن جهة أخرى : على الحقب الأرصادية التي وضعها ستوكتون Stockton للقرون العشرة الأخيرة من تاريخ المغرب انطلاقا من تحليله لتأثير التساقطات المطرية في جذوع الشجر، وانطلاقا من حلقات الشجر التي أخذت من شعاب الزاد وتونفيت، وفي جوانب هذا البحث ظهرت علاقة المناخ بالتاريخ.

سنسعى إلى البحث عن إقامة بعض الروابط بين العوامل المناخية والأحداث التاريخية مع التزام الحذر، نظرا لتعقيد التطورات ولمحدودية المعطيات حول الكوارث الطبيعية.

هناك أيضا صعوبة الركون إلى خلاصات نهائية نظرا لتنوع الظروف الطبيعية والتضاريس في المغرب والاختلافات الكبيرة بين المناطق حسب قربها من البحر أو الصحراء أو بعدها عنهما وحسب مقدار علوها، مما يدفع إلى التروي في مجال التفسير المناخي.

1 ـ اضطراب العناصر الطبيعية واضطراب أحوال البشر

يشترك المناخ والتاريخ في نفس الخاصية، إذ يثيران خيالنا بعوارضهما الطارئة، بينما يدفعنا تتابع السنوات الممطرة والجافة إلى الاعتقاد في تطور دوري. ويصدق هذا أيضا على الحضارات في التاريخ الطويل التي تنشأ وتزدهر وتفنى. وتعتبر نظرية ابن خلدون التاريخية المثل الأكثر وضوحا فهي المفهوم الدوري لتطور المجتمعات الإنسانية في المغرب العربي.

وفي الحقيقة أن المناخ والتاريخ يخضعان لاضطراب مستمر : اضطراب الهواء والماء في الجو واضطراب الأفراد والجماعات في سياق التطور المستمر لتحول المجتمعات. فعوامل الطبيعة لا يمكن التحكم فيها، كما لا يمكن التنبؤ بالتحولات الاجتماعية أيضا.

ونظرا لهذا التوتر الدائم، فإن مغزى التطور التاريخي والمناخي أيضا تبدو غامضة لنا على الرغم من التقدم الهائل للعلوم في هذه الميادين.

-ولم يمنع هذا التعقيد من تقدم الباحثين في دراسة هذا المجال على الرغم من أن صياغة نماذج تفسيرية شكلت تحديا كبيرا لأهم المختصين،[1] ونشأت عن هذه الأبحاث مناهج في التاريخ حاولت فك ألغاز الماضي من أجل فهم أثر التاريخ في سير المجتمعات، فهي قد أدت إلى ظهور انشغالات علمية جديدة من أجل فهم ماضي المناخ كسبيل لفهم ميكانزمات الإنسان وتحولاته.

إن العلاقة بين المناخ والإنسان سادت مختلف العصور، وكيفت نظرته للعالم ولأحوال معيشته.

وبخصوص هذه المسألة يختلف المختصون في تاريخ المناخ، والمختصون في تاريخ المجتمعات البشرية. فهناك بعض المؤرخين يقللون من دور المناخ في التأثير على أقدار الناس وأنشطتهم. وهناك البعض الآخر الذي جعل من المناخ عنصرا أساسيا في التفسير. فمؤرخو المناخ ذهبوا إلى حد اختزال تطور المجتمعات في التقلبات المناخية، ومن ذلك بعض البحوث التي افترضت أن تكون هجرات السكان في آسيا الوسطى ناتجة عن تقلبات المناخ.[2] فتاريخ هؤلاء السكان مصدر ما نعرفه عن مناخ تلك المناطق.

هل يمكن اتخاذ موقف بين هذه المواقف المغالية لمختصين يلغون أي تأثير للمناخ كعامل من عوامل تفسير التاريخ، وبين آخرين لا يفهمون التاريخ إلا من خلال المناخ ؟

إن وضع المغرب الذي يتوسط منطقتين مناخيتين مختلفتين، إحداهما رطبة، والأخرى جافة تجعل هذا التساؤل تساؤلا مشروعا !

---

1) دوكلاس «ان العالم المبرز والرائد في علم مناخ الأشجار قد قضى سنوات عديدة في دراسة حلقات الشجر، مستعملا مجموعة كبيرة من التدقيقات الإحصائية لضبط دورة السفع الشمسي» ذكره لوروا لادوري في كتابه :
– « Histoire du climat depuis l'an mil » **champ, Flammarion,** VI, p : 15

2) **Huntington (1907) et Brooks (1950), « cités dans : Histoire du climat depuis l'an mil ». op. cit.**

ألا يمكن القول إذن بأن وجود المغرب تحت تأثير مناخي مزدوج يجعل وضعيته أكثر تعقيدا ؟ هل يمكن استخلاص علائق أكثر خصوصية بين المناخ والتاريخ ؟ ألا يعقد هذا إشكالية فهم العلاقة بين معطيات ماضي مجتمعنا، والتأثيرات المناخية التي فعلت فيه ؟

إن الجواب عن هذه الاستفسارات عسير جدا، ولا يمكن أن نقدم الا بعض الأفكار على شكل فرضيات. فالمعطيات التاريخية المتوفرة لا تخبرنا الا بشكل مرحلي عن نتائج الجفاف في التاريخ الماضي.

إن تقسيم آثار الجفاف على مجريات الأحداث يتم دائما بشكل مقتضب لأن البحث في الجغرافية التاريخية، مازال يعرف تأخرا ملحوظا. بينما هناك تقدم ملموس في معرفة ماضي المغرب المناخي، لا سيما بعد موجة الجفاف الأخيرة التي اجتاحت بلادنا.

1) تجديد المقاربات :

إن الإجابة عن مختلف هذه الأسئلة تقتضي الحديث عن المناهج، لأن البحث يتقدم أو يتأخر حسب المناطق المناخية، وحسب البلدان وحسب اختلاف المناهج أيضا. ولتجديد المقاربات في دراسة تاريخ المناخ، من اللازم توفر الشروط الآتية :

- ☐ رصيد عتيق لجمع وتحليل معطيات الحقب المناخية، أي وجود معطيات تغطي فترة طويلة بشكل دقيق ومستمر.
- ☐ كثرة الوثائق / الأرشيفات ودقتها، كالوثائق حول الأحداث المختلفة : تواريخ الجني والقطاف والكوارث والجفاف والمجاعات.
- ☐ وجود مجموعات بحث مقتدرة تتوفر على وسائل هامة في تقصي معطيات تاريخ المناخ.

يبدو من السهل الظن بأن أصحاب هذا التجديد يوجدون على الخصوص في الدول المصنعة : إنهم قد أتوا من آفاق مختلفة جدا. فالمجموعة الأولى هي من المتخصصين في العلوم الطبيعية ومنهم بيولوجيون، وأرصاديون ومتخصصون في ظهور النباتات وتطورها ومتخصصون في دراسة (pollens).

المجموعة الثانية أتت من العلوم الإنسانية ومنها : جغرافيون وعلماء الآثار ومؤرخون ومختصون في التاريخ الزراعي، والاقتصاد الزراعي والديموغرافي.

ويعتبر إيمانويل لوروا لادوري Emmanuel Leroi Ladurie من أشهر الذين ساهموا في تطوير علم تاريخ المناخ حيث أقام أسس البحث العلمي في هذا الميدان،

منطلقا من دراسته للتاريخ الزراعي بفرنسا وقد قاده شغفه الكبير بالبحث في الأرشيفات، إلى تأسيس القواعد المنهجية لهذا العلم وقد استعمل في أبحاثه تواريخ الجني والقطاف، كما استغل تواريخ تقدم أو تراجع جبال الجليد والاضطرابات المناخية منذ عام 1000.

وقد اتخذ هذا البحث حول تاريخ المناخ - اتجاهات مختلفة حسب المناطق المناخية المدروسة. ففي المناطق المعتدلة والباردة توفرت الأرشيفات بشكل كاف في المجال الزراعي والفلاحي، بتعدد المقاربات في هذا المجال. فمن دراسة تواريخ القطاف إلى تواريخ الكوارث مرورا بتحليل بعض النقوش (Lithogravures) التي تدل على تقدم أو تأخر جبال الجليد على مر السنين، أو اعتمادا على دراسة الفلكي الأنجليزي[3] (إ. ماوندر E. Maunder). فإن ترسانة من الطرق المنهجية استعملت من طرف مجموعة من المتخصصين في الولايات المتحدة والسويد وأنجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان، لإدراك العلاقة بين إيقاع ظاهرات الشفق القطبي والشفع الشمسي.

سمحت مجهودات البيولوجيين والجيولوجيين، في المناطق الدافئة، بتوفير معارف مهمة في ميدان المناخ، بفضل دراسة نمو المرجان وتطوره في البحار الساخنة. أما فيما يخص المناطق الجافة، وهو المجال الذي يهم المغرب، فإن دراسات دوغلاس ومساعديه، وستوكتون ومجموعته طورت دراسة تاريخ المناخ بشكل كبير.

وقد اعتمدت هذه الدراسات على آثار التساقطات على الشجر انطلاقا من حلقات الجذوع التي تدل درجة نحافتها أو سمكها على تداول سنوات الجفاف والرطوبة. وقد مكنت هذه الوسيلة من وضع جدول زمني دقيق لعدة قرون وهذا ما يعرف بعلم تحقيب الأشجار أو علم مناخ الأشجار. وعرف هذا التخصص الواعد حاليا ذيوعا كبيرا حيث تتوزع عدد من المجموعات في أنجلترا وألمانيا، خاصة مجموعة برونو هوبير Bruno Huber في Munich، لتساهم في التعريف بصورة أفضل بمناخ المناطق المدروسة.

ساهمت دراسات ستوكتون ومجموعته في أريزونا، في إعطاء دفعة هامة للبحث في هذا الميدان : فبمقارنة نتائج دراسة آثار الأمطار على الشجر، مع ملاحظات علمية حول الطقس دامت طويلا، استطاعت هذه المجموعة صياغة خطاطة لتسع أنماط مناخية، وأتاح لها ذلك احتمال توارد هذه الأنماط، ومدى أهمية أحدها، في سنة معينة.

---

3) E. Maunder (voir page 55, d'Histoire du climat depuis l'an mil). op. cit.

هكـذا فتحت آفـاق تحقيـق مـا سماه المـؤرخ الفرنسي مـارك بلـوك Marc Bloch بالتاريخ التراجعي للمناخ « Histoire regressive du climat » إذ من الممكن إضـاءة مـا خفي من الماضي انطلاقا من الحاضر. ففي الأريزونا سمحت هذه الدراسة بـالتعرف عبر سنين متتابعة على توارد احتمالات الأنماط التسعة منذ القرون 17 و18 و19.

«لقد أصبح من الممكن تـأسيس علم طقس استـذكـاري واحتمـالي» تلك كـانت خلاصة لوروا لادوري بعد تقديم أعمال ستوكتون ومجموعته.

إن إقـامـة جـدول زمني منـاخي لمـدة عشرة قرون من تـاريخ منـاخ المغرب لا تخفى أهميتهـا على أحـد. فهي تزيـح غبـار الغمـوض عن المـاضي المنـاخي للمغرب، وتشكل انطلاقة مهمة للبحث العلمي في ميدان دراسة المناخ».[4]

□ مشكلة الترابطات :

يصطـدم مؤرخـو المنـاخ ومـؤرخـو المجتمعـات بشكـوك وأوهـام لم تنتـه بعـد، ويختلف هذا الوضع من بلد إلى آخر. ومع ذلك تظل هناك عقبتان أسـاسيتـان. ففيمـا يتعلق بالفترات الطويلة الممتـدة على قرون، فـإن دراسـة حلقـات الشجر، لا تسمح إلا باثارة أفكار أولية وصياغة فرضيات. أما بالنسبة للفترات القصيرة الأمـد، فـإن الـدراسـة المنظمة للأشجار المعمرة طويلا تؤدي إلى حقائق صحيحة نسبيا فيما يخص التقلبـات سواء على مر عقود طويلة أو داخل العقد نفسه.

إن الدراسات التي وضعت حول أوروبا الشمـاليـة تبين أن هنـاك تعـاقبـا لفصول صيف حارة وأخرى باردة، كما هو الأمر في أمريكا على الرغم من أنـه لم يكن هنـاك تزامن في الحالتين. وانطلاقا من مختلف هـذه الـدراسـات يمكن إعـادة قراءة التـاريخ الفلاحي والاقتصادي للبلدان المدروسة.

أما العائق الثاني، فهو مزدوج الصعوبة. فمن جهـة هنـاك العلاقـات القـائمـة بين المعطيـات التي تـأتي عن طريق دراسـة حلقـات الشجر، والفضـاء الـذي تـوجـد فيـه، فـاختلاف الظروف المنـاخيـة في المغرب، النـاتج عن اختلاف تضـاريسـه ووضع كل

---

4) ستوكتون W. Stockton وشركاؤه. إعادة بناء طويلة الأمد للجفاف في المغرب. مشروع تحت التوجيهات السامية لصاحب الجلالة الحسن الثاني ملك المغرب. أريزونا، Arizon توكسون Tucson الولايات المتحدة الأمريكية. دجنبر 1985. تقرير مرقون من 71 صفحة ورسم واحد.

منطقة بالنسبة للبحر والجبال والصحراء يدفع الباحث إلى التزام الحذر الشديد في التفسيرات التي يقدمها.[5]

وهناك أيضا عامل مكمل، وهو العلاقة بين الظروف الطبيعية، والصيرورة الإنسانية، فإذا كانت الحتمية التي يتعلق بها الجغرافيون الكلاسيكيون قد تم تجاوزها، فإن التساؤل حول هامش الحرية التي يتمتع بها الإنسان تجاه ضغوط الطبيعة، يظل مطروحا. وبعبارة أخرى، هل هناك تزامن تام بين المناخ والمجتمع في تطورهما المطرد ؟ أم هناك عوارض تعوق هذا التطور التزامني ؟ لا يمكننا سوى تقديم بعض عناصر الاجابة بالنسبة لحالة المغرب لأن البحث حول تاريخ المناخ ما زال في بدايته، والأرشيفات، وإن وجدت، فهي غير مدروسة كما أنها مفقودة بالنسبة لفترات معينة، ولا تسمح بالجواب القاطع عن الأسئلة المطروحة. وفي الحقيقة أن التأخر في دراسة تاريخ المناخ بالمغرب يشكل عائقا كبيرا للتعرف على ماضي مجتمعاتنا.

إن الجفاف الذي عرفه المغرب في السنوات الأخيرة، كان له فضل كبير على الوعي بأهمية هذه الدراسات، وربما قد تسمح الإمكانيات المتوفرة حاليا بفتح آفاق جديدة.

2 ـ تفاوت المجتمعات في السيطرة على آثار الكوارث الطبيعية

لكي نقدم بعض عناصر الاجابة على الرغم من جزئيتها حول التساؤلات التي سبقت، هناك ثلاثة أمثلة يمكن أن توضح لنا مدى تأثيرات التقلبات المناخية على المجتمع المغربي وتطوره. ويتعلق الأمر بثلاث فترات تاريخية شهدت كوارث تاريخية تمتد من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر.

إن سلوك الناس، وقدرتهم على التحمل، وتنظيمهم، ومدى معرفتهم بأساليب التحكم، في الأزمات... كل ذلك يجعل من العلاقات بين العوامل الطبيعية ومآل المجتمع مترابطين.

1) أزمة القرن الخامس عشر : نعمة من الله وعجز من الناس.

يتعلق الأمر بقرن من الأزمة المستديمة : لم تندثر دولة المرينيين نهائيا ولم تفرض دولة الوطاسيين نفسها بعد.

ما هي أعراض الأزمة ؟

5) إن مجموعة ستوكتون قد كررت التحليلات المتعلقة بحلقات الشجر المأخوذة من مناطق مختلفة من البلاد. ومع تراكم هذه التحليلات تزايدت فرص احتمال تحقق معرفة دقيقة بماضي المناخ بالمغرب (انظر الدراسة المذكورة سابقا وخاصة الهامش رقم 4).

□ أولى الأعراض هي الانقلاب الشامل لموازين القوى بين المغرب والدول الإيبرية حيث واجه المغرب لأول مرة الخطر الخارجي.

بعد احتلال سبتة من طرف البرتغال سنة 1415، سقطت الموانئ الأطلسية الواحد تلو الآخر في أيدي البرتغاليين. أما إسبانيا فإنها احتلت مواقع أخرى على الشاطئ المتوسطي، وقامت بمحاصرة سواحل المغرب. وكان سقوط غرناطة سنة 1492 نهاية التحول في موازين القوى بين الدول الإيبيرية والمغرب.

□ على المستوى الاقتصادي، عرفت شبكة التجارة الصحراوية، مصدر ثروات المغرب، مشاكل كبيرة، حيث فقدت سجلماسة مكانتها التجارية لصالح ورغلة في مملكة تونس، هكذا تقلص الدور الذي كان يلعبه المغرب في إفريقيا جنوب الصحراء ومنطقة غرب المتوسط.

□ على المستوى المحلي، تسلل البرتغاليون إلى المغرب، وأصبحوا يشكلون شبه نظام حماية على منطقة دكالة. كما خضعت المناطق القريبة من القواعد العسكرية البرتغالية لنظام استغلال لاحد له واستعبد الناس.

□ على مستوى الهياكل المرتبطة بالدولة : أصبح جهاز الدولة عاجزا : قد سببت نهاية المرينيين في تشرذم البلاد، حيث صار لكل منطقة بل لكل مدينة استقلالها الذاتي. كما أن تطور القيادات المحلية أجج الصراعات، وأدى إلى أعمال عنف كثيرة.

□ لم تستطع الدولة الوطاسية إرساء حكمها لثلاثة أسباب :

- الأول مرتبط ببنيتها. فالدولة الوطاسية كانت تتصرف كقبيلة، أول حكامها كان يسمى الشيخ بدل السلطان. لقد ظلت هذه الدولة سجينة المفهوم المتجاوز للقبيلة المرتكزة على روابط الدم، بدون أسس دينية.

- السبب الثاني يرتبط بسياستها الخارجية : فبدل تنظيم المقاومة ضد البرتغاليين، فضل الحاكم الوطاسي عقد هدنة تمتد عشرين سنة مع البرتغاليين، وترك بين أيديهم ابنه كرهينة. إن هذا التحالف مع العدو الخارجي، الذي كان قد احتل طنجة وأصيلة في 1471 كان بمثابة خيانة. وكان تدخل أتراك الجزائر يدخل في نفس الاستراتيجية.

- يرتبط السبب الثالث باستراتيجيتها الداخلية : فالدولة الوطاسية، وجدت نفسها في مواجهة ثلاثة أطراف : فلول المرينيين، والزوايا وزحف السعديين. وبدل تنظيم المقاومة ضد البرتغاليين أججت السلطة الوطاسية الحرب الأهلية.

كيف كان رد فعل الناس على هذه الأزمة ؟

ازدهرت الحركة الصوفية. وقد تمحور هذا الازدهار في تطور الزوايا، حيث تشكلت الزوايا خارج الدولة فتسلمت زمام المقاومة ضد الغزو البرتغالي، الا أنها ستتورط في نزاعات الخلافة. فالتنافس بين الزاوية الشاذلية ذات البعد الوطني، والزاوية القادرية التي يوجد مركزها ببغداد سيؤدي إلى سيادة هذه الأخيرة على حساب الأولى التي كانت أكثر قربا من البوادي. هكذا انفصل الوطاسيون عن البادية.

لم تنظم المقاومة ابتداء من سنة 1512 حيث ساعدت الزوايا على مجيء السعديين وسيصبح للحركة قائد حقيقي.

هذه هي الخطوط الرئيسية لأزمة القرن الخامس عشر. ونظرا لعمقها، فقد تصورنا أن تكون الكوارث الطبيعية من بين عناصر تفسيرها. غير أن النصوص القليلة التي بين أدينا لا تتحدث إلا لماما عن الجفاف : إذن هناك عدة احتمالات، فإما أن هذه النصوص ناقصة، وإما أن فترات الجفاف لم تكن قاسية، وإما لم يحدث جفاف بالمرة طيلة هذا القرن !

فالقرن الخامس عشر ليس قرن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بل هو قرن أزمة الوثائق، التي ظلت مشتتة وجزئية ومفقودة. إنه في الحقيقة القرن المظلم في تاريخ المغرب.

تتحدث المصادر الموجودة عن ثلاث كوارث : وباءان قاتلان في 1441 ـ 1442 و1468 ـ 1469. وقد ساهم سقوط غرناطة في عودة الوباء سنة 1493 في فاس، حيث هاجر إلى المغرب عدد كبير من الأندلسيين الذين يحتمل أن يكونوا سببا في وقوع الكارثة.

أما فيما يخص التحولات المناخية فإن المساهمة الهامة لعلم تحقيب الأشجار (dendrochronologie) تتيح تقديم بعض عناصر التفسير.

بماذا تخبرنا عن القرن الخامس عشر ؟ إنه قرن مبارك من السماء ! في 1415 احتل البرتغاليون مدينة سبتة إلى 1521 ـ 1522 بداية سنوات الكوارث الطبيعية في القرن السادس عشر لم تحدث إلا كارثة جفاف واحدة. فعلم تحقيب الأشجار (dendrochronologie) يعكس بكل أمانة ما نعرفه من دراسة الوثائق فسنوات 1461 ـ 1469، كانت فعلا سنوات جافة تلتها أوبئة. (انظر الرسم البياني الذي أعده ستوكتون وفريقه) وباستثناء هذه السنة فإن الرسم البياني للتساقطات يظل فوق المتوسط. وهذا أمر مثير حقا، لأنه القرن الوحيد الذي شهد هذه الأحوال المناخية الجيدة.

يطرح هذا الوضع قضيتين، ويتضمن أحد عناصر التفسير :

ـ القضية الأولى هي التي تخص العلاقة بين الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من جهة، والمناخ من جهة أخرى.

ـ وتتعلق الثانية بالعلاقة بين الجفاف والأوبئة. فالنصوص تتحدث عن ثلاثة أوبئة (طاعون). لكن العلاقة بين الجفاف والأوبئة غير ثابتة إلا في وباء 1468 ـ 1469.

إنها قضية الترابط بين ظاهرتين، وسنرى بشكل دقيق في المثال الثاني الذي اخترناه وهو الكوارث الطبيعية في القرن السادس عشر.

2) الكوارث الديمغرافية في القرن السادس عشر

ويتعلق الأمر على الخصوص بالأزمة التي انطلقت مع جفاف 1521 ـ 1522 والتي ميزت التاريخ الديمغرافي خلال ثلاثة قرون.

يقول روزنبرجيه والتريكي بخصوص هذا الجفاف : «سيعرف المغرب مجاعة فظيعة، ستظل ذكراها عالقة بالأذهان لمدة طويلة (...) وسيتحالف الطاعون مع الجفاف في هذه الكارثة القاتلة». (انظر رسم 1).

ما هو ميكانيزم هذا الحدث ؟

ـ عرفت سنة 1520 جفافا قاسيا، لكن المناطق المسقية لم تتضرر كثيرا.

ـ خريف جاف في 1521، المجاعة وارتفاع أسعار المعيشة.

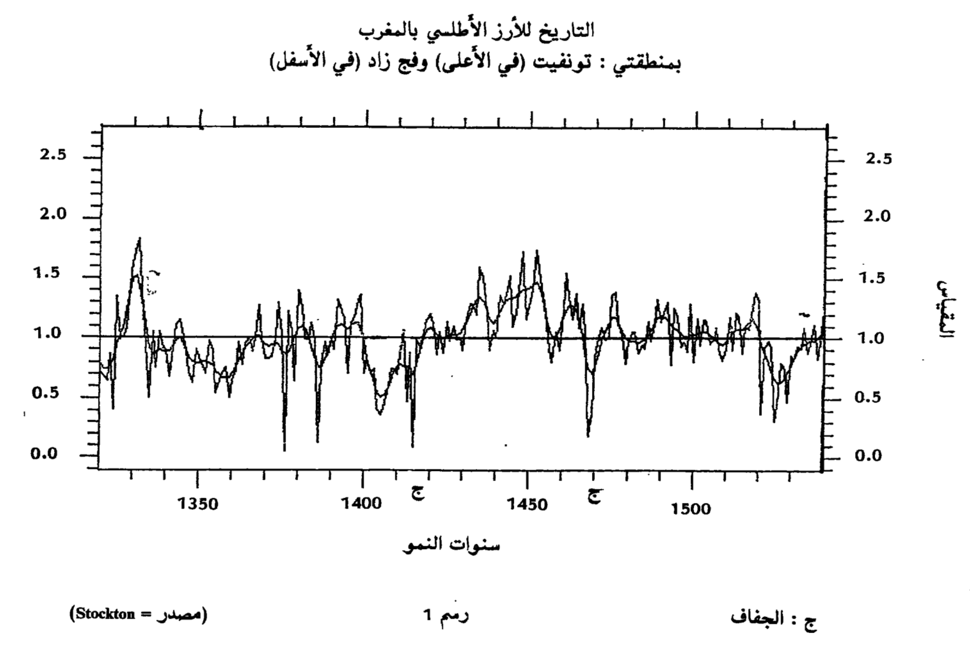
ـ 1522 ـ 1523 كانت سيئة للغاية بحيث تبدو السنة التي قبلها أحسن منها.

ـ توقف الجفاف في 1524، لكنه ترك وراءه الأسى، ماتت الأشجار وجفت المراعي، وتقلص حجم قطعان الماشية.

بين 1524، نهاية الجفاف، والوباء في 1552 ـ 1558 حدث تحسن محسوس في أحوال المناخ، غير أنه ظل تحت المتوسط، مع بعض فترات الجفاف الخفيفة في 1545. ولم ينقلب هذا الاتجاه إلا في 1552، حيث شهدت السهول الأطلسية مجاعات في 1521 ـ 1522، باستثناء سوس.

غير أنه بحدوث إصابات وبائية سنة 1557 ـ 1558، فإن آثار هذا الجفاف المستمر طيلة 35 سنة، وجد أرضية خصبة لاستفحال الطاعون.

وبالمقابل كان النصف الثاني من القرن السادس عشر طيبا، على الرغم من أنه عرف وباءين في 1580 ـ ومن 1597 إلى 1610. وفي الحالتين لم تكن هناك علاقة



رسم 1

(مصدر = Stockton)

سببية بين الجفاف والوباء، لأن الرسم البياني للتساقطات يخبرنا أن سنوات 1552 إلى 1600 كانت فوق المتوسط. ولا تخبرنا النصوص إلا عن مجاعة بسبب جفاف 1604 - 1608.

في هذه الظروف كيف يمكن الفصل بين آثار الجفاف ووباء الطاعون ؟ إذا كان الجفاف والوباء يفعلان بشكل منفصل، فإن آثارهما تختلف في الاتساع وحدود المجال. ومازال البحث التاريخي غير قادر على تحديد مختلف هذه الأبعاد. تخبرنا المعطيات المأخوذة عن دراسة حلقات الشجر أن النصف الثاني من القرن السادس عشر كانت أحواله المناخية طيبة.

غير أنه من سنة 1550 إلى 1610 شهد المغرب ثلاثة أوبئة متتالية. وسواء كان هناك تزامن في الظاهرتين أو تقارب في التتابع، فإن آثارهما تكاثفت ونتائجهما كانت مريعة، كان الوهن قد اشتد بالناس من جراء المجاعة، فجاء الوباء ليقضي عليهم.

عن هذه المسألة يحدثنا مؤرخان :

- لويس دي سوسا Luis de Sousa : «يلي هذا البؤس آخر أكبر منه، وهو الوباء الذي أصاب أولئك الذين أفلتوا من براثن المجاعة إما لبعد نظرهم، أو لأدخارهم القمح».

- رودريغو Rodrigo : «كان الوباء قويا ومعديا، تسرب إلى كل الأماكن المسكونة ليخرب أغلبها».[6]

إذن هناك ترابط قوي بين ظاهرتين مختلفتين. منذ 1493 تحالفتا وأدى هذا في 1521 و1522 إلى كوارث حقيقية.

بماذا يخبرنا علم تحقيب الأشجار (dendrochronologie) ؟ إذا كانت هذه المعطيات مطابقة لما نعرف عن جفاف 1521 و1522 وامتداداته، فإنه ليس هناك ترابط بين الجفاف والأوبئة خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر. (انظر رسم 2)

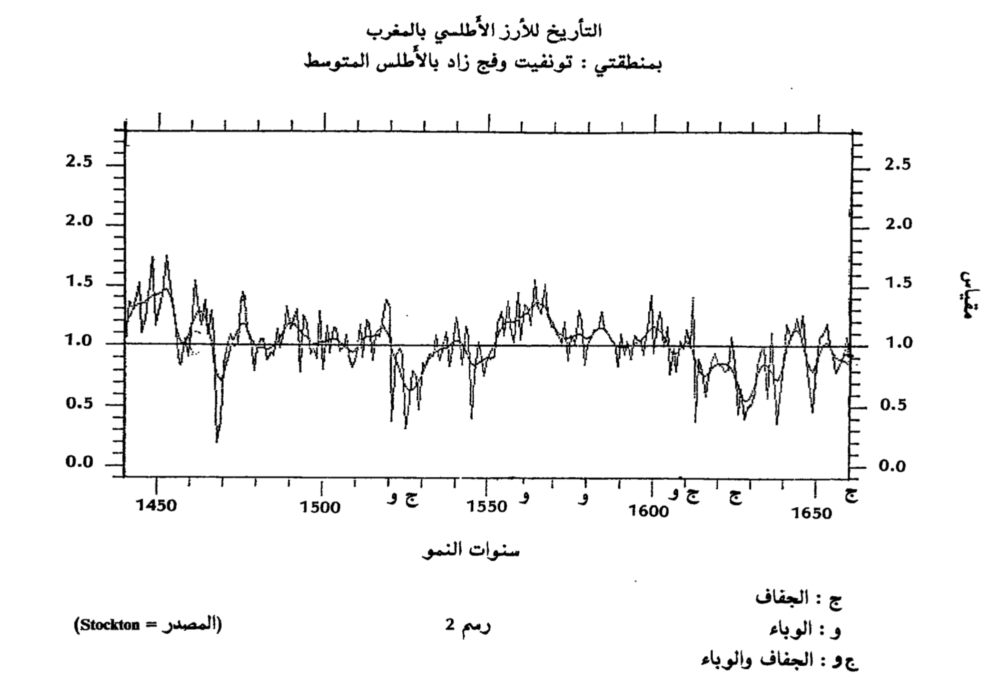
انطلاقا من هذه الاعتبارات، يمكن أن نحدد بعض الاتجاهات أو بعض المؤشرات :

☐ عندما يسود عنصر الوباء تحصل نتيجتان أساسيتان :

- الأولى على المستوى الديمغرافي : إن التقطيعات الداكنة للأوبئة تؤدي إلى

---

6) ذكره روزان برجيه والتريكي في مقالها : المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين السادس والسابع عشر :
Hesperis – Tamuda, Vol. XIV 1973. (lère partie p : 109-176) et F.U. 1974. (2ème partie : p. 5-104)



رسم 2 (المصدر = Stockton)

«مجازر» حقيقية في البنية السكانية. فوضى شاملة من جراء الوفيات الكثيرة، عدم صمود أي بنية : جهاز الدولة، السلطات المحلية، مختلف الفئات الاجتماعية من الأعلى إلى أسفل السلم الاجتماعي : تآكل المجتمع.

ـ أما على المستوى البسيكولوجي : فان الوباء يثير هلعا لا مثيل له في وسط السكان. في أحوال الجفاف، يحافظ الناس على ديناميتهم ويحاولون البحث عن مصادر التغذية أو يعوضون بحركيتهم وهجرتهم عن ندرة المواد ولا يفقدون الأمل. كما يصلون طلبا لغيث السماء أما في حالة الوباء، فإن الناس يستسلمون للقدر وللموت دون حراك.

وفي الحقيقة، إن هذا الفرق بين آثار الجفاف وآثار الوباء لم يتم تحديده. لذلك نحاول أن نصف بعض نتائجهما المترابطة والمتداخلة.

الكارثة الديمغرافية

إن الفاجعة الكبرى التي نتجت عن كارثة 1521 ـ 1522 أدت إلى ما يلي :

أ ـ موت ثلث أو نصف السكان حسب المناطق. كانت الاصابات قليلة في سوس والصحراء والمناطق الجبلية. بينما كانت الخسائر كبيرة في الشاوية ودكالة. والقول بأن 100 ألف شخص قد ماتت، تقدير متواضع. كما نتج عن هذا الوضع فراغ سكاني كبير في بعض المناطق لمدة طويلة.

في بعض المناطق كآسفي وأزمور تم التخلي عن عدة مدن : بولاران، ثامانا كوست تارغة.

وقد عانت المدن كثيرا لأن الوباء ينتشر بسرعة.

ب ـ هناك عامل آخر لتناقص السكان وهو الهجرة إلى الخارج. يقول روزنبرجيه والتريكي بهذا الصدد : «ان كثيرا من الناس، بسبب الجوع القاتل الذي خيم على آسفي وأزمور، فضلوا الأسر لدى المسيحيين، ليتم نقلهم جماعات إلى اسبانيا. 60 ألف في الأندلس ولشبونة في القرن السادس عشر. كما طلب الناس المتحالفون مع البرتغاليين في آسفي وأزمور الإذن من الملك دون أمانويل بالهجرة إلى البرتغال. غير أن هؤلاء المهاجرين كانوا يغادرون المغرب وهم عبيد في أغلبهم.

ج ـ انعدام التوازن في بنية السن والجنس : لقد مست هذه الكارثة كل الأجيال، على الأقل مرة واحدة وأحيانا مرات متعددة.

إن خسارة 10 ٪ من السكان يمكن أن تعوض في جيل واحد. لكن إذا كانت تصل إلى ثلث أو نصف السكان فانها لا تعوض إلا عبر أجيال متعددة.

غير أنه إذا كانت هناك خسارة في الشباب، فإن الاضطراب الديمغرافي يكون أكبر. وحسب أحد المؤرخين فإن العدد وصل في أزمور إلى 100 شخص يتوفون يوميا. ويضيف : «كانت المراكب الراسية على النهر مملوءة بالصبايا لأن لا أحد يريد شراء النساء والرجال».

وقد ضاعف من هذا اللا توازن البنيوي بحجم الخسارة العددي. ففي نهاية القرن الخامس عشر لم يكن عدد سكان المغرب يتجاوز 3,5 مليون إلى 4 ملايين نسمة.

وفي بداية القرن السادس عشر لم يتجاوز عدد السكان هذا القدر. ولم يزد عدد السكان إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

اكتمال ملامح الشخصية الجهوية للمغرب

حدث توزيع جديد للسكان عبر حملات هجرة متعددة وكان الاتجاه السائد هو النزوح القوي من المناطق الصحراوية والجبلية إلى السهول. وكان الفراغ الناتج عن الكوارث الديمغرافية يلعب دور الجذب تجاه مناطق لم تصبها المجاعات والأوبئة بأضرار كبيرة.

الانهيار الاقتصادي

مع تقلص عدد السكان يلجأ الإنسان ـ لتعويض النقص في الأيدي العاملة ـ إلى الرعي على حساب الزراعة.

هكذا ازدهر الاقتصاد الشبه رعوي في السهول الخصبة. وقد تميز هذا النمط الحياتي أحيانا، بنوع من التناقض. فالإنتاج والتقنيات لا تتطور والمجال ظل شبه فارغ.

وجذب هذا الفراغ سكان الصحراء والجبال، فنتج عن ذلك شغب قبلي، واضطرابات وغياب الأمن مما عرقل حركة الناس والمنتوجات. كما أن الاختلافات الاقليمية احتدت، فقد مست الأزمة أيضا مناطق الريف والسهول القارية كالحوز وتادلة.[7] وارتفعت الأثمان، مما ضاعف الخصاص وهدد تموين المدن، وحدث شبه

---

7) Histoire du Maroc, Brignon, Boutaleb, Hatier, p : 415, 1968

شلل في نشاطها الاقتصادي، فضعفت الصناعة التقليدية والتجارة الخارجية، ولم تعد المناطق الغنية تقوى على مدّ يد المساعدة لما حولها.[8]

ويمكن الاستنتاج من خلال هذه اللوحة القاتمة أن البلاد كانت تعيش انحطاطا اقتصاديا خطيرا ويتساءل المؤرخون حول أسباب هذا الجمود وعوامل هشاشة البنى الاقتصادية.

- هل هي أسباب تكنولوجية، أي أن التقنيات المستعملة لا تسمح بكثافة سكانية قوية ؟ أم أن تتابع الكوارث وقوة تأثيرها الديمغرافي منع السكان من إصلاح أحوال الاقتصاد ؟

أصبح من المستعصي إعادة بناء الاقتصاد الذي تضرر كثيرا نظرا للنقص الكبير في الرجال وفي بهائم الحرث وفي قطيع الماشية.

إن السؤال مشروع في هذه الحالة إذا علمنا أن كل قرن شهد سنوات قاسية ! في مواجهة هذه الكوارث المتعددة، ماذا يملك المجتمع في هذه الفترة من أساليب المقاومة ؟ بماذا يحتمي تجاه هذا القدر المهدد خاصة وأن كل الأجيال عرفت مجاعات وأوبئة كثيرة. قد نتصور مدى قوة الشعور بالرعب والخوف والاحساس بعبثية الوجود الذي ينتشر في أوساط الناس في هذه الظروف. هل يستسلمون للقدر، كما يقال دائما ؟

وفي الحقيقة لقد كانت هناك حالات يأس كثيرة شملت بيع الأطفال، انتحارات، تغيير الديانة...الخ.

النتائج الاجتماعية :

من الصعوبة تقدير هذه النتائج. يتحدث روز نبرجيه والتريكي عن وثيقة للمسمى عبد الله ابن محمد ابن أبي بكر البشواري، كشخصية دينية «يجعل من حسن التدبير وتنظيم الموارد العائلية واجبا دينيا، بل أساس التدين».

وإذا علمنا أن هذه الشخصية تنتمي إلى منطقة سوس، فإن العجب يزول لأن أهلها مشهورون بخصال العمل والتوفير».

ويعتمد هذا التوفير والتنظيم على المطمورة العائلية، وعلى المرس بالنسبة للمجاعات وعلى المخازن بالنسبة للسلطات المحلية، وعلى المخازن «إيكُودار» في

---

8) روزان برجيه والتريكي (المقال السابق).

الجبال والجنوب. ولم تكن هذه الاحتياطات كافية خاصة عندما تطول فترات الجفاف والأوبئة. وفي هذه الأحوال تكون الاضطرابات أقوى في المجتمع.

إن اختفاء عدد من العائلات بشكل مفاجئ، أدى إلى تغييرات اجتماعية عبر ميكانيزمات غير منطقية، فاختفاء عدد من الأعيان والأطر الإدارية والقادة الدينيين وارتقاء عدد من المغامرين والمحظوظين يتم بصورة مدهشة،[9] وإذا كانت المجاعة قد أصابت الفقراء أكثر من غيرهم فإن الأوبئة أصابت الفقراء والأغنياء على السواء.

كما أن نظرة الناس المتشائمة إلى الحياة وإلى تقلباتها والشعور بالتبعية تجاه الآخرين دفعت الكثير منهم إلى البحث عن مستند قوي يحميهم لأن النفوس كانت مضطربة جدا. وبهذا الشأن هناك احتمالان : فإما أن يكون هذا القوي شخصية محلية من الأعيان أو من الصلحاء والأولياء.

ففي الحالة الأولى لم يكن صعود وتقوية القوى المحلية وتعددها واستقلالها الذاتي في صالح تنظيم التضامن. فقد تلجأ هذه القوى إلى استغلال الناس، غير أن الوضع يمكن أن يتغير مع النقص في الأيدي العاملة، بسبب الأوبئة، إذ أن مساعدة الناس قد تكون أحيانا ناتجة عن ضرورات اقتصادية.[10]

في الحالة الثانية، يتزايد دور الصلحاء والأولياء والزوايا في ظروف الأزمة. فأمام عجز الوطاسيين (1471 ـ 1554) عن تنظيم تموين الناس، استطاعت مؤسسة الزاوية أن تؤطر أعمال الخير والإحسان، وتنظم التضامن بتوزيعها الموارد. وكان هذا أحد أسباب صعود الزوايا منذ القرن الخامس عشر وتعزيز نفوذها في القرن السادس عشر.

فالأتقياء يمكنهم القيام بدور فعال في أحوال الأزمة : دور التحكيم ودور اجتماعي لتعويض ضعف أو انعدام جهاز الدولة. لكنهم عملوا بالأساس على تأجيج مقاومة المحتل البرتغالي. لقد ساعد عملهم الديني وبركتهم على تقوية الصوفية، وانتشار تدين شعبي يتمحور حول المعيش اليومي للناس. فتطور الصوفية كان بلا شك مرتبطا بوضعية الأزمة التي كانت تفسر باعتبارها عقابا إلاهيا.[11]

---

9) نفسه.

10) نفسه.

11) Rosenberger. «B, Calamités, sécurité, pouvoir. Le Cas du Maroc (XV^eme^, XVIII^eme^ siècle) » in l'Etat et la Mediterranée. Peuples mediterranéens. Avril – Septembre 1984.

النتائج السياسية على البنى الاجتماعي للدولة

أثبتت أزمة 1521 ـ 1523 وجود علاقات بين الكوارث وسلطة الدولة. فقد ساعدت على ظهور سلالة حاكمة جديدة وهي سلالة السعديين، في حين انهارت دولة الوطاسيين. لم تتأثر اسبانيا كثيرا بالأزمة، لأن جهاز الدولة بها استطاع المواجهة سواء عن طريق استيراد القمح أو بتنظيم توزيعه على السكان.

بينما لم تصمد البرتغال كثيرا أمام الأزمة لأنها كانت منشغلة باحتلال شواطئ الأطلسي. إن تراجع الدخل الضريبي الذي كانت البرتغال تستخلصه من السهول الأطلسية التي أصابها الجفاف، وضرورة تموين المراكز البرتغالية انطلاقا من بورتوغال Portugal التي أصبحت عبءا كبيرا كل ذلك حد من الخطر البرتغالي. وكان ضعف البرتغال أيضا ناتجا عن هذا الوضع ولذلك لم يستفد كثيرا من ضعف المغرب زمن الاحتلال.

كانت موازين القوى مختلفة لصالح دول شبه الجزيرة الإيبيرية. وكان ضعف البني السياسية والإدارية للمغرب لا يسمح له باستيراد القمح من الخارج. بينما استطاعت اسبانيا أن تصل إلى تركيا لمواجهة مصائب الجفاف. أما الوطاسيون، حسب ليون الافريقي فكانت تعوزهم الإمكانيات المالية، وكان تنظيمهم الإداري ضعيف السيطرة على مجموع البلاد. فلمواجهة كوارث المجاعات لم يكن الوطاسيون يتوفرون لا على السلطة السياسية، ولا على جهاز الدولة القادر على تنظيم التموين.

فقد المغرب احتكاره للتجارة الصحراوية بعدما تحولت الطرق للجزائر وتونس، وحوصرت شواطئه من طرف الإسبان والبرتغال، مما منعه من ممارسة التجارة عبر البحر، وعانى من خسارة ديمغرافية كبيرة. وأدى تظافر هذه العناصر إلى إضعاف السلطة السياسية كما ضعفت السلطات المحلية من جراء المجاعات والأوبئة، وأصبح جهاز الدولة عاجزا عن الفعل. وهذا ما يفسر انطلاق أعمال العنف. كما أن الصراعات الأهلية، بعد سقوط دولة الوطاسيين وصعود السعديين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، ستكون بداية مرحلة جديدة في تاريخ المغرب، مختلفة عن القرون الوسطى، حيث ستتميز بانهيار الحياة الحضرية وظهور مراكز ثقافية مرتبطة بالزوايا وازدهار دور الشرفاء. وستمتد مميزات هذا الوضع إلى نهاية القرن التاسع عشر.

3 ـ الدولة كضابط لآثار الجفاف خلال النصف الثاني من القرن XVII

إذا كان القرن السادس عشر قد عرف جفاف 1521 ـ 1523 ووباءين في 1557 ـ 1558 و1579 ـ 1580، فإن القرن السابع عشر لم يفلت من هذه الكوارث الطبيعية : سبعة وعشرون فترة جفاف أصابت المغرب في هذا القرن، وإحدى عشرة فترة في القرن السابق ويعكس علم تحقيب الأشجار هذا التفاقم بصورة واضحة.

وبالإضافة إلى الجفاف، فإن سنوات 1597 ـ 1608 شهدت وباءا فظيعا حل بالبلاد وكانت آثاره متعددة : انهيار سلطة السعديين التي عرفت صراعات داخلية للطامعين في الحكم، وظهور أبو مهالي، مهدي آخر ساهم إلى جانب المجاعة والفوضى والعنف في اضطراب النفوس.

وقد تلت هذه الفاجعة، بعد 15 سنة، فترة جفاف قاسية استمرت ست سنوات من 1626 إلى 1631.[12] وستؤدي المجاعة والفوضى إلى تعميق أزمة الدولة. في هذه الظروف ستتشكل شيئا فشيئا، وخلال هذه العقود المضطربة، مباشرة بعد الجفاف في 1660 و1662، دولة جديدة، هي دولة الشرفاء العلويين.

وسواء في مراحل التأسيس في عهد مولاي رشيد أو عند إرساء دعائم الدولة في عهد مولاي اسماعيل، فإن المغرب شهد فترات الجفاف من 1672 إلى 1727(انظر رسم 3)

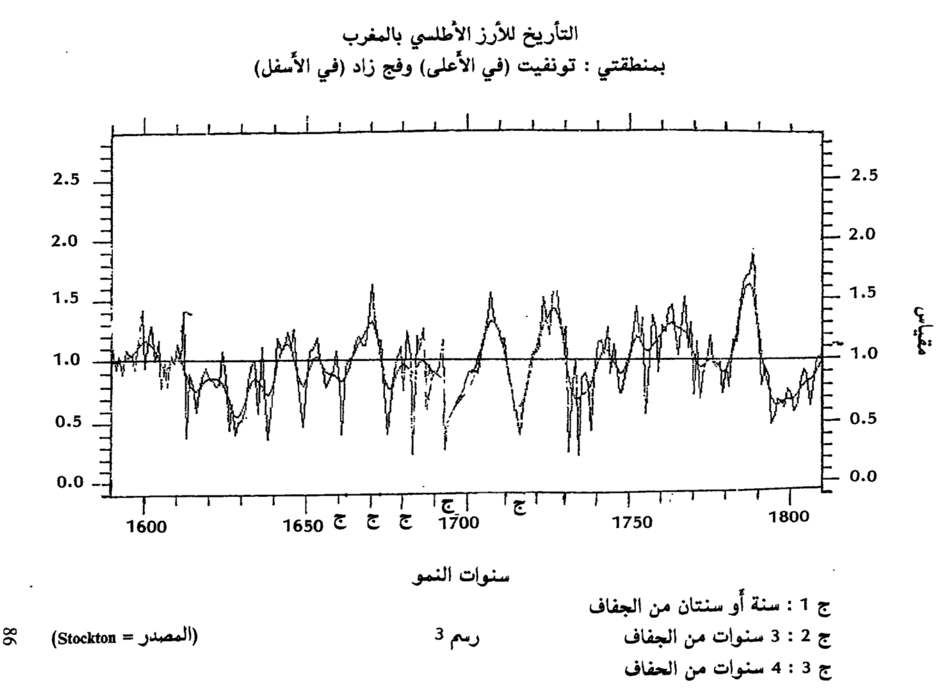
عرف عهد السلطان الكبير ـ مولاي اسماعيل ـ خمس فترات جفاف، الأولى لم تكن طويلة من سنة إلى سنتين 1672 ـ 1673 و1679 ـ 1680 و1682 ـ 1683. بينما كان في بداية تقوية هياكل الدولة ومحاولة إخراج البلاد من حالة الفوضى والانهيار الاقتصادي. وشهد المغرب بعد ذلك فترتين من الجفاف استمرت الأولى ثلاث سنوات والثانية أربع سنوات، من 1693 إلى 1695 ومن 1714 إلى 1717.

وتدل دراسة حلقات الشجر التي قام بها ستوكتون على هذه الفترات بدقة لا مثيل لها، ومن الطبيعي أن تكون لهذه الكوارث آثار سلبية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. على أن عهد المولى اسماعيل كان عهدا قويا، فهو عهد الاستقرار

---

12) حالات الجفاف التي تدوم ست سنوات، تحدث حسب ستوكتون كل 455 سنة. تلك التي تتسم بنفس قسوة وشدة الجفاف الذي وقع بين سنتي 1979 ـ 1984، قد حدثت في فترات : 1064 ـ 1069 و1626 ـ 1631.
أنظر (Reconstruction à long terme de la secheresse au Maroc, op. cit)
على أن «الإيقاع المرحلي للجفاف بالمغرب يتغير كل عشرين سنة» بحسب الدراسات المنجزة حول حلقات الأشجار من طرف ستوكتون وجماعته.

التأريخ للأرز الأطلسي بالمغرب
بمنطقتي : تونفيت (في الأعلى) وفج زاد (في الأسفل)



ج 1 : سنة أو سنتان من الجفاف
ج 2 : 3 سنوات من الجفاف
ج 3 : 4 سنوات من الحفاف

رسم 3

(Stockton = المصدر)

والتقدم حيث إن مجهود إعادة بناء الدولة أعطى ثماره المتمثلة في عودة الأمن وضمان المبادلات وتموين الناس بسهولة.

كيف نفسر هذه المفارقة ؟ إنها ترتبط بالدور الذي تلعبه الدولة في مواجهة الكوارث. فدور السلطان في تنظيم السوق ومراقبتها وارتفاع أسعار الحبوب والمواد يكون حاسما. فالسلطان يتدخل للحد من ارتفاع أسعار الحبوب عن طريق إنزال ما تحتويه مخازنه للسوق من أجل تلبية الطلب والحفاظ على سعر مناسب.

يفيدنا جوزي دي ليون[13] بشهادات مهمة بهذا الخصوص حيث يقول : «أمر المولى اسماعيل في إحدى فترات الغلاء التي تسببت في موت الكثير من الناس (ربما كانت 1679 ـ 1680) كل الذين يمتلكون خزائن من الحبوب أن يخرجوها للسوق. وبدأ بأبنائه، على أساس أن يكون السعر أقل سبع أو ثمان مرات مما هو موجود في السوق، وضعف سعر سنوات الصابة. وقد عزز أمره هذا بتهديد المخلين به، بالإعدام ونزع ممتلكاتهم. وكان لهذا الأمر تأثير مباشر على الأسعار حيث نزلت في السوق إلى قرابة 23 ريال وقاربت الأثمان العادية».

كما تم إعدام أحد الباشوات المحتكرين، ونزعت ممتلكاته لتوزع على الفقراء. هكذا قضى على الاحتكار، وبدا السلطان كضابط حاسم لميكانيزمات السوق بتدخله وتوزيعه للمخازن التي يملكها كبار الشخصيات في فترات أزمة التغذية.

خلاصـــة :

انطلاقا من هذه الأمثلة الثلاث التي أخذناها من القرون الثلاثة، يمكن القول بأن الكوارث الطبيعية أثرت بشكل حاسم أحيانا على مصائر البلاد والعباد. غير أن هناك خلاصة أولى يمكن استخلاصها، وهي أنه رغم كل الأوضاع، فليس هناك حتمية تاريخية. إذ يحتفظ الأفراد والمؤسسات وجهاز الدولة بهامش حرية تجاه ضغوطات الظروف الطبيعية.

إن أسلوب تسخير الموارد على مستوى الفرد والعائلة، وعلى مستوى الجماعات المحلية وأجهزة الدولة يعتبر مسألة أساسية. ان عمل الإنسان وفعله يستطيع أن يعمق من آثار الكوارث الطبيعية أو يخفف منها ويمحوها بالمرة.

---

13) ذكره روزان برجيه في « Calamité, securité, pouvoir, op. cit »

الخلاصة الثانية هي أن ظاهرة الجفاف كارثة طبيعية مرتبطة بشكل بنيوي ببيئتنا الطبيعية، ولذلك ينبغي أخذها بعين الاعتبار في طريقة تسخيرنا لمواردنا الاقتصادية والاجتماعية. وليس هذا دور الدولة وحدها، بل هو مسألة وعي جماعي بخصوصيات ومحدودية محيطنا الطبيعي. ويمكّن التقاليد التنبؤ بأحوال المناخ والتحكم في الحاجيات ومواجهة تبدير الموارد أن تحد من الآثار السلبية لهذه الضغوطات الطبيعية.

وفي هذا المجال يمكن إخضاع التقلبات المناخية لمراقبة مستمرة وتسجيل ملاحظات على فترات ممتدة للتحكم في ضبط احتمالات ما سيأتي به «المناخ»، وتسخيره بشكل عقلاني.

الخلاصة الثالثة : تتعلق بأهمية البحث العلمي في ميدان التاريخ المناخي فالمعرفة المنهجية لتاريخنا المناخي تمكننا من معرفة أفضل لأنفسنا ولإمكانياتنا ومحدوديتها.

لقد لعب الجفاف في الماضي، بالإضافة إلى الأوبئة، دورا خطيرا في النزيف الديمغرافي الذي أصاب البلاد مدة أربعة قرون وشكل عائقا في طريق تطورها. ويأتي الجفاف اليوم في البلاد في ظروف مغايرة، إنه لا يهدد التوازن الديمغرافي غير أن النمو الديمغرافي المتزايد يعمق من الآثار السلبية للجفاف ويهدد الناس في طريقة عيشهم، كما يهدد البيئة المغربية والتوازن البيو ـ مناخي في بلادنا، هذا التوازن قد يصير غير قادر على تلبية الحاجيات الغذائية للأحياء !

المجتمع التونسي من خلال دراسات الجغرافيين الغربيين[1] في الفترة الكلونيالية

حافظ ستهم
كلية الآدب - تونس

شهدت الفترة الكلونيالية ظهور ونمو الدراسات الجغرافية العصرية في البلاد التونسية، وكان ذلك امتدادا لازدهار العلوم الإنسانية في العالم الغربي وفي فرنسا بالخصوص، ويرجع نمو الأبحاث الجغرافية أيضا إلى الحاجة الملحة للمسؤولين السياسيين والعسكريين عن الحماية للمعلومات الدقيقة والضافية عن مختلف فئات المجتمع التونسي وتنظيماتها وكيفية عيشها ومشاربها وسلوكها وموقفها من السلطة بصفة عامة، ومن الاحتلال الفرنسي خاصة، وكذلك مواردها ومساكنها وتوزعها في الفضاء وتنقلاتها الخ... ولقد شهدت الدراسات الجغرافية ازدهارا ملحوظا يرجع أيضا إلى انفراد الجغرافيين، بصفة تكاد تكون كلية حتى الحرب العالمية الثانية، بالدراسات الاجتماعية والاقتصادية وندرة الأبحاث السوسيولوجية والاقتصادية المختصة. وهكذا فإن القسم الأكبر من الدراسات البشرية عن المجتمع التونسي في ذلك العهد من إنتاج الجغرافيين. وإنه لمما يدعو إلى الانتباه أن الجغرافيين انفردوا بانجاز دراسات ميدانية معمقة، تمثل كتبا ضخمة تفوق 500 صفحة نوقشت كأطروحات دولة في الجامعات الفرنسية، مثل دراسة منشيكور عن التل الأعلى ودراسة بونيار عن التل الشمالي ودراسة ديبوا عن الساحل والسباسب العليا. ولا نجد بالنسبة لكامل الفترة الكلونيالية أي دراسة سوسيولوجية أو اقتصادية من نوع الأطروحة أو أي دراسة معمقة في هذه المجالات، ما عدا بعض المقالات السريعة أو الكتب التي لم تنجز من طرف باحثين مختصين في علم الاجتماع أو علم الاقتصاد.

1) الأغلبية الساحقة إن لم نقل كل الدراسات الجغرافية في الفترة الكلونيالية قام بها باحثون فرنسيون.

ونظرا لأهمية إنتاج الجغرافيين وتنوع اهتماماتهم ومؤلفاتهم وتطور نظرتهم للمجتمع التونسي وكذلك موقفهم من النظام الاستعماري، فإنه يمكن تصنيفهم إلى صنفين، ويمثل الصنف الأول كتاب الجيل الأول وأهمهم شارل منشيكور Charles MONCHICOURT وأوقستين برنار Augustin BERNARD وف. بونيار F. BONNIARD وجان ديبوا Jean DESPOIS أي الباحثون الذين ترعرعوا وواكبوا فترة «صعود وازدهار السياسة الاستعمارية» فكانوا من المدافعين عن النظام الاستعماري ومن المساهمين في بنائه وتقديم الدراسات العلمية التي تخدم مصالحه وحاجياته.

ورغم أن أغلبهم كان من الأساتذة، وليس له مسؤولية مباشرة في الإدارة الاستعمارية فإنه تجدر الإشارة إلى أن شارل منشيكور فضل التخلي عن التعليم والالتحاق بالإدارة. ولقد باشر عدة مرات خطة مراقب مدني في مختلف مناطق البلاد ثم تحول إلى مسؤول سام في الإقامة العامة وأصبح من المدافعين الرسميين والناطقين باسم حكومة الحماية ومن المسطرين لسياستها، ومن المعروف أنه دافع عن سياسة ما سمي «بالاستعمار الرسمي» la colonisation officielle في الميدان الزراعي التي ترمي إلى استعمار توطيني يسعى إلى تركيز أكثر ما يمكن من المزارعين الفرنسيين في الأرياف التونسية ويكافح «خطر منافسة المزارعين الإيطاليين» ولقد نشر كل عناصر هذه السياسة في كتاب أصدرته الإقامة العامة بدون أن يذكر مؤلفه وسمي «رد بالك» : «البلاد التونسية بعد الحرب» يحذر الفرنسيين من خطر الاحتلال الزراعي الإيطالي وهو من تأليف منشيكور.

ولكن على إثر الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929 وانعكاساتها على الاقتصاد الاستعماري في تونس وانهيار أسواقه التقليدية وتراجع الثقة بالنفس من طرف نظام الحماية وظهور بوادر الثورة الديموغرافية بين السكان التونسيين وتحديق خطر الاكتضاض السكاني في الأرياف والمدن وكذلك صعود الحركة القومية التحريرية بين الحربين وانعكاسات الحرب العالمية الثانية على الامبراطوريات الاستعمارية، فإن البلاد التونسية شهدت ظهور جيل جديد من الجغرافيين المناهضين للنظام الاستعماري مثل جان بونسي Jean PONCET وبول سباغ Paul SEBAG وترتكز دراساتهم على تحليل كيفية الاستحواذ العقاري للمعمرين الأوروبيين والتنديد بهذه العملية التي كانت على حساب الفلاحين التونسيين وكذلك احتكار كل المناصب الإدارية والاقتصادية من طرف الفرنسيين ولفائدتهم على حساب التونسيين. وهكذا فبينما مثل الجيل الأول من الجغرافيين جيل الثقة بالنظام الاستعماري والدفاع عنه وخدمته فإن

الجيل الثاني من الجغرافيين دشن فترة تراجع النظام الاستعماري وظهور الشك في مستقبله والشروع في انتقاد طرقه وأهدافه ونتائجه والتنديد بانعكاساته السلبية على المجتمع التونسي في الريف وفي المدينة والتركيز على أن ازدهار الأقلية المحظوظة من المعمرين الأوروبيين كان على حساب الأغلبية الساحقة من التونسيين وإبراز تحيز سلط الحماية للمصالح الاستعمارية المهيمنة بدعوى الإصلاح والعصرنة.

ولذا فإنه من ميزات الجغرافيا التونسية في الفترة الكلونيالية ظهور جيل أول من الجغرافيين الفرنسيين المناصرين والمدافعين عن الاستعمار في النصف قرن الأول من عهد الحماية، ثم بروز نزعة جديدة في العشرية الأخيرة من الحماية أي بعد الحرب العالمية الثانية مناهضة للاستعمار وتستعمل مفاهيم جديدة ونظريات متضاربة تماما مع السياسة الاستعمارية خلافا للجغرافيين الفرنسيين في المغرب الأقصى، مثلا الذين تحالفوا مع ليوتي وكانوا من المدافعين على نظام الحماية ومن المتعاونين معه حتى استقلال البلاد مثل جان سلريي وجورج هاردي وغيرهما[2] ولم تظهر ولو في أواخر الفترة الاستعمارية نزعة مناهضة للنظام الاستعماري على نطاق واسع مثلما برز ذلك في البلاد التونسية وتجسم في أطروحة جان بونسي الضخمة وعنوانها «الاستعمار والزراعة الأوروبية في البلاد التونسية منذ عام 1881» وكذلك في الدراسات المتعددة عن الاحياء الكوخية والعمال التونسيين في مدينة تونس لبول سباغ.

وإلى جانب هذا التصنيف للجغرافيين الفرنسيين في تونس في الفترة الكلونيالية بين مناصرين ومناهضين للنظام الاستعماري، فإنه يمكن إبراز ظاهرتين أساسيتين في إنتاجهم العلمي وتتمثل الأولى، كما رأينا، في أن الجغرافيا وسيلة كفاح سياسي ولذا فإنها تستعمل إما لخدمة الدولة الاستعمارية أو لمناهضتها والتشكيك في أهدافها ونتائجها والتنديد بأساليبها وتحيزها. وتتمثل الظاهرة الثانية في الرصيد العلمي الأساسي الذي توصل إليه الجغرافيون للقيام بتحليل عميق وموضوعي للواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمجتمع التونسي بصفة خاصة والمجتمع المغاربي بصفة عامة.

وسنحاول في هذه الورقة إبراز الخاصيات المنهجية والنتائج العلمية للجيل الأول من الجغرافيين المناصرين للنظام الاستعماري ثم التركيز على التغيرات المنهجية والنتائج العلمية للجيل الأخير من الجغرافيين الفرنسيين المناهضين للاستعمار.

2) انظر مقال الأستاذ محمد الناصري.

« La géographie coloniale : une science appliquée à la colonisation » **Séminaire CNRS et Pinceton** University. Avril 1982. 56 pages dactylographié.

وسنختم باستخلاص الحصيلة العلمية لأبحاث الجغرافيين الفرنسيين في العهد الكلونيالي وتأثيرها على الأبحاث الجغرافية بعد الاستقلال التي أصبحت في معظمها من صنع التونسيين وكذلك تأثيرها على أبحاث العلوم الإنسانية الأخرى مثل علم الاجتماع والعلوم الاقتصادية والاثنولوجيا والعلوم الانتربولوجية وغيرها.

I ـ أبحاث الجغرافيين المناصرين للنظام الاستعماري عن المجتمع التونسي

لابد من التركيز على أن هذا الموقف المناصر للنظام الاستعماري والمدافع عنه والعامل على تدعيمه وترسيخه له انعكاسات على أبحاث الجغرافيين وكيفية تحليلهم للمجتمع التونسي واستنتاجاتهم. ولذا فإن منشيكور مثلا في دراسته عن التل الأعلى لا يخفي أن هدفه الأساسي هو تحديد مناطق زراعية خصبة لتنصيب مزارعين فرنسيين عليها. ولذا فإنه يصرح بأن خصوبة أراضي التل الشمالي وكذلك وجود الميناء الحربي ببنزرت يؤهلان هذا الإقليم بأن يصبح من أهم مناطق التركز الاستعماري. ولتوفير أكثر ما يمكن من الأراضي الصالحة للاستعمار الزراعي فإنه يندد بالمدافعين عن الغابة الطبيعية ووجوب الاحتفاظ بها قائلا بأن الغابة «ليست تحفة تحفظ في المتاحف».[3]

وتظهر هذه النزعة المناصرة للنظام الاستعماري أكثر وضوح عند جان ديبوا حيث يؤكد على الجانب التطبيقي للجغرافيا. فعندما يتحدث عن أصل سكان الساحل التونسي فإنه يذكر بأن الكثير من الساحليين من أصل بدوي ترحالي أو شبه ترحالي ولذا «فلا يجب التغافل عن هذه الظاهرة عند تطبيق سياسة اقرار البدو في السباسب». ووراء الاهتمام الكبير لديبوا بالمشكل العقاري وبدراسة الأراضي الجماعية والأحباس العامة والخاصة والأراضي العمومية (البيليك) والأراضي الخاصة فإن الهدف الأساسي هو إبراز إمكانية ولوج الاستعمار الزراعي وتعبئة أكثر ما يمكن من الأراضي للمعمرين وكذلك تبرير سياسة الاستحواذ العقاري الاستعماري. ولذا فإنه من الطبيعي ومن المنتظر أن نقرأ في كتاب ديبوا عن «البلاد التونسية» الذي نشر عام 1930 أن «الفرنسيين ركزوا النظام والعدل (في البلاد التونسية) حيث كانت تسود الفوضى والتعسف» وأنهم «خلقوا الثروة في أقاليم كانت مهجورة ومهملة وجلبوا الرفاهية لسكان تعودوا منذ عهد بعيد على البؤس» ولقد ساهم نظام الحماية «في خلق الثروة ومنح مواطن الشغل في كل مكان وحمل التونسيين إلى توسيع مزروعاتهم وتحسينها وفي اقرارهم نهائيا على أراضيهم».

3) كل المقتطفات من مؤلفات الجغرافيين الكلونياليين من ترجمتنا الشخصية.

ويكفي التذكير بأن أقستان برنار كتب من جهته بأنه «من واجب الأوروبيين تسيير الأهالي les indigènes في طريق التقدم وتجنيبهم الرجوع من جديد إلى الفوضى التي أخرجناهم منها بعناء».

ومما لاشك فيه أن هذه المواقف وهذا الاتجاه السياسي والاقتصادي والاجتماعي للجغرافيين المناصرين للنظام الاستعماري له انعكاسات أساسية على طرق البحث وكذلك على المفاهيم والنظريات والاختيارات الهامة لهؤلاء الباحثين.

1 ـ الطرق المنهجية المتبعة :

اعتمدت دراسات الجغرافيين من الجيل الأول على الامكانيات المتوفرة في ذلك العهد للحصول على معطيات تهم المواضيع الإقليمية الموضوعية التي اختاروها فشاركوا في الرحلات والاستكشافات التي قامت بها البعثات العلمية والمعاهد والجامعات الفرنسية المحلية منها والمتروبوليتانية وشاركوا في الجمعيات العلمية الاستعمارية مثل معهد قرطاج ونشريته الدورية المتعددة الاختصاصات «المجلة التونسية» La Revue Tunisienne التي بدأت تصدر عام 1894 ودامت حتى عام 1949 وخلفتها «الكراريس التونسية» Les Cahiers de Tunisie ابتداء من عام 1952 التي أصدرها معهد الدراسات العليا بتونس. واستعمل الجغرافيون كل الدراسات والتقارير التي قامت بها مصالح الاستخبارات المدنية والعسكرية ومن أهم هذه الدراسات بالنسبة للبلاد التونسية ـ المسح الشامل الاقليمي الذي قام به ضباط الشؤون الأهلية في العشرية الأولى من انتصاب الحماية لكامل أقاليم البلاد وتمثل دراسة مستفيضة لكل العناصر البشرية والاقتصادية والعسكرية وخاصة للقبائل والفرق والجمعيات المرابطية وموقفها من السلطة بصفة عامة ومن الحماية الفرنسية بصفة خاصة.

ولقد استعمل الجغرافيون أيضا الدراسات العقارية وكل ما يهم الملكية الزراعية (أراضي العروش والأراضي الأحباس والأراضي الملك، الخ) ومشاكل وطرق التسجيل العقاري L'immatriculation foncière وكذلك أمثلة المسح le cadastre التي قام بها حكام «المحكمة المختلطة العقارية» المنشورة والغير منشورة، وكذلك المراقبون المدنيون والموظفون المختصون في الشؤون العقارية والعاملون في عدة مصالح ومن بينها مصلحة «الدفتر خانة le service de la conservation foncière أمثال بـ. لسكور P. Lescure و ج. لوط G. Loth و إ. سلطان E. Sultan و أ. بطبول A. Boutboul و ج. ركتنفلد G. Rectenwald و هـ. دي منتيتي H. de Montety و لـ. هوسي

L. Housset و ر. ســوران R. Surin و بـ. دومــا P. Dumas و إ. بــوتــو E. Buthaud و بـ. بردان P. Bardin وغيرهم. والجدير بالذكر أن موقف الجغرافيين من الجيل الأول المناصر للاستعمار هو نفس موقف هؤلاء الموظفين الإداريين ويرمي إلى التعرف على الوضع العقاري والبحث عن كل الأساليب لتعبئة أكثر ما يمكن من الأراضي وفتح الأفاق للاستعمار الزراعي الاستيطاني الذي يرمي إلى تثبيت نظام الحماية في البلاد «إلى الأبد».

ولكن الجغرافيين لم يقتصروا على هذه الدراسات والإمكانيات الاستكشافية التي وفرتها لهم سلط الحماية بل بالعكس فإنهم طبقوا الطرق المنهجية المتبعة من طرف المدرسة الجغرافية الفرنسية والتي تركز أساسا على «البحث الميداني» l'enquête directe ودراسة الأمور في عين المكان، ويعبر عن هذا الاختيار المنهجي أحسن تعبير شارل منشيكور في أطروحته عن التل الأعلى إذ يقول بأنه حاول في دراسته الاقليمية تجربة نجاعة الطرق المنهجية للجغرافيا الإقليمية الفرنسية والتدليل على صلاحيتها في شمال إفريقيا. ويفسر اختياره لموضوع التل الأعلى بتسميته عام 1898 كموظف في مكثر، وتشوقة للتعرف على الإقليم، وخيبة أمله عندما لم يجد شيئا يذكر يعينه على أداء مهمته في الإقليم ولذا فإنه يقول بأنه أعد وألف «الكتاب الذي تمنى أن يجده عند وصوله إلى مكثر» وبعد اطلاعه على كل ما كتب عن المنطقة تيقن من وجوب القيام بدراسة ميدانية للتعرف على الإقليم ولذا فإنه يصرح بأن هذا الكتاب عن التل الأعلى «لم يستند أساسا على الكتب» ولكنه نتيجة «فحص مباشر للأشياء» وذلك لأنه خلافا لما هو موجود في فرنسا فإنه لا يمكن ملء الفراغ العلمي بالاعتماد على الكتب والدراسات المتوفرة. ونظرا للظروف السائدة في الإقليم في ذلك التاريخ وانعدام وسائل النقل السريعة العصرية فإن الباحث تعرف على جميع أنحاء الإقليم وعلى سكانه ومشاكلهم مستعملا «التنقل على الحصان والسكنى تحت الخيام» وواجه كل مشاكل «ومغامرات الحياة الترحالية» ولقد اغتنم فرصة عمله في مكثر مدة سنتين بين نونبر 1898 وفبراير 1901، وقدر الرحلات الدراسية التي قام بها في الإقليم بين عام 1898 وعام 1906 بحوالي ثمانية أشهر كاملة في الجملة. ويلخص أهمية البحث الميداني والتعرف المباشر على الاقليم وسكانه قائلا «ولقد كانت مساهمة الكتب في دراستها أقل من مساهمة جوادنا وعينينا ولساننا وأذنينا».

وحيث إن الدراسات الأساسية للجيل الأول مثل دراسة بونيار عن «التل الشمالي» ودراسة ديبوا عن «الساحل والسباسب السفلى» كانت من صنف الدراسات الاقليمية

Monographies Régionales فإن أصحابها استعملوا نفس الأساليب المنهجية واعتمدوا أساسا وقبل كل شيء على البحث الميداني والدراسة المباشرة والتحدث مع الفلاحين البدو منهم والقرويين وكذلك الحضر بجميع فئاتهم ومع المسؤولين الإداريين الأوروبيين والتونسيين.

وتجدر الإشارة إلى أن طرق البحث الميداني في ذلك العهد وحتى الحرب العالمية الثانية كانت تقتصر على المعاينة والتحادث مع السكان والمسؤولين وتدوين كل المعطيات والمعلومات التي تبدو مفيدة لكن بدون اللجوء إلى الطرق الإحصائية الحديثة وإعداد استمارة متعددة الاهتمامات أو عدة استمارات questionnaires واختيار عينة un échantillon معبرة وملء كل استمارة ثم تحليلها فيما بعد بطرق التحليل الإحصائية الحديثة المستعملة مثلا في التعدادات السكانية. وأتذكر أن الأستاذ ديبوا قال لي خلال رحلة ميدانية في ولاية نابل : «قمت بدراستي الميدانية عن الساحل والسباسب السفلى مستعملا في تنقلاتي كناشا صغيرا فقط».

2 - المواضيع المطروقة :

شهدت البلاد التونسية خلافا للجزائر والمغرب اهتماما بالغا بالدراسات الاقليمية في الفترة الكلونيالية وكانت كل هذه الدراسات الاقليمية المعمقة من إنجاز جغرافيين من الجيل الأول وهم منشيكور وبنيار وديبوا وحيث إن ظاهرة التحضر كانت هامشية في البلاد إذا استثنينا مدينة تونس فإن الأقاليم التي وقع عليها الاختيار أغلبها أقاليم داخلية وقبلية ريفية لا تملك إلا نسبة ضئيلة من الحضر مثل التل الشمالي والتل الأعلى وتمثل دراسة جان ديبوا وضعا انتقاليا إذ يتكون الإقليم من منطقة قروية - حضرية وهو الساحل القديم ومنطقة بدوية في سباسب القيروان وصفاقس إذا استثنينا هاتين المدينتين. وعلى كل فإن أغلب الدراسات الجغرافية لتلك الفترة تركز على دراسة الأرياف بمشاكلها المختلفة فتعطي مكانة مرموقة للقبائل والفلاحين القرويين ولظاهرة الاستقرار La sédentarité والترحال أو الشبه ترحال Le Nomadisme et Le semi-nomadisme وللتنقلات الرعوية والانتجاع La transhumance وكذلك لتطور نمط عيش السكان والاستقرار التلقائي La sédentarisation للبدو الرحل أو الشبه رحل أو الاستقرار المسير من طرف سلط الحماية التي تسعى لإقرار السكان وإحكام مراقبتهم سياسيا واقتصاديا. وهنالك أيضا اهتمام واضح بدراسة المناطق السقوية

المتوفرة في الوسط والجنوب(4) وإمكانية توسيع رقعتها لتصبح عنصرا مشجعا للاستقرار وبعث إمكانيات عيش قارة على عين المكان... وتدخل أيضا دراسة السكن الريفي وتطوره(5) في نطاق التعرف على القبائل ونوع مساكنهم وتفرقها أو تجمعها وتراجع ظاهرة الخيام وتعويضها التدريجي بالأكواخ والديار بعد ثلاثين أو أربعين سنة من انتصاب نظام الحماية.

وهكذا فإن المواضيع الريفية والإقليمية التي يهيمن عليها الطابع الريفي القبلي خاصة أو القروي في الساحل أو الحضري في منطقة صفاقس حازت نصيب الأسد في الدراسات الجغرافية للجيل الأول المناصر للاستعمار. وتجدر الإشارة إلى أن طريقة درس هذه المواضيع من طرف هذا الصنف من الجغرافيين متأثرة كثيرا بنزعتهم الاستعمارية. فنرى مثلا انهم مهتمون كل الاهتمام بالمسائل الأمنية والسياسية وكل ما يسهل تحكم السلط الاستعمارية في القبائل وما يمكن من خلق التفرقة بينهم للاطمئنان من ناحيتهم. فدراسة القبائل تهتم بعناصر التضامن السائدة بينهم وقوتهم الحربية في حالة ظهور انتفاضة وأهمية ممتلكاتهم من الماشية والأراضي الزراعية وما يمكن أن توفره لهم من حيوانات صالحة للحرب ومن أمن غذائي في حالة حصار وكذلك دراسة تنقلاتهم الرعوية ومسالكها وأماكن التوقف في الطريق والمكان النهائي الذي يقصدونه ويقيمون به قبل بدء حركة الرجوع إلى أقاليمهم الأصلية وكذا دراسة أماكن مراعيهم وزراعتهم وإمكانية التحكم فيها في حالة انتفاضة وكذلك دراسة أصلهم العربي أو البربري وما يمكن أن يعني ذلك من تعايش مع نظام الحماية أو بالعكس من ميل إلى التمرد ووجوب الحذر بالنسبة للسلطة الاستعمارية. وكل هذا يدل على أن دراسة القبائل ليست دراسة مجردة من الخلفيات وموضوعية بل إنها ترمي قبل كل شيء إلى التحكم في السكان ومجالهم وإخضاعه إلى السلطة.

وإلى جانب الدراسات الإقليمية والريفية فإن بعض الدراسات اهتمت بموضوع الصيد البحري والصناعات التقليدية ولكنها قليلة نسبيا وسريعة وسطحية وذلك لأن قطاع الصيد البحري كان هامشيا بالنسبة للسكان التونسيين ومتروكا، غالبا، للأجانب وخاصة للإيطاليين وكذلك لأنه لم يكن الشغل الشاغل للمعمرين الفرنسيين ولذا فإن هذا القطاع لم يشهد تطورا هاما حتى استقلال البلاد، وأما بالنسبة للصناعات

4) انظر بالخصوص بوني Penet وفافر دوباني Faivre Dupaigne.
5) انظر دراسة أ. برنار عن «المسكن الريفي للأهالي في البلاد التونسية» عام 1924، 101 ص.

التقليدية فإنها كانت لا تهم أساسا إلا المدن والقرى وكانت تلاقي منافسة شديدة من طرف البضاعة الصناعية الفرنسية وكانت في حالة تدهور وانكماش ملحوظين ولقد حاول نظام الحماية تطوير القطاعات الفنية منها مثل صناعة الزربية أو صناعة الخزف وغيرها ولكن هذه المجهودات بقيت سطحية وما الدراسات المنجزة في العهد الكلونيالي إلا مساندة لهذا التطور المنشود.

3 ـ المفاهيم والنظريات التي وقع تطبيقها على المجتمع التونسي

ونظرا إلى أن الجغرافيين من الجيل الأول اهتموا خاصة بالمجتمع الريفي فإن أغلب المفاهيم التي وقع تطبيقها تهم العالم الريفي والقبائل والفلاحين القرويين. فنرى مثلا جان ديبوا يصنف مجتمع الساحل والسباسب السفلى إلى الرعاة الرحل أو الشبه الرحل المنظمين في صلب قبائل أو فرق رعوية ـ زراعية والفلاحين القرويين المختصين في زراعة الأشجار وخاصة الزياتين وكذلك الزراعات الخضرية السقوية وأخيرا السكان الحضر الذين يمثلون أقلية ما عدا في الساحل أو في صفاقس. ويركز تحليله مستعملا مفهوم «نمط العيش» « genre de vie » وهكذا فإنه يفرق بين نمط العيش القبلي الترحالي أو الشبه ترحالي ونمط العيش القروي الزراعي ونمط العيش الحضري وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم «نمط عيش» ظهر في الدراسات الغربية الفرنسية والانقليزية والألمانية التي اهتمت بالبلدان المستعمرة والمتخلفة ثم طبقت على بلدان المغرب العربي الثلاثة تونس والجزائر والمغرب وبالنسبة للبلاد التونسية فإنها استعملت لأول مرة بين الجغرافيين من طرف بونيار ثم ديبوا ومن جاء بعدهما ولكنها غير مستعملة عند منشيكور الذي أصدر أطروحته عن التل الأعلى عام 1913 ولذا فإن العهد الذهبي لهذا المفهوم كان في فترة ما بين الحربين واستمر الجغرافيون المناصرون للاستعمار في استعماله بعد الحرب العالمية الثانية وحتى بعض الجغرافيين المركسيين المناهضين للاستعمار مثل جان دراش ولكن جان بونسيه وبول سباغ يتجنبه كما يتجنب استعمال كلمة «الأهالي» Les indigènes التي لا تمثل في الحقيقة مصطلحا علميا بل كلمة عادية أعطاها المستعمرون معنا خاصا تحقيري للسكان الأصليين للبلاد.

وحيث إن الهدف الأساسي للجغرافيين المناصرين للاستعمار هو البحث عن الأراضي الصالحة للاستعمار الزراعي والمنجمي فإنهم استعملوا مفهوم «تونس النافعة» La Tunisie Utile ولكننا لا نجد هذا المفهوم بالتواتر الذي شهده في المغرب وأنه لمن

الواضح أيضا أن اهتمام الجغرافيين بالقبائل والمشاكل الأمنية المرتبطة بها حملتهم إلى تبني مصطلحات إقليمية وإعطائها صبغة عامة. وهكذا فإن منشيكور صنف التل الأعلى إلى منطقة خاضعة للسلطة، مسكونة من طرف «قبائل المخزن» وكان الأتراك يتحكمون فيها بصفة مرضية ويطلق عليها التسمية المحلية وهي «بلاد الترك» وهو مفهوم يدل على القبائل الخاضعة للسلطة الحاكمة وفي الجنوب الغربي من التل الأعلى منطقة قبلية بدوية وهي إقليم قبائل ما جر والفراشيش وهي قبائل «حرة» أي لا تخضع للسلطة الا نادرا وبعد معارك وعناء شديد بالنسبة للسلطة ويسميها أيضا بالمصطلح الإقليمي وهو «بلاد العرب» أي بلاد البدو الأحرار الغير خاضعين للسلطة ويشبه هذا الوضع بما يسمى في المغرب ببلاد السيبة. ونلاحظ أن بونيار الذي كتب في فترة ما بين الحربين يستعمل مصطلح «بلاد السيبة» بمفهوم المنطقة الحرة الرافضة لسلطة البايات والممتنعة عن دفع الضرائب. ونلاحظ أخيرا أن الجغرافيين استعملوا أيضا مصطلح «بلاد البارود» أي المنطقة الرافضة للسلطة والتي تشهد أيضا نزاعات مسلحة إما بين قبائل متنافسة من أجل الماء أو المراعي أو بين القبائل التونسية والجزائرية في المناطق الحدودية. وكل هذه المصطلحات والمفاهيم مرتبطة كما قلنا بأهمية المسائل الأمنية والتحكم في القبائل البدوية وإمكانية ردع انتفاضاتها أو استعمالها كحليف ومساند للسلطة ضد كل من تحدثه نفسه بالتمرد ضد السلطة الاستعمارية.

ولقد سلط الباحثون الجغرافيون من الجيل الأول على المجتمع الريفي التونسي نظرية «الفوضى البدوية» « l'anarchie bédouine » وفي هذا المجال فإن الجغرافيين تبنوا أفكار ونظرية ڤوتييه Gauthier التي قدمها في كتابه «ماضي المغرب : القرون المظلمة» وكذلك نفس النظرية التي دافع عنها جورج مارسيه Georges Marçais في أطروحته التاريخية عن «العرب البدو في بلاد البربر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر» التي تعتبر أن العرب الرحل بني هلال وبني سليم المخربين بسبب طبيعتهم ونمط عيشهم تسببوا في تخريب المناطق اسباسبية وتراجع الزراعة والسكن المستقر ونشروا «الفوضى البدوية» ونمط العيش الرعوي الترحالي على حساب نمط العيش الزراعي القروي. واعتمادا على هذه النظرية فان ديبوا «يزعم» بأن تاريخ شمال إفريقيا يتلخص في نزاعات متتالية وغير متناهية بين البدو الرحل والسكان المستقرين وبين السكان الحضر والريفيين ويتابع ديبوا قائلا بأن تدهور الاقتصاد والمجتمع التونسي منذ الزحف الهلالي وتراجع الزراعة السقوية والغراسات وإنكماش

الحياة الحضرية مرتبط بالدور التخريبي للبدو وانقسامهم إلى ملل متناحرة أخذت شكل قبائل مناصرة للباي حسين بن علي في القرن الثامن عشر وهم القبائل «الحسينية» وقبائل مناصرة لعلي باشا المنافس للباي حسين بن علي وهم «الباشية» وهكذا فإن انقسام البدو الرحل وكذلك سكان القرى إلى «صفين متضاربين» «صف الحسينية» و«صف الباشية» ساهم في زيادة الفوضى والنزاعات المتتالية التي شغلت المجتمع التونسي عن النمو الاقتصادي والتقدم.

وفي الحقيقة فإن هذه النظرية الاستعمارية استعملت كسلاح لتحقير العرب ولمكافحة القبائل وتفكيكها من الناحية العسكرية والأمنية، وإقرارها وتثبيتها في مناطق معينة وعرقلة تنقلاتها الرعوية وذلك للتحكم فيها سياسيا واستعمال قسم من أراضيها لفائدة الاستعمار الزراعي.

لكن إذا استثنينا هذه النظرية عن «الفوضى البدوية» والدور التخريبي للقبائل الرحل فإن الجغرافيين المناصرين للاستعمار استنبطوا نظرية أخرى عنصرية تتهم السكان البربر بـ «النزعة الانقسامية». يقول ديبوا في كتابه عن «شمال إفريقيا» الذي نشر عام 1949 «أن النزعة الانقسامية من المظاهر الدائمة للمجتمعات البربرية» ويردف بأن كل المجتمعات البربرية المتكونة من القبائل الرعوية أو من الفلاحين في إقليم معين تنقسم إلى رابطات متناحرة تسمى «صفوف» ويتابع بقوله بأن عجز البربر عن «الاتحاد والخلق» لشعوب دخلوا التاريخ منذ 3000 سنة يمثل ظاهرة جوهرية وهي المسؤول الحقيقي عن النزاعات و«الغزوات» والنهب والتدهور الاقتصادي والاجتماعي الدائم الذي لم يشهد تراجعا إلا عندما ازدهرت الحضارة في المدن في العهد القرطاجني والروماني والبيزنطي وقامت بردع النزعة الفوضوية البربرية. وبعد ازدهار الدولة القروانية في العهد الأغلبي والفاطمي والزيري ظهرت من جديد عناصر التفرقة والتطاحن بين القبائل البربر وانتشرت الفوضى من جديد وبلغت أوجها على اثر زحف قبائل العرب الرحل بني هلال وبني سليم ابتداء من القرن الحادي عشر. وهذا ما يفسر الفوضى والتخلف والتدهور الذي وجدت عليه الجيوش الفرنسية شعوب شمال إفريقيا عند الاحتلال في القرن التاسع عشر والعشرين. وقد دخلت هذه النظرية «العنصرية» عن «النزعة الانقسامية» للبربر لتبرير الاستعمار الفرنسي حاضرا ومستقبلا واعتباره وضعا ضروريا ودائما أبد الدهر وذلك لمكافحة الفوضى وإقرار الأمن وتعصير الاقتصاد وتطوير المجتمع وإلحاقه بالمجتمعات الغربية المتقدمة. ولذا فإنه من الواضح أنه إذا كان من الممكن القضاء على نمط العيش البدوي الترحالي وتفكيك

الروابط القبلية وَإقرار السكان فإن «النزعة الانقاسمية البربرية» تمثل «داء عضالا» وخاصية دائمة. ولذا فإن الوجود الفرنسي ضروري للتحكم في الفوضى والنزعة الانقسامية وكذلك لمكافحة «القدرية» Le fatalisme و«الكسل» السائد بين السكان المسلمين.[6]

وأستمرت الدراسات الجغرافية حتى أواخر فترة الحماية التي قام بها الباحثون المناصرون للنظام الاستعماري تستعمل نفس النظريات ونفس المفاهيم، وزيادة على ذلك، ظهر بعد الحرب العالمية الثانية مفهوم «الازدواجية» عند أغلب الباحثين ووقع تطبيقه على كل جوانب الاقتصاد والمجتمع التونسي. فنلاحظ مثلا أن ديبوا يتحدث في كتابه عن «شمال إفريقيا» الصادر عام 1949 عن «الاقتصادين» «الاقتصاد الأهلي» l'économie indigène و«الاقتصاد الاستعماري» l'économie coloniale. ونجد ذلك في مقال لبيار مارتلو Pierre Marthelot بعنوان «تجاور اقتصاد تقليدي واقتصاد عصري» في البلاد التونسية، ولقد وقع الحديث عن تضارب المشهد الريفي التقليدي والمشهد الريفي الاستعماري وتضارب المدن التقليدية الموروثة les Médinas والأحياء الأوروبية الحديثة أو العصرية La ville européenne, la ville moderne الخ... وكان أستعمال مفهوم «الازدواجية» مرتبط بإشكالية إمكانية دمج القطاعين التقليدي والعصري أو بالأحرى إمكانية تعصير القطاع التقليدي وخلق اقتصاد ومجتمع متجانسين. والملاحظ أن مفهوم الازدواجية ما زال متداول في الأبحاث الجغرافية وما زالت إشكالية التوصل إلى طريقة لتعصير القطاع التقليدي والقضاء على التخلف الاقتصادي والاجتماعي قائمة الذات وتمثل الشغل الشاغل لكل الباحثين في العلوم الإنسانية بما فيهم الجغرافيين سواء كانوا من المناصرين للرأسمالية أو للاشتراكية العلمية.

II-أبحاث الجغرافيين المناهضين للنظام الاستعماري عن المجتمع التونسي

ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مجموعة من الدراسات الجغرافية أغلبها بقلم جان بونسي وبول سباغ مناهضة للنظام الاستعماري متأثرة بالاتجاه الجغرافي الماركسي الذي تزعمه في فرنسا جان دراش وبيار جورج.

---

6) انظر ديبوا : «البلاد التونسية» عام 1930.

1 ـ المبادئ النظرية والمفاهيم التي استعملها الجيل الأخير من الجغرافيين

وينطلق هذا التحليل من مبادئ «المادية الجدلية» ويعبر جان بونسي عن هذا الاختيار النظري في مقدمة أطروحته عن «الاستعمار والزراعة الأوروبية في البلاد التونسية منذ عام 1881» بقوله : «إن الحوادث التي نعيشها مرتبطة إلى حد كبير بعوامل الإنتاج والعيش التي شهدتها الأرياف التونسية منذ عام 1881». ويعطي التحليل الماركسي للمجتمع التونسي أهمية كبرى للعوامل التاريخية وذلك لأن المادية الجدلية هي في آن واحد «جدلية تاريخية» ولذا فإن إطروحة برنسي تحتوي على عنوان تكميلي وهو : «دراسة في الجغرافيا التاريخية والاقتصادية» وعلى ضوء هذه المبادئ النظرية فإن جان بونسي يتحدث عن «التفقير العام للفلاحين في بلد ما زال زراعيا قبل كل شيء» في أوائل الخمسينات ويفسر هذا الوضع كما يلي : «يمثل التوزيع واستعمال الثروات وكذلك وسائل الإنتاج واتجاه النشاطات أي بعبارة أخرى **الهياكل الاجتماعية والاقتصادية** المسؤول الرئيسي عن وضع يمكن أن يتفاقم ويزداد خطورة حتى في نطاق خطوات جديدة نحو التقدم المادي والتقني».

ونلاحظ نفس الاتجاه عند بول سباغ في كتابه عن البلاد التونسية الذي طبعته «النشريات الاجتماعية» Les Editions Sociales عام 1951 في باريس إذ يقول : «إن توزع ثروات الأرض وقلة رؤوس الأموال وتخلف التقنيات وضعف التجهيزات العامة التي تخدم حاجيات السكان المحليين هي التي تفسر ميزة الإنتاج التونسي أحسن بكثير من العوامل السيكولوجية مثل «التهاون» l'incurie أو «القدرية» le fatalisme التي يلتجأ إليها لتفسير بؤس سكان شمال إفريقيا».

وإلى جانب التحليل الذي يركز على سوء توزع وسائل الإنتاج وهيمنة أقلية محظوظة على قسم كبير من أخصب الأراضي الزراعية وعلى المصانع وعلى التجارة الداخلية والخارجية فإن الأبحاث الجغرافية المناهضة للنظام الاستعماري تنادي بوجوب تطور الوضع وإدخال إصلاحات جوهرية للقضاء على الامتيازات الفاحشة الاستعمارية والوطنية، وبالنسبة للريف بالخصوص وجوب القيام بإصلاح زراعي جذري. ولذا فإن بونسي يصرح متحدثا عن مشروع إحياء أراضي وادي مجردة السفلي بأنه «من الممكن تحسين الوضع بصفة ملحوظة بوسيلة التمولات الضخمة التي تقدمها

الميزانيتـان الفرنسيـة والتونسيـة لكن على شرط أن يقع إصلاح الهيـاكل الزراعيـة وأن تقلب بعض الاتجاهات الاقتصادية.

وهكـذا فإن الشغل الشـاغل للجيل الأخير من الجغرافيين الفرنسيين مثل بونسي وسباغ ودراش، ليس المحافظة على مكاسب المعمرين وامتيازاتهم وإيجاد السبل لفتح أراضي وإمكانيـات جـديـدة للمعمرين بل بـالعكس أن هـدفهم الأسـاسي هو تفسير كل الطرق والمراوغات والاغتصابات التي استعملت للاستحواذ على خيرات البلاد الزراعيـة والمنجميـة وعلى كل مسـالـك السلطـة للتحكم في الثروة المـاديـة والمعنويـة للبـلاد وكذلك دراسة كل الإجراءات التي ساعـدت المعمرين وكل المحظوظين بصفـة عـامـة على اكتساب الخيرات التي يتمتعون بها على حسـاب الطبقـات الشعبيـة المحليـة في الريف وفي المدينة أي أن الجغرافيين المـاركسيين لا يعتقدون أن الاستعمار سـاهم في تحسين حـالـة البلاد وسكـانهـا بـل بـالعكس أنـه استحـوذ على أخصب أراضيهـا وعلى خيراتها المنجمية وكذلك على تجارتها وعلى السلطة فيها وذلك على حسـاب سكـانهـا الأصليين، وإذا استمر «الاستغلال الاستعماري» فإن الأمور ستسير من سيء إلى أسوء.

ولقد ندد جـان بونسي بـالنظريـة العنصريـة الجـامـدة لڤوتييـه ومـارسيـه وديبوا وغيرهم التي اعتبرت أن تـدهور الوضـع في إفريقيـا كـان نتيجـة انتشـار نمـط العيش الترحالي منذ بـدايـة زحف القبـائل العربيـة البـدويـة بني هلال وبني سليم وغيرهـا. ورفض نظرية «مسؤولية الرحل الهلاليين» و«السلوك التخريبي غالبا للقبائل الرحل».

إن بونسي لا يناقش المعطيات التي استقاها مورسيه من كتب ابن خلـدون التي تركز على أهمية الدور التخريبي للعرب الرحل ولكنـه يعتقـد أن نجـاح الهلاليين في أعمالهم التخريبيّة مرتبطة بضعف الدولة الزيريـة في القرن الحـادي عشر الميلادي ولم يكن سلوك الهـلاليين إلا الضربـة الأخيرة القـاضيـة. وفي الحقيقـة فـإن دولـة إفريقيـا أصبحت هزيلة وهشة ومهددة وذلك لأن المسالك التجارية التي تشق إفريقيـا وتغـذي مدنها بالخيرات والقـادمـة من إفريقيـا السوداء والشرق العربي عبر الصحراء تنقلب نحو الغرب نحو بجاية ثم نحو سجلماسة وذلـك لفـائـدة دولـة بني حمـاد ودولـة المرابطين وكذلك لأن الصناعات المحليـة التي كـانت تنتج وتصـدر الأقمشـة والملابس والزرابي والعطور انكمشت بسبب تعطل المسالك التجاريـة مع إفريقيـا السوداء وبقيـة المغرب والشرق العربي وكـذلـك مع أوروبـا وذلـك بسبب هجومـات المسيحيين النرمـان على صقليـة وعلى السواحل التونسيـة. أي أن كل الظروف السيـاسيـة سـاهمت في تـدهـور النشاطات الصنـاعيـة والحركـة التجـاريـة فـانخرم الأمن وضعفت المـدن فتمكن البـدو

الزاحفون من الانتشار والتوسع على حساب الزراعة المستقرة وعلى حساب عدد كبير من المدن.[7]

ويتابع بونسي رفضه لنظرية «الفوضى البدوية» التي اتهمت البدو الرحل بالأعمال التخريبية فيقول : «إن انكماش الغابات وتصحر بعض أجزاء السباسب الافريقية ترجع أكثر إلى الحضارات المعمرة Les civilisations défricheuses والتجمعات الكثيفة والنشاطات الزراعية الواسعة منه إلى سلوك قطعان البدو الرحل الذين وقع اتهامهم بكل الداء. وأن الماعز والإبل والخيام للقبائل الرحل الجائعة والناهبة وكل هذا التصور المريح... لم يظهر إلا في نهاية تطور تاريخي طويل» وأن «السبب الرئيسي لهذا الانهيار المفجع يرجع إلى انخرام المسالك الاقتصادية وإفلاس الصناعات المحلية أمام مزاحمة البضائع الأوربية وخاصة صناعات الصابون والزيت والعطور والنسيج والزرابي والشواشي وغيرها وكذلك تحول اتجاه القوافل الصحراوية التي كانت تجلب الذهب والتوابل وريش النعام والعبيد لأسواق جارة. قابس أو حومة السوق في جربة وتصدر الأقمشة والملابس».

ومن نتائج هذا الاتجاه النظري الجديد اللجوء إلى استنباط مصطلحات ومفاهيم جديدة ولكن هذا لا يعني العدول الكلي عن استعمال المفاهيم القديمة. فمفهوم «نمط عيش» الذي يشهد رواجا كبيرا في فترة ما بين الحربين بقي مستعملا عند جان دراش لكن بأقل تواتر ثم وقع العدول عنه بصفة تكاد تكون كلية عند جان بونسي وبول سباغ وكذلك الشأن بالنسبة للمفاهيم التي تهم الحياة القبلية الرعوية الترحالية أو الشبه ترحالية وذلك على إثر الاستقرار التدريجي للقبائل وتحولهم إلى فلاحين يسكنون الأكواخ أو الديار ويتعاطون زراعة الحبوب والأشجار المثمرة أو الخضر.

ووقع إقحام مفاهيم جديدة مثل روابط الإنتاج Les forces de production والقوات الإنتاجية Les forces prductives والروابط الاجتماعية Les rapports sociaux وكذلك الهياكل الاقتصادية والاجتماعية Les structures économiques et sociales وهي مفاهيم ماركسيَّة معروفة في العلوم الاقتصادية. وهنالك صنف آخر من المفاهيم والمصطلحات.أوحى بها التطور الذاتي للمجتمع التونسي ومجتمعات العالم المستعمر وبلدان العالم الثالث واستعملت في دراسات الجغرافيين الفرنسيين المناهضين

7) انظر : **Jean Poncet : « L'évolution des « genres de vie » en Tunisie : autour d'une phrase d'Ibn Khaldoune » In Cahiers de Tunisie. 1954. pp. 316-328.** et Jean Poncet : « Prospérité et décadence ifrikiyennes » **In Cahiers de Tunisie 1961, pp. 221-243.**

للاستعمار مثل «الطرد» Le refoulement أي طرد السكان من أراضيهم التي استحوذ عليها المعمرون و«إحلالهم» cantonnement على أراضي مجاورة هامشية ومفهوم «الاكداح» La prolétarisation أي تحول المزارع إلى عامل دائم أو موسمي أو تحول الحرفي المستقبل في المدينة إلى عامل أمام تدهور إمكانيات ترويج بضاعته وكذلك مفهوم «فلاح بدون أرض» Fellah sans terre الذي استنبط لكل الفلاحين الذين خسروا أراضيهم أمام توسع الملكيات الشاسعة الاستعمارية والوطنية وكذلك مفهوم «الانبتات» Le déracinement عندما يجبر الفلاح على ترك أرضه وجذوره ويهاجر إلى المدينة مثلا فيصبح «منبتا» un déraciné ومن المعلوم أن تدفق أفواج النازحين الريفيين نحو المدن تسبب في ظهور أحياء عفوية على أطراف المدن مبنية بالقصدير أو بالطوب وأطلقت عليها في تونس تسميات عديدة أهمها «الأحياء القصديرية» bidonvilles أو «الأحياء الكوخية» gourbivilles. وهكذا فإن كل هذه المفاهيم والمصطلحات همت الزراعة والعالم الريفي وكذلك المدن وهي المواضيع الأساسية التي خصصت لها دراسات هذا الجيل.

2 ـ المواضيع المطروقة والطرق المنهجية المتبعة

فخلافا لدراسات الجيل السابق التي اهتمت أساسا بالجغرافيا المتكاملة الاقليمية فإن الجيل الأخير ركز على الجغرافيا الموضوعية La géographie thématique وبالخصوص على الجغرافيا الريفية كما هو الشأن بالنسبة للفترة السابقة وكذلك على الجغرافيا الحضرية، وهذا اتجاه جديد.

ولقد قام بأغلب الدراسات في الجغرافيا الريفية جان بونسي ومن أهمها أطروحته «الاستعمار والزراعة الأوروبية في البلاد التونسية منذ عام 1881» التي خصصها لدراسة الزراعة الاستعمارية والمعمرين وحيث أن الدراسة ضخمة وتهم كامل البلاد التونسية وفترة زمنية طويلة (منذ عام 1881 وحتى الاستقلال) فإنه اهتم بانعكاسات الزراعة الاستعمارية على المجتمع الريفي التونسي وعلى الاقتصاد التونسي. ودرس أيضا «العلاقات بين طرق استغلال الأرض وانجراف التربة في البلاد التونسية» في نفس الفترة وذلك في نطاق أطروحته التكميلية thése complémentaire. واهتم أيضا بدراسة المشاكل العقارية والاجتماعية التي واجهها مشروع إحياء وسقي سهول وادي مجردة السفلي. وكما رأينا فأنه ناقش ورفض نظرية «الفوضى البدوية» والدور التخريبي لنمط عيش البدو الرحل. وتجدر الإشارة إلى أن جان دراش تطرق

في دراسة عامة مفصلة نسبيا (214 صفحة) إلى مشاكل «الزراعة الشمال إفريقية» وخاصة إلى تضارب القطاع التقليدي (قبر أسمالي) والقطاع العصري الرأسمالي وإلى طرد الفلاحين من السهول نحو السفوح والروابي ثم تحولهم إلى فلاحين بدون أرض ونزوحهم نحو المدن وانتصابهم في أحياء كوخية وناقش بالتفصيل مشاكل الاكتضاض السكاني في الريف والمدينة ووجوب سلوك سياسة مزدوجة تقوم بإصلاح زراعي في الريف يحدد الملكية الكبيرة العصرية وتشرع في عملية تصنيع تدريجية في المدن لتشغيل العاطلين الحضريين والنازحين.

والموضوع الثاني الذي كان محورا جديدا للجغرافيين من الجيل الجديد هو المدينة والطبقة الشغيلة وكان هذا الاهتمام طريفا وحديثا ولم يقع التطرق إليه إلا بصفة هامشية عند الجيل الأول، ولقد أنجز أغلب هذه الدراسات بول سباغ الذي كان يعد أطروحة دولة عن مدينة تونس، ورغم أن هذه الأطروحة لم تناقش ولم تنشر فإن الباحث قام بعدة دراسات ونشريات تهم الأحياء الكوخية على أطراف المدينة مثل حي «بورجل» وحي «السيدة المنوبية» وكذلك أحياء فقيرة من المدينة العتيقة مثل حي «الحارة» وهو حي اليهود القديم في صلب المدينة القديمة واهتم كذلك بدراسة الطبقة الشغيلة والأجراء في المجموعة الحضرية لتونس الكبرى في نطاق بحث مشترك متعدد الاختصاصات أنجزه معهد الدراسات العليا بتونس عن «مستويات العيش للسكان التونسيين» Les niveaux de vie de la population tunisienne. وكانت أبحاث بول سباغ منطلقا لاهتمام متزايد للباحثين بعد الاستقلال بدراسة مدينة تونس ونشاطاتها وسكانها. والجدير بالذكر أن بول سباغ الذي كان متخصصاً في آن واحد في علم الاجتماع والجغرافيا البشرية والتاريخ الحضري للمدن التونسية ساهم هكذا في فتح الطريق أمام الدراسات الجغرافية والاجتماعية والتاريخية عن مدينة تونس.

وأخيرا لابد من ذكر دراسة فريدة من نوعها عن الشغالين في منطقة منجمية وهي الرديف في حوض قفصة وهي دراسة أنجزت في الخمسينيات في الفترة الانتقالية بين نظام الحماية والاستقلال وتمثل مساهمة طريفة وموضوعية وتدخل في صنف الدارسات المناهضة للاستعمار. ولكنها قصيرة وهي دراسة ر. بروني R. BRUNET.

وبقيت الطرق المنهجية المستعملة مشابهة للطرق الكلاسيكية التي استعملت من قبل منشكور وبنيار وديبوا. واستمر البحث الجغرافي يعتمد أساسا على الدراسة الميدانية مع بعض التطورات الأساسية المرتبطة بتعدد الدراسات البشرية عن البلاد

التونسية في أواخر فترة الحماية وكذلك إلى نوعية الموضوع وإلى تطور كيفية استعمال الأبحاث الميدانية من الناحية الإحصائية ولذا فإن دراسات بونسي ذات الطابع التاريخي وكذلك الجغرافي تطلبت الرجوع إلى عدد كبير من المقالات والكتب التاريخية والاقتصادية والجغرافية وإلى دراسات الإداريين والحكام والمراقبين المدنيين عن الشؤون العقارية وإلى النشريات الإحصائية، وتمثل المعلومات المستقاة من الوثائق التاريخية للحكومة التونسية مصدرا أساسيا في دراسة الباحث ولكن بونسي لم يكتف بالوثائق المكتوبة بالنسبة للفترة الأخيرة التي عاشها فلجأ إلى البحث الميداني فتنقل على عين المكان وتحادث مع المعمرين والعمال القارين والموسميين وكذلك الفلاحين المباشرين والعاطلين عن العمل ولكنه اقتصر على استعمال الكناش الصغير كديبوا ولم يستعمل ولكنه اقتصر على استعمال الكناش الصغير كديبوا ولم يستعمل استمارة ولم يتخذ عينة ولم يلجأ إلى الطرق الإحصائية الحديثة سواء لأطورحته أو للدراسات الجانبية التي قام بها.

وأما بول سباغ فإنه استعمل البحث الميداني العادي وكذلك طريقة الاستمارة في دراساته عن الأحياء الكوخية وعن حي الحارة وكذلك عن الأجراء في مدينة تونس وتوصل هكذا إلى معلومات إحصائية مباشرة وحية أدق من المعلومات التي استعملها بونسي وكذلك ديبوا وبنيار ومنشكور. وتوصل إلى دراسات قيمة من الناحية الكمية ولم يقتصر على الجانب الكيفي كالباحثين الذين سبقوه في ميدان البحث الجغرافي في البلاد التونسية. وساهم بمجهوده العلمي في أبحاثه وفي الدروس التي ألقاها بعد الاستقلال في الجامعة التونسية في ترويج استعمال الاستمارات والطرق الإحصائية بين الباحثين في العلوم الإنسانية وخاصة في علم الاجتماع والجغرافيا البشرية.

3 - تحليل وضع الأرياف التونسية وانعكاساته على المدن في عهد الحماية حسب دراسات بونسي وبول سباغ

أظهر بونسي في القسم الأول من أطروحته اهتماما بالغا بالمسألة العقارية وذلك لإبراز الأساليب والوسائل التي استعملها الاستعمار للاستحواذ على أراضي الفلاحين والقبائل المنتصبة على هذه الأراضي والعائشة منها وبين كيف أن الاستعمار لجأ إلى الطرق للتشكيك في حقوق الفلاحين والقبائل المستغلة ولذا فإنه حاول دمج «الأراضي

الميتــة» Les terres mortes و «الأراضي الجمـــاعيـــة» أو «أراضي العروش» Les terres collectives و «أراضي الأحبـاس» في «الأراضي الـدوليـة» Les terres domaniales أي مـا كـان يسمى في تونس بـأراضي «البيليـك» ولقـد سمى بـونسي هـذه الطريقـة «البيلكـة» La beylikisation أو «التـدويل» La domanialisation واعتبرهـا عمليـة حيف ومغـالطـة لسلب القبـائـل والفـلاحين وانتـزاع ملكيـاتهم وتهميشهم واكـداحهم prolétarisation. ووصف نظام الملكية في الريف عند انتصاب الحماية بـأنـه نظـام شبـه إقطـاعي لأن الملاك الاسمى لا يملـك كل حقـوق المـالـك ويستعمـل شركـاء بـالخمس (الخمـاسـة) مرتبطين بالأرض وليس له الحق في طردهم من أرضهم.

وباعتبار المـالـك الاسمى للأرض سواء كـان البيليـك أو جمعيـة الحبس أو أحـد الأعيان من مدينة تونس كملاك بأتم معنى الكلمـة فـإن الاستعمـار الفرنسي تسبب في تحولات جوهرية بين عام 1881 وعام 1914 «آلت إلى الانتقال من زراعة شبه إقطاعية وجماعية إلى زراعة ملكيات كبيرة فردية مثلت مرحلة أساسية وضروريـة نحو الضيعـة الرأسمالية المستغلة استغلالا مباشرا» وعلى إثر انتشار استعمـال الآلات الميكـانيكيـة من جرارات وحصـادات دارسـات فـإن المعمرين تحـولـوا إلى مستغلين مبـاشرين وطردوا الفلاحين المستقرين على الأرض الذين كانوا يزرعونها حسب عقـد (خمـاسـة) أو كراء واستعملوا الأجراء القارين أو الموسميين ونتج عن هذا التغير الهيكلي تشريـد 90 ٪ من الفلاحين المستقرين على أخصب الأراضي الشمالية وانتقالهم إلى أراضي السفوح المهددة بالانجراف والفقيرة، ولم تكن أراضي السفوح كافية لسد حـاجيـات الجميع وتشغيل كل اليد العاملة المتوفرة فظهرت بوادر البطالة الجزئية والكليـة وتفـاقم وضع التشغيل عنـد اندلاع الثورة الديموغرافيـة ابتـداء من أوائل الثلاثينيـات فـأصبحت الأريـاف مكتضـة بـالسكـان العـاطلين رغم أن السهول الخصبـة التي استحـوذ عليهـا الاستعمـار الـزراعي تشتمل على كثافات سكانية ضئيلة. وعلى إثر هذا التغير بدأت حركة نزوح ريفي من الشمال الغربي للبلاد نحو مدينة تونس ستتفـاقم شيئـا فشيئـا وتستمر إلى يومنـا هـذا. وهكذا فإن نتائج زراعة الحبوب الممكننـة كـانت كـارثـة من النـاحيـة الاجتمـاعيـة. ويعبر بونسي عن هذا التطور قائلا ساهمت الزراعة الاستعماريـة الممكننـة في «تفريغ المناطق التي احتلتها من السكان» وفي خلق «مشهد يكاد يكون خـاليـاً من السكـان» أو «لا إنساني» Paysage déshumanisé.

ويتـابـع بـونسي تحليلـه فيبين أن الآلات الميكـانيكيـة مكنت المعمرين من استغـلال أراضيهم بصفـة مبـاشرة بـدون اللجـوء إلى الشركـاء أو المكترين كمـا كـانـوا

يفعلون قبل إدخال المكننة وشجعتهم على اكتراء أو استغلال أراضي الفلاحين الصغار بطريقة الشركة وتوسيع مساحة ضيعاتهم. ولقد ساهمت هذه الطريقة «الكراء ـ الشركة» La location fermage في تكبيل الفلاح الصغير بالديون ثم جبره على بيع أرضه للتخلص منها ولذا فإن بونسي يقول بأن عقد «الكراء ـ الشركة» يمثل «مدخلا للبيع النهائي» l'anti-chambre de la vente définitive. وهذا يدل على أن الاستعمار الزراعي ومن سايره من الملاكين الكبار التونسيين اغتنم كل الفرص للاستحواذ على أراضي الفلاحين وتهميشهم وتحويلهم إلى عمال مستأجرين أو إلى عاطلين. وكما يقول بول سباغ في كتابه عن «البلاد التونسية» المنشور عام 1951. «ان الاستحواذ العقاري الاستعماري لم يوفر فقط الأراضي للأوربيين وذلك باقتلاع عشرات الآلاف من الفلاحين من الأراضي التي كانوا يملكونها أو يحتلونها ولكنه كون في آن واحد للزراعة والمناجم والصناعة والنقل يدا عاملة حرة ليس لها إمكانية أخرى غير بيع قوة عملها لرأس المال».

وهكذا فإن التدخل الاستعماري في الميدان الزراعي ساهم في عصرنة الطرق الزراعية وفي رفع مؤقت للمردود على اثر تعميم استعمال أساليب «الزراعة البعلية العصرية» Le dry-farming ولكنه لم يتمكن من رفع مستوى عيش الفلاحين التونسيين بل بالعكس فإنه فكك روابطهم الاجتماعية التقليدية وغصب أراضيهم وشردهم وحولهم إلى فلاحين بدون أرض وإلى عمال مستأجرين أو إلى عاطلين عن العمل ثم أجبرهم على النزوح من الأرياف إلى المدن والاستقرار في أحياء كوخية جديدة على أطراف المدن. وتسبب هذا الوضع الجديد في تحول الشمال الغربي التونسي الذي كان يتميز باستقرار السكان وقلة حركيتهم وتنقلاتهم إلى أهم منطقة هجرة، طاردة للسكان في البلاد التونسية أكثر بكثير من مناطق السباسب والصحراء الواقعة في الوسط وجنوب البلاد.

وهذا يعني أن تغلغل الاستعمار الزراعي في الأرياف التونسية تسبب في طرد الفلاحين من أراضيهم وفي تقليص سوق الشغل بسبب تعميم المكننة، ومما زاد في حدة مشكل التشغيل ظهور بوادر الثورة الديمغرافية والتزايد السكاني السريع ابتداء من الثلاثينيات أي أن الريف التونسي شهد تفاقم الأزمة الاجتماعية التي تبعت الاستحواذ العقاري الاستعماري فأصبح يغذي حركة نزوح ريفي نحو مدن الواجهة الساحلية الشرقية، وهكذا فابتداء من الثلاثينيات ظهرت على أطراف المدن وخاصة تونس العاصمة أحياء عفوية فقيرة قصديرية أو كوخية تحتضن الوافدين الذين قدموا

من مناطقهم الأصلية لا لأن المدينة جذبتهم بإمكانياتها في ميدان التشغيل وصناعاتها وخدماتها ولكن لأن الأرياف أصبحت لا تمكنهم من العيش فطردتهم، ولذا فإن حركة «التحضر» l'urbanisation التي احتدت ابتداء من الثلاثينيات اعتبرت «تحضراً أزمويّاً» une urbanisation de crise نتيجة أزمة الأرياف لا نتيجة نداء سوق الشغل في المدن. قدم الريفيون إلى المدينة ولكن المدينة لم تناديهم وليست في حاجة إليهم ولذا فإنهم لم يتحصلوا بسهولة على عمل ولا على مسكن لائق فبنوا أكواخا على أراضي لا يملكونها وأصبحوا عبئا على المدينة و«خطرا على أمنها» ولذا فإن السكان الأصليين للمدن يعتبرون «الأحياء العفوية» مناطق «خطيرة» على أمنهم وممتلكاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم.

ولقد وفرت «الأحياء الكوخية» الواقعة على أطراف مدينة تونس التي درسها بول سباغ مثل حي «بورجل» وحي «السيدة المنوبية» أمثلة معبرة لدراسة انعكاسات الأزمة الريفية على المدن التونسية ونوعية التحضر الجديدة، ولقد درس نشأة كل حي ومورفولوجيته والمشاكل العقارية المرتبطة باحتلال السكان للأرض ثم درس السكان ومواطنهم الأصلية وتاريخ قدومهم إلى المدينة وسبب هجرتهم وهيكلهم العمري والمهني وتطرق إلى مشاكل التشغيل والبطالة والانحراف وحاول القيام بدراسة دقيقة لمستويات عيشهم وإعطاء كل التفاصيل اللازمة عن توزيع مصاريفهم بين التغذية والمسكن والملبس وغير ذلك وإعطاء بعض البيانات عن حياتهم العائلية واندماجهم في سوق الشغل والحياة الحضرية وظهور بوادر تباينات اجتماعية فيما بينهم وتوزيعهم في مختلف أقسام الحي حسب انتماءاتهم الاقليمية أو القبلية أو العائلية ولقد مثلت كل هذه الدراسات عن «الأحياء الكوخية» ومستويات العيش فيها مساهمة بالغة في دراسة مشاكل المجتمع التونسي الريفي وأزمته وانعكاساتها على المدن التونسية. وفي آخر كل دراسة كان بول سباغ يحاول دائما اقتراح اتجاهات عامة لتدخل ناجع للسلط العمومية ومبادرات يمكن اتخاذها للقضاء على البطالة الكلية والجزئية وتحسين المساكن والتجهيزات الحضرية من ماء صالح للشرب وشبكة لتصريف المياه المستعملة وتوفير الخدمات لتحسين مستوى التغذية والصحة والتعليم ومكافحة الأمية عند الكهول وبعبارة أخرى دمج النازحين في صلب المدينة. ولقد ناقش بول سباغ عدة مرات سياسة القضاء على الأحياء الكوخية La dégourbification التي ظهرت في أواخر عهد الحماية وتبنتها السلط التونسية بعد الاستقلال فأظهر أنه لا يمكن حل مشكل الأحياء الكوخية بتهديمها وإرجاع سكانها إلى مواطنهم الأصلية بدون توفير مواطن شغل لهم

أو قطع أرض يفلحونها ولذا فإن حل مشكل النزوح الريفي والأحياء العفوية على أطراف المدن يتطلب حل الأزمة التي يشكو منها الريف بسبب الاستحواذ العقاري الاستعماري وتركز الملكية العقارية في يد فئة محظوظة من الملاكين الكبار الاستعماريين والتونسيين ونادى بوجوب تحديد الملكية واتخاذ قانون إصلاح زراعي قومي يحاول القضاء التدريجي على الحيف الاجتماعي وعلى اتجاه اقتصادي يرمي إلى إنتاج أكثر ما يمكن من الخيرات لتوجيهها للسوق الداخلية وخاصة الخارجية بدون اعتبار وجوب توفير الغذاء وسد حاجيات الشرائح العريضة للسكان وتوفير إمكانيات دخل لهؤلاء السكان ليتمكنوا من اشتراء هذه المنتوجات وبعبارة أخرى القضاء على الزراعة المضاربية الاستعمارية وتعويضها بزراعة تسعى أساسا لتغذية الإنسان قبل كل شيء لا إغداق مداخيل طائلة على أقلية محظوظة من المعمرين والملاكين الكبار التونسيين. ويمكن أن نقول بأن موضوع إصلاح الهياكل الزراعية للحد من النزوح الريفي ما زال مشكل الساعة والشغل الشاغل للمفكرين في الواقع التونسي الحالي رغم كل الاجراءات التي اتخذت منذ الاستقلال.

III_الخاتمة : الحصيلة العلمية للأبحاث الجغرافية في الفترة الكلونيالية وأهميتها بالنسبة للجغرافيا التونسية بعد الاستقلال

مما لا شك فيه أن المدرسة الجغرافية الكلونيالية بعثت للوجود الجغرافيا العصرية في البلاد التونسية وما الجغرافيا التونسية الحالية الا امتداداً لدراسات الفترة السابقة ولقد ساهم الجغرافيون الفرنسيون السابقون في تكوين عدد كبير من الجغرافيين التونسيين في أواخر عهد الحماية وخاصة بعد الاستقلال في المعاهد العليا والجامعة التونسية وكذلك في الجامعات الفرنسية، وكان لدراسات الجغرافيين الفرنسيين المناصرين والمناهضين للاستعمار تأثير كبير في التكوين المنهجي والعلمي للجيل الحالي من الجغرافيين التونسيين رغم أن هذا التأثير متفاوت الأهمية من الناحية المنهجية والنظرية ومن ناحية ما يمكن التعبير عنه بالرصيد العلمي الذي كونه الجغرافيون الفرنسيون في الفترة الكلونيالية.

ففيما يخص الجانب المنهجي فإن الجغرافيين التونسيين تأثروا عميق التأثر بأساليب من سبقهم وخاصة بأهمية البحث الميداني ودراسة المشاكل في عين المكان

والاتصال المباشر بالميدان والسكان والحقول والمساكن والمصانع والمتاجر الخ. ولقد تأثر الجغرافيون التونسيون خاصة بأسلوب البحث الميداني الذي لا يكتفي بالدراسة الكيفية للواقع بل يتعداها ويحاول قياسها بالطرق الكمية الإحصائية ولذا فإن الأغلبية الساحقة من الدراسات الجغرافية منذ الاستقلال عممت استعمال الاستمارات المتعددة الاهتمامات البشرية والاقتصادية واختيار عينات وذلك لدراسة جميع المواضيع الريفية والحضرية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وهكذا فإن البحث الجغرافي أصبح لا يقتصر على الجانب الكيفي واستعمال بعض الأرقام الرسمية بل أصبح يحاول القيام بدراسة كمية تلجأ في آن واحد إلى الإحصائيات الرسمية المتوفرة وإلى بحث ميداني كمي شخصي ومباشر. وهذا السلوك المنهجي جر بعض الجغرافيين التونسيين إلى تبني الطرق العصرية الحسابية وإقحام أساليب الجغرافيا الكمية الحسابية الانقلوسكسونية واستعمال الآلات الحاسبة والكمبيوتر والنماذج الحسابية Les modèles mathématiques الخ...

ومن ناحية الحصيلة العلمية للجغرافيا الكلونيالية فإن تأثير الجغرافيين المناصرين للاستعمار محدود جدا رغم أنهم يمثلون العدد الأوفر من الجغرافيين ويمثل إنتاجهم الجزء الأكبر من الأبحاث الجغرافية من ناحية الكم. ورغم أن هذه الدراسات متباينة الجودة ومنها الدراسات الجيدة جدا مثل دراسة ديبوا عن الساحل والسباسب السفلي، فإن وقعها في نفوس الجغرافيين التونسيين محدود وتأثيرها على أفكارهم متواضع وذلك لأن دراساتهم التي دافعت على سياسة الاستحواذ العقاري الاستعماري على حساب الفلاحين التونسيين اعتبرت غير موضوعية وموجهة لخدمة الاستعمار ولا يمكن الاقتداء بها. وبالعكس فإن دراسات بونسي وسباغ المناهضة لنظام الحماية نالت رضى وتفهم كل الجغرافيين التونسيين واعتبرت علمية وموضوعية بأتم معنى الكلمة وذلك لأنها حللت مشاكل المجتمع التونسي بكل تجرد وكشفت القناع عن واقع مر عانى منه المجتمع التونسي طيلة 85 سنة فركزت على اغتصاب الأرض وتشريد الفلاحين وإقرار القبائل وتعطيل تنقلاتهم الرعوية وإكداح La prolétarisation قسم كبير من الريفيين التونسيين وإرغامهم على النزوح إلى المدن، الخ.

ولذا فإن الدراسات الجغرافية في أوائل عهد الاستقلال اتخذت نفس الاتجاه ونفس طرق التحليل التي اتبعها الجغرافيون المناهضون للاستعمار ودافعت عن حلول متقاربة تنادي بإصلاح الهياكل الزراعية ووجوب دمج النازحين في صلب المدينة لا إرجاعهم إلى مواطنهم الأصلية ووجوب اتباع سياسة تصنيع نشيطة في المدن.

ومن تأثيرات كامل الجغرافيين للفترة الكلونيالية الاهتمام البالغ بعد الاستقلال والذي كاد يكون كليا بالريف ومشاكله، خاصة في الفترة التعاضدية وحتى أواخر الستينيات، وتمثل هذا الاهتمام في دراسة أقاليم لم تدرس في العهد الكلونيالي من الناحية الزراعية مثل الوطن القبلي وسهول تونس والسباسب العليا ثم إعادة دراسة مناطق درست في عهد الحماية لكنها شهدت تطورا ملحوظا منذ ذلك العهد مثل إقليم صفاقس وسهول مجردة الوسطى وبلاد باجة. ولكن ابتداء من السبعينيات فإن الاتجاه الذي خطى فيه بول سباغ الخطوات الأولى وهو دراسة العالم الحضري أصبح الاتجاه الرئيسي وكان الشغل الشاغل لأغلب البحوث التي تطرقت إلى مواضيع مثل الصناعة والسياحة والنقل بالسكك الحديدية أو بالطرقات وكذلك الصيد البحري والسكان الحضريين والمورفولوجيا الحضرية، الخ...

ويمكن القول في الختام بأن الرصيد الهام من الدراسات الجغرافية التي تركتها لنا الفترة الكلونيالية يمثل في مجمله مساهمة علمية لا يستهان بها وأنه كان الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها وانطلقت منها «المدرسة الجغرافية التونسية» في السنوات الأولى من الاستقلال.

ملحق

BIBLIOGRAPHIE SUR LA GEOGRAPHIE HUMAINE DE LA TUNISIE A L'EPOQUE GOLONIALE

Allemand Martin : « Aperçu agricole sur la presqu'île duCap Bon ». In *Bull. Direct.Agric. et Com.* 1902, pp. 294-327.

Allemand Martin : « les îles Kerkennah, essai de colonisation agricole ». In *La Géographie,* 1904.

Allemand Martin : « Les îles Kerkennah ». *In Bull de la Soc. de Géographie Commerciale de Paris,* 1907.

Bardin (P.) : « Les terres collectives et le paysanat dans le Sud de la Tunisie ». In *la France Méditerranéenne et Africaine,* II, 1938, pp. 65-72.

Bardin (P.) : « Les Jebalia de la région de Cafsa ». In *Revue Tunisienne,* 1939, pp. 87-126.

Bardin (P.) : *« Les populations arabes du contrôle civil de Gafsa et leurs genres de vie ».* Public. I.B.L.A., n° 6, Tunis, Bascone etMoscat, 1944, 64 p.

Bardin (P.) : « Les groupements coopératifs agricoles de la Haute Vallée de la Medjerda ». In *l'Afrique et l'Asie,* 2ème trimestre 1952.

Bardin (P.) : « Le candastre de la vallée de la Medjerda ». In *Cahiers de Tunisie,* 1953, pp. 260-285.

Bardin (P.) : *« La Vie d'un douar, essai sur la vie rurale dans les grandes plaines de la Haute Medjerda (Tunisie) ».* Paris, La Haye, Mouton et Cie, *1965, 144* p.

Bellair-Baudier : « Les pêcheries des Bibans ». In *Bull. Eco. Soc. Tun.,* n° 92, Sept. 1954, pp. 43-54.

Bernard (Aug.) : « Le dry-farming et ses applications dans l'Afrique du Nord ». In *Ann de Géogr.,* 1911, pp. 411-430.

Bernard (Aug.) : *« Enquête sur l'habitation rurale des Indigènes de la Tunisie ».* Imp. Barlier, 1924. 110 p.

Bernard (Aug.) : *« Afrique Septentrionale et Occidentale. Première partie : Généralités. Afrique du Nord ».* A. Colin, 1937. 284 p. Géographie Universelle, XI.

Berthelon (E.) : « Etude géographique et économiqùe de la province de l'Aradh ». In *Revue Tunisienne,* I, 1894, pp. 169-185.

Bessis (A.), Marthelot (P.), Montety (H.de), Pauphilet (D.) : *« Le territoire des Ouled Sidi Ali Ben Aoun : contribution à l'étude des problèmes humains de la steppe tunisienne ».* Publ. I.H.F.T., Paris, P.U.F., 1956, 120 p.

Blancher (P.) : « Le Djebel-Demmer ». In *Ann. de Géogr.* 1897, VI, pp. 239-254.

Bonniard (F.) : « Bizerte et sa région ». In *Ann. de Géogr.,* 1925, pp. 133-145.

Bonniard (F.) : *« La Tunisie du Nord : Le Tell Septentrional : étude de géographie régionale ».* Paris, 1934. 534 p.

Borrel (A.) : *« Les Pêches sur la Côte Septentrionale de la Tunisie ».,* Paris, P.U.F., (public de Inst. des Hauts Etud. de Tunis) 1956, 89 p.

Brunet (R.) : « Européens et prolétariat urbain dans le Sud Tunisien : La ville minière de Redeyef». In *La Pensée,* Paris, *67,* mai-juin *1956,* pp. *43-58.*

Brunet (R.) : « Un centre minier de Tunisie : Redeyef». In *Ann.de Géogr.* 1958, pp. 430-446.

Bugeat (L.) : « Les irrigations dans le centre de la Tunisie ». In *Cahiers de Tunisie,* 1957, pp. 63-74.

Buthaud (E.) : « Cadastre tunisien et problème de Vie rurale : un exemple de « pulvérisation » du sol : le Gaa-El-Mezoued », (Souk-El-Arba) ». In *I.B.L.A.*, XIII, 1950, pp. 153-192.

Buthaud (E.) : « Vers une géographie des institutions foncières et des structures agraires : de l'utilisation des documents cadastraux en Tunisie pour l'étude du paysage rural ». In *I.B.L.A.*, 1950.

Buthaud (E.) : « Introduction à l'étude des problèmes humaines de l'immatriculation foncière en Tunisie ». In *Cah. de Tunisie,* I, 1953, pp. 229-260.

Cahiers de Tunisie : « Contribution à l'étude de l'alimentation en Tunisie ». III, 1955, 4eme trim., pp. 501-634.

Chanfrault (G.) : « La pêche dans le lac de Tunis ». In *Bull. Eco. Soc. Tun.* 1955, n° 96, pp. 40-56.

Clarke (J.) : « les problèmes du nomadisme estival vers le Nord de la Tunisie ». In *Bull. Assoc. Géogr. Franc ;* Paris, mai-juin-juillet 1952, pp. 134-141.

Cercles (P.) : « Monographie agricole de la circonscription de Zaghouan » In *Bull. Eco.Soc. Tun.*, 1953, n° 76 pp. 54-69.

Collot (F.) : « La Côte Orientale du Cap Bon : Habitations et habitat ». In *I.B.L.A.*, t. XVI, 1953, pp. 203-226.

Collot (F.) : « La Côte Orientale du Cap Bon : peuplement et population ». In *I.B.L.A.*, XVIII, 1953, pp. 332-338.

Combès (J.L.) et Louis (A) : *« Les potiers du Jerba ».* Pull. Centre Arts et Trad Popul., Tunis. 1967, 310 p.

Coque (R.) : *« Nabeul et ses environs ».* Publ. de Univ. de Tunis. 1964. 150 p.

Dardel (A.) et Klibi (Ch.) : « Un faubourg clandestin de Tunis : le Djebel Lahmar ». In *Cah. de Tunisie,* 1955, pp. 211-224.

Decker-David (P.) : *« L'agriculture en Tunisie ».* Saliba, Tunis, 1912.

Deglin (Ch.) et Poitrineau (A.) : « Un terroir de la zone côtière du Nord : Aousdja ». In *Cah. de Tunisie,* 1954, pp. 254-265.

Delmas (Y.) : « L'île de Djerba ». In *Cah. d'Outre-Mer,* VI, 1952. pp. 149-168.

Despois (J.) : « L'emplacement et les origines de kairouan ». In *Rev. Tun.* XXXIII, 1927.

Despois (J.) : « Kairouan. Origine et évolution d'une ancienne capitale musulmane ». In *Ann. de Géogr.*, XXXIX, 1930, pp. 159-177.

Despois (J.) : *« La Tunisie ».* Larousse, 1930, 208 p.

Despois (J.) : « Essai sur l'habitat rural du Sahel tunisien ». In *Ann. de Géogr.*, 1931, pp. 259-274.

Despois (J.) : « La fixation des bédouins dans les Steppes de la Tunisie Orientale ». In *Rev. Tun.*, 1935, pp. 347-359.

Despois (J.) : « Les îles Kerkenna et leurs bancs ». In *Rev. Tun.*, 1937, pp. 3-60.

Despois (J.) : « Signification historique d'une carte des densités de la population en Tunisie » *Congrès intern. de la popul.* Paris, 1937. Vol. VI (1938), pp. 14-22.

Despois (J.) : « Régions naturelles et régions humaines en Tunisie ». In *Ann. de Géogr.* L. II, 1942, pp. 112-128.

Despois (J.) : « Personnalité de la Tunisie ». In *Revue de la Méditerranée,* Alger, 1946.

Despois (J.) : *« L'Afrique du Nord ».* Paris, P.U.F.1949, 1ere édition 624 p.

Despois (J.) : « Les greniers fortifiés de l'Afrique du Nord ». In *Cah.de Tun.* I, 1953, pp. 38-58.

Despois (J.) : *« La Tunisie Orientale : Sahel et Basse Steppe ».* Paris, « les Belles Lettres, 1ere édition, 1940, 616 p.

Despois (J.) : *« La Tunisie Orientale : Sahel et Basse Steppe ».* Paris, PUF, Publ. Inst. H. Etud de Tunis, 2eme édition, 1955, 556 p.

Despois (J.) : « La culture en terrasse dans l'Afrique du Nord ». In *Annales, Eco., Soc., Civ.*, Paris, n° 1, Janv. Mars 1956, pp. 42-50.

Despois (J.) : « Le Jebel Ousselet, les Ousseltiya et les Koub ». In *Cah de Tunisie,* n° 28, 1959, pp. 407-428.

Despois (J.) : *« La Tunisie : les régions »* Armand Colin, 1961. 224 p.

Despois (J.) : « L'utilisation du sol dans les montagnes du Maghreb ». In *Acta Géographica.* Paris, 1963, 46-47., pp. 27-34.

Despois (J.) : « Les paysages agraires traditionnels du Maghreb et du Sahara Septentrional ». In *Ann. de Géogr.*, 73, 1964, pp. 120-171.

Despois (J.) et Raynal (R.) : *« L'Afrique du Nord-Ouest ».* Payot, 1967. 570 p.

Dresch (J.) : *« L'Agriculture nord-africaine ». Editions C.D.H.,* 1956, 221 *p.*

Dresch (J.) et Birot (P.) : *« La Méditerranée et le Moyen-Orient »* tome I : *« La Méditerranée Occidentale ».* Paris, P.U.F., *1953,* pp. *389-544.*

Faivre-Dupaigne (E.) : « L'irrigation traditionnelle dans l'oasis de Gabès ». In *Cah. de Tunisie,* n° 17-18, 1957, pp. 23-38.

Gandillière (J.) : « La pêche sur le littoral oriental de la Tunisie ».In *Bull. Eco. Soc. Tun.,* 1954, n° 86, pp. 45-72.

Gendre (F.) : « L'île de Djerba ». In *Rev. Tun.,* XIV, 1907. pp. 504-522, et XV, 1908, pp. 60-79.

Golvin (L.) : *« Aspects de l'artisanat en Agrique du Nord.* PUF, 1957. 235 p. (Public. de l'I.H.E.T.) vol. II.

Golvin (L.) : *« Les tissages décorés d'El-Jem et de Jébiniana ».* I.B.L.A., Tunis, 1949, 167 p.

Hubac (P.) : *« Tunisie ».* Paris, 1948, Berger-Levrault, 159 p.

Huez de Lemps (A.) : « La situation économique de la Tunisie ». *Cah. d'Outre-Mer,* Bordeau, 1958, pp. 272-290.

Idoux (M.) : « Un été dans le Sud Tunisien » *Mém. de la Soc. bourguignone de Géographie,* 1900, pp. 33-89.

Initiation à la Tunisie. 1950.

Joly (A.) : « Notes géographiques sur le Sud Tunisien ». In *Bull. Soc. Géogr. d'Alger,* 1907, pp. 281-301.

Laitman (L.) : *« Tunisia today ».* New-York, 1954.

Lalloue (Ch.) : *« Essai de monographie régionale de la plaine de Grombalia ».* D.E.S., 1951, 120 p. dactylographiées.

Lepidi (J.) : *« L'économie tunisienne depuis la guerre ».* Tunis 1955. 122 p.

Levabriville (J.) : « Les Troglodytes du Matmata ». In *B.S. Normande de Géographie,* 1907, pp. 118-142.

Lisse et Louis (A.) : *« Les potiers de Nabeul ».* Tunis, Bascone et Muscat, 1956, 267 p. Public. I.B.L.A. n° 23.

Loth (G.) : *« L'Enfida et Sidi Thabet : La grande colonisation française en Tunisie ».* Tunis, 1910, 193 p.

Louis (A.) : *« Les îles Kerkenna : étude d'éthnographie Tunisienne et de Géographie Humaine ».* 3 tomes. 420 p., 448 p., et 60 p., 1961-63.

Lanet (P.) : «Aspects sociaux du Sahel de Tunisie». In *l'Afrique et l'Asie, 1954,* n° *8,* pp. *55-62.*

Macquart (G.) : « Etude sur la tribu des Hoaouia, territoire de Médenine ». In *Rev. Tun.,* 1937, pp. 253-295.

Marthelot (P.) : « Problèmes de la steppe tunisienne ». In *Cah. de Tun.,* 1954, pp. 17-27.

Marthelot (P.) : « Juxtaposition d'une économie traditionnelle et d'une économie moderne ». In *I.B.L.A.,* 1955, pp. 481-501.

Marthelot (P.) : « Les Tunisiens : Réflexions sur quelques disparités géographiques et sociologiques ». In *Cah. de Tun.,* 1959.

Marty (G.) : « A Tunis, éléments allogènes et activités professionnelles ». In *I.B.L.A.,* 1948, pp. 159-188.

Mathieu (G.) : *« Contribution à l'étude des Monts Troglodytes ».* Tunis, 1949.

Monchicourt (Ch.) : « Le massif de Mactar ». In *Ann. de Géogr,* 1901, pp. 346-369.

Monchicourt (Ch.) : « La région de Tunis ». In *Ann. de Géogr.,* tom. XIII, 1904, pp. 145-170.

Monchicourt (Ch.) : « La steppe tunisienne chez les Fréchich et les Majeur. (Régions de Fériana, Kasserine, Sbeitla, Djlma). Extrait du *« Bull. Dir. Affaires Eco. »,* Tunis, *1906, 85* p.

Monchicourt (Ch). : « Règlements d'irrigation dans le Haut-tell. Région du kef, Téboursouk, Mactar et Thala ». In *Bull. Dir. Agric et Com.,* 1911, pp. 497-517.

Monchicourt (Ch.) : *« La région du Haut-Tell en Tunisie (Le Kef, Téboursouk, Mactar, Thala) : essai de monographie régionale ».* Paris, A. Colin, 1913, 487 p.

Montagu (J.) et Tournier (J.L.) : « L'évolution agricole du caïdat de Soliman ». In *Bull. Eco. Soc. Tun.,* 1951, n° 56, pp. 19-29, 1957, pp. 15-19 ; 1958, pp. 19-26 ; 1959, pp. 26-30.

Moreau (P.) : *« Des lacs de sel aux chaos de sable. Le pays des Nefzaouas »*. Col. I.B.L.A., XI, 1947. 206 p.

Moreau (P.) : « Les problèmes du nomadisme dans le Sud Tunisien ». *Mém. du CHEAM*, 1947., 56 p.

Mottes (V.) :*« La colonisation française et la propriété indigène dans le contrôle civil de Medjez-el-Bab »*. Tunis, 1925, 41 pages.

Moulinier : « Porto-Farina ». In *Bull. Eco. Soc. Tun.*, mai 1952, pp. 80-92.

Noel (A.H.) : *Nomenclature et répartition des tribus de Tunisie »*. Châlon-sur-Saône, 1900, 403 p.

Pauphilet (D.) : « La disposition des terres collectives chez les Ouled Chehida ». In *Cah. de Tun.*, n° 3-4, 1953, pp. 207-228.

Payre (G.) : « Notes sur le contrôle civil de Mahdia ». In *Rev. Afric.* 1950, pp. 543-614.

Penet (P.) : « Les syndicats d'inondation de la plaine de Kairouan ». In *Bull. Dir. Aff. Eco.* (Tunis), 1908. pp. 443-478.

Penet (P.) : *« L'hydraulique agricole dans la Tunisie Méridionale »*. Tunis, 1913, 212 p.

Pennec (P.) : *« La transformation des corps de métier de Tunis »*. Tunis, I.S.E.A. – A.N., 1964, 574 p. (thèse de 3ème cycle dactylographiée).

Pervinquière (L.) « La Tunisie Centrale » *Ann de Géogr*, IX, 1902, p. 453.

Pervinquière (L.) : « Le Sud Tunisien ». In *« Revue de Géographie Annuelle »*. 1909, pp. 385-470.

Pissaloux (R.) : « Les cartes d'occupation du sol en Tunisie : le Cas du Cap Bon ». In *Cah. de Tun.*, t. II n° *7-8*, *1954*, pp. *265-306*.

Pissaloux (R.) : « Production agricole et alimentation humaine en Tunisie ». In *Cah. de Tunisie*, 1955, pp. 543-614.

Prost (G.) : « Les migrations des populations du Sud Tunisien ». In *Bull. Eco. Soc. Tun.*, n° 43, août 1950, pp. 71-80.

Prost (G.) : « Utilisation de la terre et production dans les Matmata et Ouderna ». In *Cah. de Tun.*, II, *1954*, pp. *51-57*.

Prost (G.) : « L'émigration chez les Matmata et les Ouderna ». In *Cah. de Tun.*, III 1955, pp. 316-325.

Poncet (J.) : « Quelques aspects actuels des cam-pagnes tunisiennes ». In *Ann. de Géogr.* mai-juin *1951*, pp. *255-269*.

Poncet (J.) : « Contribution à un étude des structures sociales sur l'Enfida ». *C.R. L XXeme congrès AFAS*, Tunis, 1951. 7 p.

Poncet (J.) : « L'évolution des genres de Vie en Tunisie ». In*Cah. de Tun.*, 3eme-4eme trimestre 1954, pp. 316-328.

Poncet (J.) : « La mise en valeur de la Basse Vallée de la Medjerda et ses perspectives humaines ». In *Ann. de Géogr.*, 1955, pp. 199-222.

Poncet (J.) : « Réflexions sur la mise en valeur agricole en Tunisie ». In *Terre de Tunisie*, n° 3, 1957, pp. 27-30.

Poncet (J.) : « Un problème d'histoire rurale : le habous Aziza Othmana au Sahel ». In *Cah. de Tun.*, n° 31, 1961, pp. 137-156.

Poncet (J.) : « Prospérité et décadence ifrikiennes ». In *Cah. de Tun.*, 1er-2eme-3eme – trimestre 1961, pp. 221-243.

Poncet (J.) : « les champs et l'évolution du paysage agraire en Tunisie ». In *Ann. de Géogr.* 71, 1962, pp. 620-629.

Poncet (J.) : *« Les rapports entre les modes d'exploitation agricole et l'érosion des sols en Tunisie »* Public. du S.E. à l'Agriculture. Enseignement et Vulgarisation agricoles. Etudes et mémoires n° 2. Tunis, 1962, 174 p.

Poncet (J.) : *« La colonisation et l'agriculture européenne en Tunisie depuis 1881 »*. Paris, Mouton, 1962, 700 p.

Poncet (J.) : *« Paysages et problèmes ruraux en Tunisie »*. Paris P.U.F. 1963, Publ. de l'Univ. de Tunis. 374 p.

Rodd Balek (Pseudonyme) : *« La Tunisie après la guerre (1919-21). Problèmes politiques »*. Paris, Public. de l'Afrique Française. 1922. 355 p.
– *« Sur les traces de Rodd Balek : le problème tunisien après 1921 »*. Paris, Public. de l'Afriq. Fr., 1929, 520 p.

Rondot (P.) : « L'élimination des gourbivilles et l'étude des migrations humaines en Tunisie du Nord ». In *Bull. Eco. Soc. Tun.*, n° 91 (août 1954) pp. 82-90.

Sebag (P.) : *« La Tunisie. Essai de monographie »*. Editions Sociales, 1951. 267 p.

Sebag (P.) : « *Enquête sur les salariés de la région de Tunis* ». Paris, P.U.F., 1956. 80 p. (Public. I.H.E.T.).

Sebag (P.) : « Le bidonville de Borgel ». In *Cah. de Tunisie,* 1958, pp. 267-309.

Sebag (P.) : « *Un faubourg de Tunis : Saïda Manoubia* ». Public de Univ. de Tunis. Paris, PUF ; 1960. 92 p.

Sebag (P.) et Attal (R.) : « *L'évolution d'un ghetto nord-africain : la Hara de Tunis* ». Paris, P.U.F., 1960. 118 p.

Stablo (R.) : « *Les Djerbiens* ». Tunis, SAPI, 1941, 166 p.

Stugo (N.) : « La mise en valeur de la Vallée de la Medjerda ». In *Bull. Eco. Soc. Tun.*, Juillet 1955, pp. 49-95.

Surin (R.) : « La réforme des terres collectives ». In *Bull. Eco. Soc. Tun.*, 1949, n° 28, n° 29. pp. 25-39.

Surin (R.) : « Une nouvelle orientation de la politique de mise en valeur à la Basse Vallée de la Medjerda ». In *Cah. de Tun.*, 3eme-4eme trimestre 1953, pp. 286-319.

Taïeb (J.) : « L'Ariana ». D.E.S., 1960 (Extrait dans *Cah. de Tunisie,* n° 32, 1966, pp. 33-76).

Tron (H.) : « Monographie agricole du contrôle civil de Bizerte ». In *Bull. du Ministère de l'Agric.*, I, 1952, pp. 41-86, et II, 1953, pp. 149-159.

Verry (A.) : « De Hammamet à Kélibia : aperçu agricole ». In *Bull. Direct. Agric. et Comm,* 1900, pp. 22-54.

Hafid SETHOM

حول المضمون الثقافي للغرب الإسلامي
من خلال «المدخل لصناعة المنطق» لابن طملوس

عبد المجيد الصغير
كلية الآداب - الرباط

خلاصة الموضوع :

لقد حظي تاريخ الفكر في الغرب الإسلامي بمحاولة تقويمية فريدة حرصت أن تقدم المضمون الثقافي في الغرب الإسلامي في شكل خصائص ومميزات عامة عبر التاريخ الطويل للتشكل الثقافي في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي. ولقد تمثلت تلك المحاولة في كتاب «المدخل لصناعة المنطق «لأبي الحجاج يوسف بن طملوس (620 هـ) الذي حرص أن يقدم تقويما عاما للمضمون الثقافي في الغرب الإسلامي عبر تشكلاته وتراكماته الفكرية والتاريخية. وهو تقويم يبرز من خلاله مبلغ الدور الذي لعبه عامل التحدي في صياغة ذلك المضمون الثقافي، مثلما لعبه قبل ذلك على المستوى السياسي...

وقد أبرز تقويم ابن طملوس، من جهة أخرى، مدى الدور الذي لعبه «رجل السياسة» في توجيه ذلك المضمون عبر مراحل تاريخية مختلفة الشيء الذي سيسمح لنا بإبراز تأثر الدراسات الفلسفية هي الأخرى بهذا العامل الذي بقدر ما كان مؤثرا في عملية الصياغة الفكرية والتوجهات الثقافية كان بذاته إفرازا لوضع سياسي وتاريخي معين، الأمر الذي شجعنا على إعادة الرؤية في الوظيفة الثقافية للفلسفة الرشدية بعد وضعها ضمن إطارها التاريخي والثقافي في الدولة الموحدية ككل. كما مكننا ذلك من «ضبط» حدود العلاقة التي ظلت لحد الآن غامضة بين ابن طملوس وبين «أستاذه» ابن رشد، وقد كان ابن طملوس تعبيرا واضحا عن العلاقة بين «المثقف» وبين مشروع الدولة الموحدية، كما كان دليلا على استمرار التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب رغم طابع التحدي الذي صاحب ذلك التواصل المستمر.

وتظل قيمة محاولة ابن طملوس في كونها «دعوة» مستمرة لإعادة النظر في التقويم الثقافي وهو التقويم الذي بقدر ما ينصب على المضمون الفكري الماضي يلتفت بالضرورة إلى تقويم المضمون الحاضر، رغبة واستشرافا لمضمون ثقافي مرغوب فيه مستقبلا...

☆☆☆

1.1 ـ ليس من قبيل المبالغة القول أن جل المثقفين والباحثين المغاربة إلى عهد قريب كانوا يعرفون عن تاريخ الفكر والحضارة بالمشرق، حتى بلاد فارس أكثر مما يعرفون عن الغرب الإسلامي. وإذا كان يلاحظ على مثقفي المشرق اليوم أن بضاعتهم من الفكر والثقافة الأندلسية والمغربية خاصة كونها بضاعة «مجزاة» فإن الباحثين المغاربة يتحملون قسطا كبيرا من المسؤولية في ذلك[1] ولعل مما يزيد في تعميق المشكل أن يكون البحث في الأطروحات والقضايا الفكرية في الغرب الإسلامي لا يزال بحثا بكرا، ولا تزال حلقات ذلك الفكر تشكو من عدة ثغرات تتطلب الترميم وإعادة التأسيس. كما أن تاريخ الاتجاهات والتيارات السياسية في المغرب خاصة لا يزال هو الآخر يعاني من غموض ينعكس بالضرورة على معرفتنا بتاريخ الأفكار والنظريات وتحديد خصائص ومميزات الفكر والثقافة في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي...

اعتبارا لهذا، وهو ما نفترض الوعي بأبعاده لدى كل متمرس بدراسات الغرب الإسلامي، ربما يكون من الأنسب ألا نتجاوز حدود إبداء بعض الملاحظات المؤقتة بخصوص النموذج المختار لجلستنا اليوم مفضلين تقديمه بطريقة من شأنها أن تثير فينا جميعا تساؤلات تطمح في النهاية المساهمة في ترميم الحياة الفكرية وتوضيح خصائصها في الغرب الإسلامي، خصائص تكونت بعد تحولات نتجت عنها تراكمات أضفت في النهاية على ما يبدو، طابعا من الخصوصية على هذه الثقافة، ولعل هذا التراكم هو هذا الذي تشير إليه المقدمة المهمة التي صدر بها أحد تلامذة ابن رشد أبو الحجاج يوسف بن طملوس (560 (؟)) ـ (620 هـ) كتابه اليتيم «المدخل لصناعة

1) نلاحظ أن أحمد أمين لم يخصص أي جزء من مجموعته الإسلامية للمغرب، وانظر مثلا كلامه عن المرابطين وعن يوسف بن تاشفين الذي أمر (كذا) بإحراق إحياء الغزالي، نظرا للتناقض بين نزعة يوسف بن تاشفين الدينية ونزعة الغزالي وأن عقوبة من كان يقرأ **الإحياء** كانت القتل ! وأن المهدي بن تومرت هو الذي استولى على الأندلس ونشر تعاليمه فيها، وأنه هو الذي أمر بإحراق كتب الفروع و«المذهب» كما شاهد ذلك بنفسه صاحب **المعجب** في عهد المهدي بن تومرت ! انظر ظهور الإسلام جـ 3 ص 37، 39.

المنطق» وهي مقدمة نظرا لما تتميز به من اختزال شديد وقفز على الأحداث لا تخلو من أحكام وتقويمات و«قراءة» قد لا يتفق معه فيها بعض السابقين أو اللاحقين له، كما لا تعدم أنصارا ومؤيدين.

1. 2 ـ هناك موقفان معروفان جيدا نستطيع أن نرى فيهما إشارة رمزية لما نحن بصدد الحديث عنه، كما نستطيع أن نقرأ فيهما طرحا مبكرا لمشكلة هوية الغرب الإسلامي، وهما يشيران إلى هذه الهوية.في علاقتها مع الجناح الشرقي من العالم الإسلامي.والموقفان معا مطبوعان بشيء غير قليل من الرغبة في التحدي والمواجهة، يتمثل الموقف الأول، وهو ذو بعد سياسي واضح، في كون الغرب الإسلامي لم يظهر ويتميز في وعي المشرق الاكتحد سياسي، تمثل في صورته الأولى في استقلال الأندلس الأموية عن السلطة المركزية ببغداد ثم تمثل في صورته الثانية في انفصال الدولة الادريسية بالمغرب عن ذات السلطة العباسية. ومنذ هذين الحدثين السياسيين جعل المشرق ينظر إلى هذه الجهة من الغرب الإسلامي ليس كإمارة أو «سلطنة» مستقلة كتلك التي ستزرع في جسم الخلافة العباسية وتحظى مع ذلك بالاعتراف والشرعية، وإنما أصبح الشرق ينظر إلى الأندلس وإلى هذا البلد الآخر الواقع على بحر الظلمات (المغرب) كمنافس يريد أن يكون نظيرا له ويفلت من هيمنته السياسية والثقافية كذلك. وإذا كان المرابطون قد التزموا جانب الحذر في علاقاتهم مع دولة الخلافة ببغداد، فإن الموحدين بادروا إلى تحد سافر للخلافة العباسية فلقبوا أنفسهم بألقاب الخلافة، بل صاروا يفكرون في توحيد العالم الإسلامي محولين قبلة الخلافة نحو مراكش بدل بغداد الشيء الذي حملهم على بذل الكثير لمنافسة الخلافة العباسية ثقافيا وعلميا وعمرانيا...[2]

هذا موقف سياسي لا ريب في أنه قد ترك بعض بصماته على المستوى الثقافي في الغرب الإسلامي، كما أنه لم يكن إلا أن ينعكس أثره على موقف المشرق من العطاء الثقافي لهذا الغرب الإسلامي.

وهذا ما يدفعنا للإشارة إلى الموقف الثاني الآخر الذي فرض على هذه الثقافة أن تكون مطبوعة بطابع التحدي المتبادل سواء من قبل المشارقة أو المغاربة ويتمثل هذا الموقف في الصدى الذي تركه لدى قراء المشرق عمل ثقافي أندلسي مشهور ألا

---

2) انظر : د. عبد الهادي التازي، هل يعتبر ابن رشد كعنصر من مظاهر التنافس بين الخلافة في بغداد والخلافة في مراكش ؟ ضمن أعمال ندوة ابن رشد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى، 1979.

وهو كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه (246 ـ 328 هـ) حيث اكتفى أحد قراء المشرق وأدبائه، وهو الصاحب بن عباد بالقول عنه : «بضاعتنا ردت إلينا» ! وهو تقويم يوشي بتصميم مبيت على سلب أية خصوصية لمثل هذا العمل الوارد من الغرب الإسلامي، ذلك الخصم السياسي العنيد، كما أنه قول يضمر أن ما يمكن أن ينسب لذلك العمل الثقافي من قيمة فالفضل فيه يرجع إلى المشرق وحده.

وسواء تعلق الأمر بهذا الموقف الفكري المشرقي من ثقافة المغرب[3] أو ذلك الموقف السياسي المغربي من السلطة السياسية المشرقية، فإن الموقفين معا يتضمنان تداخلا بين السياسي والثقافي ويضمران تحديا مشتركا في المجالين معا، وهو التحدي الذي يسمح لنا بالحديث عن مظاهر التأثر والتأثير مثلما يسمح بإبراز مظاهر الاختلاف والخصوصية. وهل يمكن أن نقرأ رسالة ابن حزم «في فضل الأندلس وذكر رجالها» وما تميزت به من طابع حجاجي الا في إطار هذه الرغبة في التحدي والإفلات من الاحتواء إذ في رأيه أن «بلدنا هذا (= الأندلس) على بعده من ينبوع العلم ونأيه عن محلة العلماء فإن له من تأليف أهله ما إن طلب مثلها بفارس والأهواز وديار مضر لم يوجد» ![4] وأن الأندلسيين إذا لم يبرز نجمهم في الكتابة في الفرق وعلم الكلام فذلك لا يدل في رأيه على منقصة بل هو دليل على الوحدة والتوافق. ولعل هذا ما حمله على سد هذا النقص بتأليفه لكتاب «الفصل». وما الذي يمنعنا من القول أن هذه الرغبة في التحدي، أو على الأقل إظهار الفضل والامتياز بالاختصاص هي التي ستدفع في عصرنا الحديث بعبد الله كنون، بعد أن بدأت تهب على المغرب الأقصى رياح الثقافة المشرقية إلى أن يكتب في موضوع «النبوغ المغربي» وهو عنوان لا تخفى دلالته على ما نحن بصدد الحديث عنه اليوم ؟.

وإذا كان لمقدمة كتاب ابن طملوس من قيمة فهي في محاولتها المختزلة رصد وتتبع سلسلة من عمليات المثاقفة بين المغرب والمشرق مؤكدا في الغالب على طابع التحدي الذي تميز به موقف الغرب الإسلامي. ورغم كوننا لن نعير اهتماما لجوهر موضوع الكتاب وهو كما يبدو من عنوانه مركز على الجانب المنطقي من علوم الفلسفة ومبشر بقيمته المعرفية، إلا أننا سنضطر أن نرى في مجمل الكتاب اعترافا

---

3) انظر على سبيل المقارنة موقف مماثل لأبي علي القالي، ظهر الإسلام، جـ 3 ص 83.

4) نقلا عن ظهر الإسلام، جـ 3 ص 9 ـ 10.

بتحول واضح في الدراسات الفلسفية بالغرب الإسلامي، وهو التحول الذي لا يزال في حاجة إلى تفسير وتحليل.

وعليه وفي ضوء ما سبقت الإشارة إليه، فإن النص الذي بين أيدينا سيكون لنا من خلال مقدمته مناسبة لمعالجة تقويم صاحبه للمضمون الثقافي في الغرب الإسلامي، مع مقارنتنا إياه بمواقف أخرى سابقة عليه ولاحقة له أيضا. كما سيكون الكتاب في مجمله فرصة للإشارة إلى التحول الذي بدأ يطرأ على مضمون الفكر الفلسفي.

☆☆☆

2. 1 ـ يبدو أن ابن طملوس ينطلق في تقويمه للمضمون الثقافي في الأندلس خاصة من مسلمة ستتطور فيما بعد مع ابن خلدون الذي سيفسر ظاهرة العلم والثقافة في الغرب الإسلامي على أساس التقابل بين مفهومي الحضارة والبداوة... وتقوم مسلمة ابن طملوس على فرضية تكرس منذ البداية تبعية الغرب الإسلامي للمشرق في العلم والثقافة، مادام سكان الأندلس مثلا كانوا خليطا من العرب والبربر والاسبان «وكل هؤلاء ـ حسب قوله ـ لم يكن عندهم علم»[4ب] وأخاله يرجع سبب ذلك إلى حالة البداوة والابتعاد عن المراكز الحضارية القديمة التي عرفها المشرق حسب تحليل ابن خلدون. ونظرا لهذا الفقر العلمي لم يكن بد لهذا الغرب الإسلامي أن ييمم جهة المشرق يلتمس منه **حاجته من** العلم. غير أن الالتماس لعلم المشرق كان محكوما بنزعة براغماتية عملية محضة تستجيب لضرورة تلك الحاجة ولا تتعداها، دون الطموح لامتلاك الأسس النظرية لذلك العلم، الشيء الذي يفسر سبب إقبال مفكري الغرب الإسلامي على علم الفروع وتفوقهم فيه دون الأصول، وطغيان أسلوب الحفظ والرواية على منهج الدراية والفهم. لقد كان هذا النوع من «العلم» الاضطراري إن صح التعبير، مطبوعا منذ البداية بطابع الاتباعية والتقليد زاد من تعميقه صعوبة التردد المستمر على المشرق للأخذ من رجاله مباشرة.

2. 2 ـ غير أن المشكلة الكبرى التي تولدت عن هذا الوضع الحضاري والفكري تكمن في رأي ابن طملوس في شيئين خطيرين، أولهما تمثل في شدة إقبال الناس والعوام على علوم الفروع هذه اعتبارا لاتصالها الوثيق بالحياة اليومية ولطابعها التنظيمي العملي البرجماتي مما جعل حاملي علوم الفروع يحظون بثقة العامة. «وعظم

4ب) ابن طملوس، يوسف : المدخل لصناعة المنطق. نشرة M. A. PALACIOS مدريد 1916، ص 9.

حاملوها وجل مقدارهم...» «فكانت الرياسة في ذلك الزمان بهذا العلم». والملاحظ أن ما ستنعت به الحالة الفكرية في فترة الحكم المرابطي من قبل البعض ويقصرونها عليها نرى ابن طملوس يسعى لتعميمه على تاريخ الغرب الإسلامي كله.

2. 3 ـ أما النتيجة الخطيرة الثانية المتولدة عن ذلك النوع من الاتصال البرجماتي بعلوم المشرق فتكمن في كون مفكري المغرب بالرغم من أن طلبهم علوم المشرق لم يتجاوز حدود الضروري وما تعلق بالفروع دون مآخذها وقواعدها المنهجية، فان ظروف الحياة الملحة جعلت العامة من الناس تتوهم أن هؤلاء المفتين الحافظين للفروع هم «العلماء»، وأن علمهم الذي اقتصروا عليه هو «العلم الحق» محولين سنده المذهبي إلى سند «مقدس» رابطين بين علم الفروع الذي مهروا فيه بالأصول التي جهلوا مآخذ امامهم فيها مكتفين مع ذلك بالاعتقاد «أن ما اتصل بهم من المسائل التي استنبطوها أنها من عند الله تعالى لكونهم إنما قبلوها عن **عدل** عن **الإمام** الذي **قلدوه** عن **رسول الله** ﷺ **عن الله** تعالى» !

من هنا بدأت هذه المشكلة التي ستطبع جميع مراحل التحولات الثقافية في الغرب الإسلامي حسب وجهة نظر ابن طملوس : فحيث مثل هذا الغرب حدا أقصى للعالم الإسلامي واعتبر بالنسبة لأهله **عائقا جغرافيا ومكانيا** يمنعهم من الاتصال السريع بالمشرق والتزود المباشر والمستمر بشيوخه وبمراكزه العلمية، فقد جعلت هذه الصعوبة المكانية من تلك العلوم التي وردت أولا على المغرب ـ وقد غلب عليها كما رأينا الطابع العملي المحض ـ علوما حقة، كما جعلت من حامليها «علماء» سرعان ما تحولوا إلى «سلطة» فعلية ترعى التقليد وتخشى التغيير وتؤسس ذلك على شرعية وتسندها سندا خبريا إلى الرسول ﷺ وإلى الوحي مباشرة.

2. 4 ـ ذلك هو التأسيس الأول لمضمون ثقافة الغرب الإسلامي حسب تصور ابن طملوس وتلك هي أسبابه الجغرافية ودوافعه الاجتماعية. أما نتائجه فقد حرص ابن طملوس أن يقدمها في صورة تهكمية تدعو مع ذلك إلى الاشفاق وإلى الحيرة في آن واحد ! أن تلك الطريقة التي تشكلت بها الثقافة في الغرب الإسلامي بحكم نسبية مضمونها وبحكم طابعها العملي الملح، لم تكن لتضفي على القائمين عليها أكثر من طابعين نفسيين يسهل إرجاعهما إلى الفعل الأول الذي تأسس في هذه الثقافة. وإذا كان الفعل الأول كما رأينا ليس سوى فعل «التقليد» لنموذج مشرقي ما، فإن هذا النموذج ما أن يصل إلى أرض المغرب والأندلس وتثبت فائدته العملية لدى أصحابه

حتى يجمعوا على **المحبة** له **والبغض** لغيره. نعم ! إن المذاهب الأخرى التي عرفت طريقها إلى الغرب الإسلامي لم تعرف مثل هذا الحب أو البغض وذلك لكونها لم يقع حولها إجماع من قبيل هذا الذي تم بالصدفة لإمام دار الهجرة الذي ما أن انتقل سكان هذا الغرب إلى مذهبه وأجمعوا على ذلك حتى «**غذوا** بمحبة هذا العلم والشغف به **ونشؤوا** على تعظيم أهله **واعتقاد** صدقهم **وبغض** مخالفيه». وليس غريبا أن تجتمع في هذين السطرين مصطلحات من قبيل التغذية والنشأة والاعتقاد والمحبة والبغض، وكلها تشير إلى **الجانب الانفعالي** في هذا التأسيس للعلم دون الجانب العقلي.

هكذا يكون تأسيس العلم داخل ثقافة الغرب الإسلامي مقرونا بما ليس علما أي بمحض المحبة والبغض. وإذا كان العلم في المشرق، إنما نشأ ونما وتطور بفضل «الخلاف»[5] وإذا كان يميِّز هناك بين الحق وبين الرجال، فإن العلم في الغرب الإسلامي لم يكن ليتيسر له هذا التمييز بخصوص رجاله الذين كابدوا دون غيرهم عناء السفر من المغرب إلى المشرق فرجعوا بسلسلة سند تهدف إلى إثبات شرعية لا يبقى معها اختيار، فيكون هذا العلم القائم على الاتباع والسند والتقليد علما يهدف إلى تحقيق الاجماع وتحريم **الخلاف**. وكيف يتم قبول الخلاف وهو لا يمكن رفعه، إذا ما وقع، الا بالعودة من جديد إلى ركوب مشاق السفر إلى المشرق واستفتاء علمائه واستئناف سند جديد ؟! وحيث أن علم الفروع ثبتت فائدته العملية في الواقع فقد اعتبر الخروج عليه والقول بما يخالفه تهديدا لذلك الواقع «وذلك أنهم، لما كانوا يعتقدون فيه (= المذهب المالكي) أنه الحق من لدن الله، اعتقدوا في مخالفيه الكفر والزندقة» وهما أيضا حكمان كما يبدو قائمان على مجرد البغض والمحبة. وسرعان ما يلجأ إلى هتين العاطفتين القائمون على تلك الثقافة كلما وردت عليهم «صورة مشرقية» أخرى تتميز عن الصورة المشرقية الوحيدة التي اختاروا تقليدها ومحبتها.

2. 5 ـ وإذا كان ابن طملوس قد استهل تصويره لمضمون الثقافة في الغرب الإسلامي بهذا الشكل فلكي يبين غرابة النتائج المتولدة عن موقف القائمين على هذه الثقافة ذات المضمون النسبي والأحكام القطعية ! ذلك أن مركزية نشاط التقليد في هذه الثقافة من شأنه أن يخلط كما بينا بين الرجال والعلم، كما أن من شأنه تبعا لذلك أن يعمى عن إدراك الأصول الموحدة رغم مظاهر الاختلافات الجزئية المفرقة، وهذا ما لم يدركه فقهاء الأندلس مثلا الذين قاوموا الفقيه بقي بن مخلد وألبوا رجال

---

5) كنموذج واضح لذلك نحيل إلى الخلاف المشهور بين الإمام يحيى بن يحيى الليثي وبين الإمام مالك بن أنس، ثم بين الإمام الشافعي وبين أستاذه الإمام مالك أيضا، والأمثلة عديدة...

السلطة ضده رغم مالكيته ليس إلا لكونه رحل أيضا إلى المشرق وأتى بما لم يعهدوه في فروع المالكية فاعتبروه **مخالفا** ثم **زنديقا** كافرا. وهو لم يأت من المشرق الا بكتب الحديث الذي كان جوهر علم الإمام مالك **وأصل اجتهاد**، غير أن مضمون الثقافة الأندلسية المحصور في الفروع والمرتبط بالجزئيات التفصيلية وبفتاوي التلاميذ والشراح لم يكن لينشرح لمآخذ تلك الفروع من الأصول التي أتى ببعضها الإمام بقي ابن مخلد.

وحيث أن التقليد يشكل جوهر تلك الثقافة وبما أنه يراعي ظروف الواقع ويطلب التكيف معه، فلا نستغرب من تجرأ رجل السلطة السياسية على التدخل لأحداث تغيير كان أحيانا حاسما في توجيه مواقف المعارضين المقلدين «**فأمر الأمير** بمطالعة ما عنده (= بقي بن مخلد) والأخذ عنه فانصرف الناس إلى «بقي قليلا قليلا... وطالت الأيام فعاد ما كان منكرا عندهم مألوفا وما اعتقدوه كفرا وزندقة إيمانا ودينا حقا» ! وهذا كلام بقدر ما ينطوي على استغراب وتهكم من هذا التقلب في المواقف يدل على مساهمة رجل السياسة في تشكل وتوجيه مثل هذا النوع من الثقافة القائم قبل كل شيء على محض البغض والمحبة والتقليد !

من السهولة أن نفهم ركون الغرب الإسلامي إلى التمسك بمسلك السلف في العقائد والنفور من «الفرق» التي تعتبر عنوان الاختلاف المبغوض، سنده في ذلك مرة أخرى مواقف شرقية أيضا، حيث قاوم الفقهاء والمحدثون الأوائل مشروعية علم الكلام، وحينما شدد بعض المشارقة على الأشاعرة بعد المعتزلة شدد الأندلسيون أيضا عليهم ورموهم بالكفر والزندقة ونادوا عليهم أمام الملأ «يا أشعرية يا زنادقة الورى» ! «ثم أنسوا أيضا بهذا المذهب ـ كما يقول ابن طملوس ـ[6] ودرجتهم الأيام إلى أن **طالعوه** وتمهروا فيه حتى كان فيه منهم أئمة وعلماء... فصار هذا العلم (= علم الكلام) وعلم الحديث ومذاهب الأئمة ومسائل الفروع، كل ذلك **دين الله** تعالى يجب الإيمان به والعمل بمقتضاه بعد أن كان فيه ما كان» !

إن التقليد في رأي ابن طملوس من جنس مناقض للعلم، وهو صنو الجهل، فجهل علماء الفروع بمضمون علم الحديث وعلم الكلام هو الكامن وراء تألبهم ضد أصحابهما، كما أن جهلهم بمضمون كتب الغزالي التي[7] «قرعت أسماعهم بأشياء لم يألفوها ولا عرفوها وكلام خرج عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر **الطوائف**

6) «المدخل» ص 6.

7) المدخل، ص 6 ـ 7.

الـذين لم يعتـد أهـل الأنـدلس **منـاظرتهم ولا محـاورتهم...»** هـو الـذي حملهم على حرقها وهم لا يعرفون مـا فيهـا ! ولكن رجل السيـاسـة يـأبى مرة أخرى إلا أن يركب هذا المستوى من الثقافة وينصب نفسه موجهـا لهـا، فيسهل عليـه حمل أصحـابهـا على تغيير مواقفهم. وكان المهدي بن تومرت هو ذلك الرجل الـذي «نـدب النـاس إلى قراءة كتب الغـزالي **وعرف من مـذهبـه أنـه يـوافقـه،** فـأخـذ النـاس في قراءتهـا (بـل) **وأعجبوا بهـا** ! ولم يبق في هـذه الجهـات من لم يغلب عليـه **حب** كتب الغزالي... فصارت قراءتها شرعا ودينا بعد أن كانت كفرا وزندقة».

2. 6 ـ وبذلك يتبين لابن طملوس أن موقف الرفض الذي بادر باتخـاذه الفقهـاء من المنطق موضوع كتـابـه، لم يكن بـدافع رفض العلوم الفلسفيـة بقـدر مـا يرجع إلى ذلك الثابت المشار إليه في المضون الثقافي في الغرب الإسلامي. إذ في الوقت الذي نرى فيـه فقيهـا ومفكرا مشرقيـا كـالغزالي يـدافـع بحرارة عن مشروعيـة هـذا المنطـق ويعتبره مـدخلا للصواب، وذلـك بفضل إطلاعـه على مضونـه ووقـوفـه على فـائـدتـه، يلاحـظ ابن طملـوس في استغراب أن مستـوى علمـاء الأنـدلس لا يرتفـع عن مستوى الدهماء والعوام في الجهل التام بهذا العلم الـذي رفضوه رغم اعتراف بعضهم لـه أنـه مـا قرأ منه حرفا واحـدا ![8] ولهـذا يضطر ابن طملوس مرة أخرى لتعليل هـذا الرفض غير الواعي بإرجاعه إلى مجرد طباع أو نشوء وتعود وتقليـد، مصممـا مع ذلـك على إقنـاعهم بفائدة المنطق محتديا هو أيضا نموذجا مشرقيا متمثلا في الغزالي الـذي جعل المنطق مدخلا للشريعة لا للسفه كما قيل، مستـأنسـا بمـا وقع لتلـك العلوم الإسلاميـة الأخرى التي دخلت الأندلس مرفوضة ثم لم تلبث أن صارت مقبولـة مشروعـة ! ولا ييـأس ابن طملوس من الـوصـول إلى هـذه النتيجـة ولا يستغرب لهـا بعـد أن أضبـح الانتقـال من الرفض إلى القبول ثابتا يطبع موقف فقهاء الغرب الإسلامي ويميزهم عن غيرهم.

☆☆☆

3. 1 ـ ذلك باختصار جوهر تقويم ابن طملوس لثقافـة الغرب الإسلامي، يستمـد قيمته من كونه تعبيرا عن تجربة شخصيـة، غير أن أهم مـا في هـذا التقويم حرصـه أن يبين أن موقف فقهـاء الغرب الإسـلامي من العلـوم الفلسفيـة (المنطـق مثـلا) لا تمليـه

---

8) المدخل، ص 8 ـ 9.

اعتبارات فكرية نقدية كما يمكن أن يقال مثلا بالنسبة لفقهاء المشرق كالغزالي أو ابن تيمية بعد ذلك ولكنه موقف تجاه كل معرفة **مخالفة** لم يتعودوا عليها حتى لو كانت شرعية !

3. 2 ـ ونظرا لضيق المقام الذي يسمح بمراجعة معمقة لمثل هذا التقويم للمضون الثقافي في الغرب الإسلامي، فأننا نكتفي بالتنبيه إلى أن مثل هذا التقويم لا نعدم شبيها له سواء قبل ابن طملوس أو بعده، ولعل أقدم مصدر وقفنا عليه لحد الآن حاول تفسير وتقويم الحالة الفكرية في الغرب الإسلامي مع اصطناع تعليل يقترب من التعليل الخلدوني يتمثل عند «المقدسي» الجغرافي المشهور (336 ـ 380 هـ) ويدل تقويمه على ما سبق أن ألمحنا إليه من حضور عامل التحدي في العلاقة بين المشارقة والمغاربة، فهو بعد أن يصف خيرات إقليم المغرب (من برقة إلى الأندلس) ينعته مع ذلك بكونه «بعيد الأطراف **كثير المفاوز**، صعب المسالك، **كثير المهالك**، في زاوية الإسلام موضوع، وبعضه خلف البحر **مقطوع** فلا فيه راغب ولا له ذاهب ولا عنه سائل... **لم يخرج عالما مذكورا** ولا زاهدا مشهورا إلا القليل، **ثقلاء** وإن كانوا مستورين، بخلاء وإن كانوا منعمين»[9] وإذا كانت العلاقة هكذا في صيغتها الجدلية بين الوضع المكاني الجغرافي والمضمون الفكري المعرفي، فلا جرم في رأيه أن يتميز هذا المضمون بما سيصفه بعده ابن طملوس من الركون إلى التقليد الممزوج بالتعصب ورفض الاختلاف، وإن كان وصف المقدسي لهذه الخصائص لا يخلو من مبالغة واضحة حيث نراه يحكي عن الأندلسيين أنهم «يقولون لا نعرف إلا **كتاب الله وموطأ مالك**. فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه وان عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما ربما قتلوه. وبسائر المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي رحمه الله، إنما هو أبو حنيفة ومالك رحمهما الله، وكنت يوما أذاكر بعضهم في مسألة فذكرت قول الشافعي رحمه الله، فقال : أسكت ! من هو الشافعي ؟ إنما كانا بحرين : أبو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب، أفنتركهما ونشتغل بالساقية. ورأيت أصحاب مالك رحمه الله يبغضون الشافعي، فقالوا : أخذ العلم عن مالك ثم **خالفه...**».[10]

---

9) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم نشر دوخوجة ط 2. 1906، طبع بالأوفسيط، مكتبة خياط بيروت د.ت. ص 212.

10) نفسه، ص 232.

وكما سينبه على ذلك ابن طملوس، يشير «المقدسي» إلى دور السياسة في فرض المذاهب والآراء في هذه البقاع المغربية، وقد حكى له بعض الأندلسيين أن السلطان سأل «من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا من الكوفة، فقال : مالك ؟ قالوا من المدينة، قال : عالم دار الهجرة يكفينا ! فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة وقال : لا أحب أن يكون في عملي مذهبان» ![11] وهو ما يعني الخوف من الخلاف الذي اعتبره المشارقة رحمة.

☆☆☆

3. 3 ـ وإذا كان المقدسي مشرقيا لا يمكن الركون إلى تقويمه، خاصة وهو يقيمه على أساس يظل حتى مع تبرير ابن خلدون موضع نقاش، كما أنه لم يزر بلاد الأندلس، فلا جرم أن نجد بغيتنا في شخصية تنتمي إلى هذا الغرب الإسلامي، تمتلك من الخصال ما يجعلها قادرة على تقويم الحالة الفكرية، خاصة وهي بعد هذا الانتماء تنطلق من تجارب شخصية وتعتمد على وقائع دون خلفيات وأسس مظنونة. كما أنها شخصية لعبت دورا مهما في تطعيم هذا المضمون الثقافي نفسه بفضل تكوينها الذي تم في المشرق على كبار مفكريه وبفضل المصادر الجديدة التي حملتها معها إلى المغرب، أنها شخصية أبي بكر بن العربي (468 ـ 543 هـ)[12] الذي عانى من ضغوط فقهاء الأندلس قبل ابن طملوس.

ويجدر التنبيه إلى أننا نجده أيضا يفسر انتشار المالكية تفسيرا سياسيا قائما على تدخل رجل السياسة لصالحه. ومفاد تفسيره أن ملوك بني أمية في الأندلس مالوا إلى فرض المذهب المالكي لما بلغهم من عطف الإمام مالك على خلفاء بني أمية ومعارضته لبيعة جعفر المنصور، فألزم الناس بالعمل بمذهب مالك «ولم يمكنهم من النظر والتخيير في مقتضى الأدلة»[13] الشيء الذي أدى بفقهاء الأندلس إلى أن «صار التقليد دينهم والاقتداء يقينهم، فكلما جاء أحد من المشرق بعلم دفعوا في صدره وحقروا من أمره إلا أن يستتر عندهم بالمالكية» ولم يجد ابن العربي من يمثل به لمواجهة هذه الوضعية الفكرية خيرا من بقي بن مخلد (ت 276 هـ) الذي رحل إلى المشرق فلقي كما يحكي عنه ابن العربي «علماء الأمة وسادة العلم... ولم يكن له

---

11) المصدر نفسه، ص 237.

12) أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق ودراسة د. عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د.ت، انظر خاصة الجزء الأول ص 64 ـ 65.

13) العواصم، جـ 2، ص 490.

أن يرتبط بمذهب أحد...» ولذلك بقي مهجورا حتى مات ![14] بعكس محمد بن وضاح (ت : 266 هـ) الذي عاد هو الآخر بعلم غزير لكنه «طار في الدولة بجناح» بتعبير ابن العربي. ونجد في «المحاضرات» للحسن اليوسي أن أبا الفضل ابن النحوي (513 هـ) المعاصر لابن العربي لما دخل سجلماسة وجعل يدرس **أصول** الفقه فمر عبد الله بن بسام أحد رؤساء البلد فقال : ما العلم الذي يقرأه هذا ؟ فأخبروه فقال : هذا يريد أن يدخل علينا **علوما لا نعرفها**، وأمر بإخراجه» ![15]

ينبه ابن العربي إلى أن فعل التقليد الذي ينشط في مثل تلك المواقف الفكرية لم يكن ليمكنها من أن تستوعب نماذجها التي تدعي التمسك بها، فلم يعد بمقدور الفقهاء النظر في نصوص الإمام مالك الأصلية ولا في أقوال أصحابه، بل أصبح فقهاء الأندلس يحتجون بمقلدي بلدهم وأصبح السند المستمسك به هو سند قرطبة أو طلمنكة أو طليطلة...[16] كما يعتقد أنه «لو لا أن طائفة نفرت إلى دار العلم (= المشرق) وجاءت بلباب منه كالأصيلي (ت : 392 هـ) والباجي فرشت من ماء العلم على هذه القلوب الميتة... لكان الدين قد ذهب»[17] وإذا كان بقي بن مخلد يعترف أواخر القرن الثالث أن أهل الأندلس أهل جهل وقلة عقل فان ابن العربي لا يجد مندوحة من أن يعترف أن دار لقمان لا تزال على حالها في عصره[18]. ومما له دلالته أن يكون هذا الاعتراف آخر ما سطرته يد ابن العربي في كتابه الهام «العواصم» الذي كتب في عصر قريب من عصر ابن رشد وابن طملوس، كما أن ماله دلالته أيضا أن حياته الفكرية والعلمية المخضرمة بين المشرق والمغرب دفعته تحت ضغوط فقهاء الأندلس إلى المقارنة بين تجربته الفكرية في طرفي العالم الإسلامي، فيشيد بصداقة جمعته في دار الخلافة بصديق أقبل من أقاصي المشرق وهو من أقاصي المغرب، فالتقيا على الطلب «ثم قدر الله ـ كما يقول ـ أن عدت إلى مسقط رأسي... وصرت الآن غريبا بين قومي، وقد كنت ـ غريبا بين الغرباء ـ رفيعا شهيرا موصولا... وذلك لفساد النيات وقلة الانصاف واعتقاد المنافسة»[19] واصفا نفسه بأنه أصبح محاطا بالجهال

14) نفسه، ص 503.
15) نقلا عن عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1983 ص 52.
16) أبو بكر العربي، العواصم من القواصم، جـ 2، ص 492.
17) نفسه، ص 493.
18) نفسه، ص 503 ـ 504.
19) القواصم، جـ 1 ص 83 نقلا عن كتاب ابن العربي «سراج المريدين».

المقتصرين على القشر بدل اللباب والزاهدين في طريق الحقائق[20]؛ غير أنه أصر مع ذلك على نشر علمه الذي رجع منه كما يقول : «بملء الحقائب ومنية الراغب» ولم يجد الا «قلوبا متناكرة وأخلاقا متنافرة وأرواحا لم تلتق في سبيل المعرفة»[21] وأنه حين عودته سنة 495 هـ عرج على تلمسان وفاس وكان يمني فقهاءهما بما عنده من علوم أصولية ومصادر أساسية اعتبرت جديدة في وقتها («أسرار الله في المسائل» للدبوسي) «فما تحركت لذلك همة ولا نشأت عزيمة الا لرجل واحد» منهم !

3. 4 ـ والملاحظ أن ابن العربي قبل أن يخوض تجربته المرة مع فقهاء الأندلس، كان قد لقي في رحلته المشرقية الفقيه الأندلسي الشهير أبا بكر الطرطوشي الذي سبق وأن تتلمذ على الباجي وأخذ عنه علم الخلاف، كما تتلمذ على ابن حزم، فاقترح عليه ابن العربي العودة إلى بلاده، غير أن الطرطوشي رفض اقتراحه معللا ذلك بالقول : «لا أحب أن أدخل بلادا غلب عليها كثرة الجهل وقلة العقول» ![22] وإذا كان تلميذه ابن العربي نبهه إلى ضرورة «الهجرة» من مصر، حيث كان يقيم، بحجة كونها أصبحت بعد قيام الدولة الفاطمية الاسماعيلية فيها، أرض البدع والمناكير التي شملت حتى التوحيد وأصل الدين... فان الطرطوشي يأبى إلا أن يوازن بين هذه البدع المشرقية وبين ما هو أخطر منها في الأندلس الذي هو التقليد ورفض الجديد، ويعترف الشيخ للتلميذ قائلا : «فأما بلاد المغرب وان كانوا على طريقة واحدة فقد استولى عليها الجهل وفشا فيها التقليد وزهدوا في النظر وحجرت أملاكهم (= ملكاتهم) عليهم في ذلك **سيرة أموية** ونشأة **تقليدية**. فان عشت بينهم عشت ضائعا عندهم».[23]

تلك «شهادات» على هذا الوضع الفكري، وعلى محاولات تقويمية للمضمون الثقافي في الغرب الإسلامي قبل ابن طملوس، وهي دليل على أن الامتحان الذي سيتعرض له ابن رشد لا يمكن أن يفسر بمحض الكره للعلوم الفلسفية، إذ أن «المحنة» كما بين ابن طملوس **تجربةٌ مشتركة** بين علوم مختلفة، شرعية وفلسفية، وربما كان حظ كتب الغزالي من تلك المحنة أكبر من حظ كتب ابن رشد، وقد تكون محنة هذا الأخير تحتاج منا إلى تعليل آخر سنتناوله ابتداء من الفقرة الخامسة من هذا البحث.

---

20) ابن العربي : **أحكام القرآن**، القاهرة 1967، جـ 3، ص 154 وجـ 4 1985.

21) العواصم، ج 1، ص 62 نقلا عن «سراج المريدين».

22) ابن العربي، **أحكام القرآن**، جـ 1، ص 485.

23) العواصم، ج 1، ص [illegible] عن «سراج المريدين» لابن العربي. ونجد ابن العربي، في «أحكام القرآن» يفضل طريقة المشارقة على طريقة المغاربة في ترتيل القرآن.

3. 5 ـ وقبل ذلك لابد من الإشارة إلى أن الإمام الشاطبي في القرن الثامن، وهو ينتمي إلى هذا الغرب الإسلامي، سوف يعاني نفس المحن من قومه رغم كونه لم يرحل إلى المشرق ولم يغادر وطنه، ولكنه جاءهم بما لا قبل لهم به من علم يختلف عما ركنوا إليه، وعندئذ قامت عليه القيامة ونسب إلى البدعة والضلال وأنزل منزلة أهل الغباوة والجهالة حسب تعبيره.[24] ولم يجد الشاطبي من يتأسى بسيرته في مثل هذه التجربة التي شعر فيها بالغربة الكبرى خيرا من بقي بن مخلد، مواطنه القديم، مفسرا تلك التجربة بمثل ما رأيناه عند ابن طملوس، إذ في رأيه أن المشكلة كامنة في قلة الدراية المؤدية إلى التقليد وأن المقلدين لمذهب إمام «يزعمون أن **إمامهم هو الشريعة** بحيث يأنفون أن تنسب إلى أحد من العلماء فضيلة دون إمامهم، حتى إذا جاءهم من بلغ درجة الاجتهاد... ولم يرتبط إلى إمامهم رموه بالنكير... وعدوه من الخارجين عن الجادة والمفارقين **للجماعة** من غير استدلال منهم بدليل بل بمجرد **الاعتياد العامي**».[25]

3. 6 ـ وإذ يعترف ابن خلدون من جهته، بهذا المستوى الذي رصده هؤلاء المنتقدون المغاربة في المضمون الثقافي للغرب الإسلامي، إلا أنه يشذ عنهم ويتميز بمبالغته في التأكيد على الفوارق الحضارية بين المشرق والمغرب محاولا تحليل ذلك تحليلا يلتقي في نتيجته مع تلك النظرة الشرقية التي انعكست في قول الرحالة المقدسي المشار إليها آنفا، حيث نجده يميل إلى تفسير فشو التقليديين المغاربة والأندلسيين وتعصبهم لمذهب الإمام مالك بكونهم يمموا دائما في أسفارهم جهة الحجاز فتعرفوا على المذهب المالكي ولم يتعرفوا على غيره، وهذا سر كرههم للاختلاف الشيء الذي لم يساعد على ظهور علم الخلاف بينهم ولم يفلحوا فيه مثلما فلحوا في علوم الفروع التي بزوا فيها المشارقة، إضافة إلى كون هذا المذهب الحجازي كان أنسب للطبيعة الجغرافية والبشرية لهذا الغرب من حيث أن «البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة»[26] وهو تفسير لا يخلو من ثغرات لأنه على الأقل لا يعلل انتشار المالكية في الشرق ذاته، كما يجب حسب هذا

24) الشاطبي : الاعتصام، دار المعرفة، بيروت، د.ت. جـ 1، ص 27.
25) الاعتصام، جـ 2، ص 348.
26) ابن خلدون : المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 3، 1967، ص 805.

المنطق أن يكون المذهب الحنبلي أقرب إلى المذهب الحنفي لأنه مثله وليد العراق، وألا تُظهر الأندلس في أحلك أيام الانحطاط علما كعلم مقاصد الشريعة على يد معاصره الأندلسي أبي إسحاق الشاطبي...

☆☆☆

4. 1 ـ من الواجب أن نلاحظ بعد كل هذا أن جل الأطروحات ذات الطابع النقدي للمضمون الثقافي في الغرب الإسلامي ترجع إلى عهد الموحدين خاصة، وتلتمس مشروعيتها في الغالب من نقد بن تومرت ضد «المرابطين» «المشبهين» «المتزمتين»، وهو نقد كما لا يخفى لا يخلو أحيانا من أبعاد أديولوجية سياسية محضة، وربما كان عبد الواحد المراكشي، مؤرخ الموحدين والمدافع عن دولة عبد المومن، أول من توسع في ذلك النقد وعدد شواهده وحصرها متعمدا في العهد المرابطي فحسب، ثم كان ابن طملوس معاصره الذي حاول توسيع دائرة هذا النقد لتشمل مجمل تاريخ الغرب الإسلامي قبل العصر الموحدي.

4. 2 ـ ودون الدخول في محاولة التمييز بين الواقع والمبالغة في مثل هذه التقويمات خاصة تلك التي كتبت تحت ضغط «إيديولوجي» وسجلت بعيون «موحدية»، فان الملاحظ أن كل ذلك بما فيه من غث وسمين قد كان مادة خصبة استغلها أسوأ استغلال في القرن التاسع عشر المستشرق دوزي (DOZY) الذي تعمد كما يعترف بذلك أ.غ بالنثيا (PALENCIA).[27] أن يشوه خاصة العصر المرابطي، تصفية لحسابه الخاص مع بطل الزلاقة وآسر المعتمد ابن عباد ! حيث نراه يعتبر إنقاذ المرابطين للأندلس من عبث ملوك الطوائف وخطر الزحف الإيبيري مجرد هجمة «بربرية» أسقطت خصال «النبل والجمال» العربية ! حيث كان الشعراء مثلا، قبل تلك الهجمة «يتغنون بالخمر وألوان اللهو دون أن يحفلوا للدين وأهله» ! ثم ما لبث الشعر أن أصبحت تسوده روح «الاستسلام الديني» بسبب هؤلاء المرابطين. ولا أدل على مبلغ الحقد الذي يكنه دوزي للعصر المرابطي ولأعمال المرابطين من قوله عن علي ابن يوسف بن تاشفين أنه[28] «في ظل هذا الرجل التافه حلت النساء والفقهاء محل كبار الناس وأشرافهم، وكان الشعر صورة صادقة للعصر، فانتقل من القوة وخلو البال

---

27) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكعبة النهضة المصرية. ط 1 1955 ص 19 ـ 22.

28) نفس المصدر، ص 20.

والخفة واللهو إلى الجبن والجفاف والحزن والتدين، وكانت هذه من السوء بحيث أخذت العيون ترتفع عن الأرض إلى السماء، كان أهل هذا الزمان يقاسون ويستسلمون، في حين كان أهل العصر الذي سبقه يغالبون المقادير».[29]

4. 3 ـ وسوف يؤثر عمل دوزي في تأطير نظرة مثقفي المشرق العربي نحو تراث المغرب خاصة. وهل يمكن أن ننسى تعريض الشيخ محمد عبده بالمغاربة لكونهم أكثر الناس تلاوة وحفظا لسورة الشورى وأنهم مع ذلك أبعد الناس عن الشورى وعن تطبيقها ! وأن بلاد المغرب أبعد الأصقاع الإسلامية عن الحضارة ؟[30] وما أكثر ما نقل أحمد أمين حول المغرب عن «دوزي» وعن «جولد سيهر» مكتفيا بذلك دون تمييزه بين الجانب الإيديولوجي والجانب العلمي، فيما ينقل، مع أخطاء وخلط وخبط في التاريخ ينم عن جهل شبه كامل بتاريخ المغرب[31] مما يفسر عدم تخصيصه المغرب بجزء من مجموعته الإسلامية المعروفة.

5. 1 ـ ومن المستغرب أن تكون نظرة بعض المثقفين المغاربة المعاصرين لا تخلو من مشايعة هذه الأحكام، إضافة إلى كونهم حينما يتحدثون عن المضمون الثقافي في الغرب الإسلامي وعن محنة مفكريه لا نراهم يذكرون سوى **محنة الفيلسوف**، وهي محنة تمثل في الواقع التاريخي تجربة جزئية إذا ما قورنت بمحن الأصناف الأخرى من المفكرين كما مر بنا من خلال كتاب ابن طملوس، بل أن محنة ابن رشد التي يضرب بها المثل عادة في متابعة الفقيه للفكر الفلسفي، ربما كانت، بخلاف ما يظن، المحنة الوحيدة التي يبدو أن الفقهاء لم يلعبوا فيها دورا بارزا. فقد جاءت تلك المحنة وصدرت عن أكبر معارض للفقهاء ولعلم الفروع طيلة تاريخ المغرب، وهو الخليفة المنصور الموحدي، أما ما يقال عن اضطرار الخليفة إلى نفاق ومداراة العامة أو الفقهاء تقربا إليهم لكسب تأييدهم في مهمة حربية، فهو قول بلا دليل، خاصة إذا علمنا أن المحنة وقعت بعد معركة «الأرك» المعنية وليس قبلها. والأهم من هذا أن ذلك التعليل مدفوع بما عرف أولا من قوة الجانب السياسي للمنصور وعدم اضطراره لنفاق الفقهاء ومداراتهم ومن قيامه في وجه هؤلاء ضد العلم الأثير

---

29) معنى هذا أن الذين كانوا على عهد ملوك الطوائف يطحنون تحت أضراس ملوك النصارى ويستسلمون لهم، كانوا يغالبون المقادير وأن الذين أنقذوهم وانتصروا في «الزلاقة» مستسلمين ! لقد كان دوزي يرغب فيما لو استمر خلو البال واللهو سائدين كي تعرف الأندلس نهايتها ولا تستمر خمسة قرون أخرى بعد إنقاذ المرابطين لها...

30) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام.

31) من جملة أنواع الخلط والخبط عند غير أحمد أمين ماردده عبد المتعالي الصعيدي (المجددون في الإسلام، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 1962، ص 22) من أن الفيلسوف ابن رشد كان من الذين أفتوا بإحراق «إحياء» الغزالي على العهد المرابطي ! ناقلا ذلك عن الشعراني في طبقاته الكبرى.

لديهم، علم الفروع، وحمله إياهم بالقوة على ما رآه المنهج الأصوب في المذهب وهو الرجوع إلى الأصول والاقتصار على الأمهات...

ومن يعرف شخصية الخليفة يعقوب المنصور لا يستبعد منه أن يقف هذا الموقف الذي انفرد به تجاه فقهاء الفروع المالكية أو ذلك الموقف الذي وقفه ابن رشد، ولا عبرة بعد ذلك بتحرش العامة والفقهاء بهذا الأخير أثناء نكبته، فهؤلاء يميلون حيث يميل رجل السلطة ولا يستقر لهم موقف، وقد تحرشوا بكل أولئك الذين أشار ابن طملوس إلى نكباتهم... ومن المعلوم أيضا لدى مؤرخ الفكر المغربي أن موقف الخليفة المنصور من الفقهاء وتدخله في توجيه ثقافة عصره وفرض وجهة نظره، كإصلاح أو تجديد بمفهومهما الإسلامي، ليس موقفا بدعا أو فريدا، بل أنه سيتكرر في المغرب بنفس القوة من طرف شخصية سياسية تعاطت هي أيضا للعلم وشاركت فيه واضطرت لأن تتخذ من فقهاء عصرها نفس موقف الخليفة الموحدي بل وتدعو إلى ما يشبه دعوته بتخطي الفروع والرجوع إلى الأصول... وهذا ما سيتمثل كما نعلم جميعا، في موقف السلطان محمد بن عبد الله في القرن الثامن عشر.[32]

وقد انتبه بالنثيا بعد أن كان قد افترض أن تكون محنة ابن رشد راجعة إلى كون الخليفة خشي أن يتهم بالاشتغال بالفلسفة فقدم ابن رشد كبش ضحية[33] فعاد ليقدم فروضا كلها ترجع إلى مبادرة هذا الخليفة المطارد للفقهاء ولابن رشد معا. خاصة وهو يأخذ بالاعتبار أن تلك النكبة وقعت بعد أن عاد الخليفة المنصور من معركة الأرك وقد شملت نفسه «حمية «دينية» بعد انتصاره على النصارى في تلك الواقعة»[34] وإذا كان قد لوحظ أن الخليفة المنصور رجع وأعاد تقريب ابن رشد إليه فإنه لم يرجع أبدا عن قراره بمحاربة الفقهاء في علمهم القديم، علم الفروع، بل إذا كان ابن رشد بعد أن توفى بمراكش ثم أعيد نعشه إلى قرطبة فقد أعيدت معه كتبه وتآليفه التي كان حملها يعدل نعشه كما لاحظ ذلك بعينه ابن عربي الحاتمي[35] في حين أن الخليفة المنصور، كما يقول صاحب «المعجب» :[36] «في أيامه انقطع علم الفروع

32) انظر تفسيرنا لهذا الموقف في.كتابنا : إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين الثامن والتاسع عشر، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء 1988، ص 98 ـ 121.

33) A.G. PALENCIA : Rectification de la mente de ABUSALT de DANIA, Madrid 1915, P. 17.

34) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي، ص 355.

35) الفتوحات المكية، جـ. 1 ص 199 ـ 200.

36) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة، 1949، ص 279.

وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب وترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه» بل أنه كما يلاحظ مؤرخ الدولة الموحدية : كان «قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده»[37].

5. 2 ـ اعتبارا لكل ذلك نظن أن من شأن هذا النص المهم لمؤرخ الدولة الموحدية أن يمهد لنا السبيل لتفهم عمل ابن رشد بفضل وضعه ضمن إطاره التاريخي وتعليل التحولات التي طرأت على الدراسات الفلسفية بعده. مع التنبيه إلى أنه في ضوء ذلك النص المنوه به أصبح من المستحيل تفسير خصوصية المضمون الثقافي في الغرب الإسلامي عصر الدولة الموحدية، وخاصة على عهد يعقوب المنصور، دون مراعاة دور هذا الخليفة في توجيه ذلك المضمون وصبغه بطابع كان حتما أن يؤثر في الواقع الثقافي العام وتوجيهه توجيها رأى الخليفة أنه الأنسب لمواجهة الظروف السياسية المستجدة والمطروحة ليس على الغرب الإسلامي وحده بل وعلى المشرق كذلك، الشيء الذي يعني من جهة أخرى أن ما يشار إليه من تلك المواقف والمبادرات الفكرية للخليفة لا ينفصل عن محاولاته العسكرية والسياسية عامة :

5. 3 ـ وبيان ذلك أن نجاح تجربة الخلافة على مستوى الدولة الموحدية قد سمح لهذه الأخيرة أن تقارن بين تجربتها أو مشروعها الوحدوي وبين تجربة المشرق الذي انقسم إلى إمارات وكيانات قزمية وسلطنات لا تدل على شيء قدر ما تدل في نهاية التحليل على حالة من الفرقة التي يعانيها المشرق سياسيا وفكريا ومذهبيا. وهي الفرقة التي تجلت نتيجتها الطبيعية في اندحار المشرق أمام الزحف الصليبي، وبذلك شكل هذا المشرق في وعي خلفاء الموحدين نقيضا يجب التحذير منه ومن «علله»، أنه نقيض أصبحت الفرقة أبرز سماته وكانت أبرز علله تتمثل في الاختلاف وتشعب الآراء والاغراق في التأويل، وفي خضم كل ذلك تضيع وتتعطل الأصول.

وإذا أخذنا مأخذ الجد صحة ما يقال عن مشروع الخليفة المنصور لتوحيد العالم الإسلامي مغربا ومشرقا (في قسمه العربي) وتحويل قبلة الخلافة نحو مراكش بدل بغداد، وإذا اعتبرنا هذا «المشروع» في ضوء ما قيل عن عزم صلاح الدين الأيوبي، هازم الفاطميين وباعث السنة في قلعة الأزهر ومحرر القدس من الصليبيين، إظهار

37) ان ما في هذه الشهادة من مصطلحات من قبيل : الانقطاع، والخوف والاحراق، والمحو وحمل الناس بالقوة وإزالة المذهب مرة واحدة، ليدل على مبلغ القوة التي واجه بها الخليفة الفقهاء مما يعني عدم حاجة الخليفة إلى مداراتهم، كما يدل على أن مواجهة الخليفة لابن رشد ضعيفة إذا ما قورنت بمواجهته للفقهاء.

ولائه للخليفة الموحدي بعد أن استنجد به لتحصين بعض ثغور المشرق[38] وإذا لم ننس وعي الخليفة المنصور أن دولته، منذ نشأتها، وخاصة على عهده، قد حققت مالم يستطيع المشرق تحقيق بعضه إلا بعد ظهور صلاح الدين الأيوبي، حيث وقف المنصور بالمرصاد تجاه تحرشات النصارى في الشمال وكانت معركة الأرك آخر تلك الملاحم التي لم تستطع خلافة المشرق وسلطناتها أن تأتي بمثلها إلا بمجيء صلاح الدين، إذا اعتبرنا كل هذه الظروف السياسية والعسكرية لا جرم أن ندرك أنها لم تكن لتمر دون أن تترك أثرا على مواقف الخليفة الفكرية، وهي مواقف كان صاحبها يدرك فعلا أن كثرة التأويلات في علم الفروع في الغرب الإسلامي وتعدد الأقاويل والاختلاف فيها يناظر ويماثل الخلاف المشرقي القائم على كثرة الأهواء والملل والنحل وتأويلاتها الشرعية وإذا كان المشارقة فشلوا في مواجهة الصليبيين من حيث كونهم واجهوهم بذلك الاختلاف في المذاهب والنحل، فأن المغاربة لو بقوا على اختلافهم في الفروع وشغفهم باللهث وراء الشاذ من الأقاويل لابتعدوا هم أيضا عن الأصول ولأدى بهم الحال أن يسقطوا فيما سقط فيه المشرق وليس في هذا ما ينسجم مع مشروع الدولة الموحدية القائم منذ البداية على توحيد الفكر والعمل لمواجهة الأخطار المحدقة.

من هنا وجب منذ الخليفة عبد المومن إصلاح مضمون الفكر بما يحقق هذه الغاية، ومن هنا كان في عهد المنصور ذلك التفكير في إمكانية توحيد المشرق بالمغرب لتوحيد الجبهة السياسية والفكرية معا. وإذا كان صلاح الدين الأيوبي قد حول الأزهر من قلعة الدعوة الاسماعيلية الموغلة في التأويل والمبتعدة عن الأصول والمعمقة لأسباب وذرائع الاختلاف إلى مركز لإعادة الاعتبار للأصلين ـ القرآن والسنة ـ فإن ذلك، كما لاحظ المراكشي، قد كان هدفا قديما لدولة الموحدين ومعنى كل ذلك، وما تؤكده النصوص التاريخية المعروفة، أن الوحدة كانت هاجسا قويا في دولة عبد المومن، وأن هذه الدولة قد رأت منذ الخليفة الثاني، وخاصة على عهد ولده المنصور، ضرورة القفز على ذلك الركام من الاختلاف الذي قض مضجع المشرق ويكاد يضعف جبهة المغرب، مما يستوجب إيقاف هذا التوالد غير الطبيعي في علم الفروع. الأمر الذي لم يتردد فيه الخليفة المنصور فانبرى مواجها بعنف الفقهاء مخيرا

---

38) انظر : د. عبد الهادي التازي، هل يعتبر ابن رشد كعنصر من مظاهر التنافس بين الخلافة في بغداد والخلافة في مراكش ؟ بحث سبقت الإشارة إليه، ص 238 ـ 239.

إيـاهم بين القرآن والسنن أو السيف[39] بعـد أن أمر بـإحراق كتب الفروع المعروفـة بتفريعاتها المعقدة وتفسيراتها الموسومة بكونها **بدعة** مضلة قائمة على **الرأي** المـذموم ومؤدية **للفرقة.**

5. 4 ـ ولكن من حقنا أن نتسـاءل : أليس هـذا الجـانب الفكري من «المشروع» الموحدي العام والقائم على التنديد بالفرقة والاختلاف والتحذير من التأويلات المبعدة عن الأصول هو ذاته الـذي يعطي معنى لعنوان ومضمون كتـاب ابن رشـد «الكشف عن منـاهج الأدلـة في عقـائـد الملـة وتعريف **مـا وقع** فيهـا، بحسب **التـأويل** من الشبـه المزيفة **والبـدع** المضلـة» ؟ انـه عنوان أعتقـد أنـه يمثل صـدى أو يستمـد معنـاه من المشروع العام للدولة الموحدية الذي ظهر كمـا يقول المراكشي مبـادرة من يوسف ابن عبد المومن وتأكد على عهد ولده المنصور، وهو المشروع القـائم على رؤيـة ومراجعـة نقدية للتطور الذي سارت فيه الثقـافـة الإسلاميـة إلى حـدود القرن السـادس مع طرح البديل القائم على إعادة ربط تلك الثقافة بمتطلبات الحيـاة المستجـدة وحمل النـاس، لأجل ذلك، على العودة إلى **أصل** الشريعـة قرآنـا وسنـة، بعيـدا عن الرأي والتـأويلات المبتدعة المضلة المؤدية للفرقة. وكتاب ابن رشد من خلال عنوانه، يوحي بهذه الرغبـة في **الكشف** والتعريف والنقـد وتتبـع أسبـاب هـذه الفرقـة التي **وقعت** وابتـدعت في عقائد الملة، هذه الملة التي يجب، من منظور الدعوة الموحدية، أن تكون ذات عقيدة واحدة لا عقائد متباينة.

ولا يملك قارئ كتـاب ابن رشـد إلا أن ينتبـه لـدلالـة مصطلحـاتـه ولتوجهـاتـه الفكرية التي لا تفهم جيداً الا بإرجاعها إلى تلك التوجهات المنوه بهـا عنـد الخليفتين الموحديين. ومنذ الصفحة الأولى من كتابه يحرص ابن رشد أن يحمد اللـه على كونـه تعالى : «أختص من يشاء بحكمته ووفقهم لفهم **شريعته** واتباع **سنته**» وأن **هؤلاء قـد** «استبـان عنـدهم زيغ الـزائغين **وتحريف** المبطلين... وانكشف لهم أن من **التـأويـل** ما لم يأذن الله **ورسوله** به»[40] وإذا كـان مقصود المنصور، على حـد تعبير المراكشي «حمل الناس على الظاهر من القرآن، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده» فـانـه أيضا نفس المقصود الذي نوه به ابن رشد حينمـا نبـه إلى أن فرق الملـة على المستوى

---

39) المراكشي : المعجب، ص 279 وقارن تفسيرنا لمشكلة علاقة المنصور بالفقهاء وبابن رشد بذلك التأويل المخالف الـذي ردده الأستاذ محمد زنيبر في بحثه : ابن رشد والرشدية في إطـارهـا التـاريخي، ضمن «نـدوة ابن رشـد» مرجع سبقت الإشارة إليه خاصة ص 40.

40) ابن رشد : مناهج الأدلة، مطبوع مع فصل المقال له أيضا. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1 1978 ص 45.

«الكلامي» قد «صرفت كثيرا من ألفاظ الشرع عن ظاهرها إلى تأويلات... جلها أقاويل **محدثة وتأويلات مبتدعة**»[41] ابتعدت بها عن الشريعة. ولا نغالي في ضوء هذا إذا قلنا إن كتاب ابن رشد تطغى عليه «روح سلفية» واضحة تركز كثيرا على مصطلح البدعة والابتداع وترمي لإبطال كل التأويلات التي مورست على أصل الشريعة، مع اتخاذ مواقف لا تختلف أحيانا مع مواقف حنبلية معروفة من العقائد السمعية.[42]

وإذا كان الخليفة يعقوب المنصور قد انتبه بموقفه المعروف، لخطورة ذلك التراكم الذي لا يزداد إلا استفحالا في مجال علم الفروع، فإن ابن رشد قد تكفل طيلة كتابه المذكور بإبراز نفس الخطر، خاصة من خلال ذلك المثال الذي ضربه لهذا المشكل، والذي من المفيد تلخيص معناه هنا بالقول أن طبيبا صنع دواء نافعا (= الشريعة) لعلاج جميع الناس فامتدت إليه يد أحد المضطربي المزاج (= المتكلم) فلما لم ينفع فيه ذلك الدواء العام الفائدة عمد إلى تغيير خصائصه مبررا موقفه بتحليلات ومحاكات فاسدة، وما أن امتدت أيدي الناس إلى هذا الدواء في حالته التي صار إليها حتى فسدت به أمزجتهم، ولم تزد محاولات اللاحقين لإصلاح ما فسد أولا الا تراكما لأنواع الفساد الطارئ على الدواء الأصلي «حتى فسدت المنفعة المقصودة بذلك الدواء المركب في حق أكثر الناس. وهذه هي حالة **الفرق الحادثة** في هذه الطريقة مع الشريعة، وذلك أن كل فرقة **تأولت** في الشريعة تأويلا غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى، وزعمت أنه الذي قصده الشرع حتى **تمزق الشرع كل ممزق** وبعد جدا عن **موضعه** الأول».[43]

هكذا يتأكد لنا أن الرجوع إلى الأصول ونقد الفروع مشروع موحدي قديم، وإذا كان الخليفة المنصور قد ـ بلغ به الحماس لمشروعه أن حمل السيف في وجه المخالفين... فلا جرم أن نجد قبله والده الخليفة يوسف بن عبد المؤمن يحمل المقربين إليه ويغريهم بإبراز ميزة ذلك المشروع الموحدي، سواء على مستوى

---

41) نفسه، ص 46.

42) اعتباره مثلا التساؤل عن طبيعة الصفات من البدع التي أحدثت في الدين، ودفاعه عن الجهة وعن الرؤية وعن الجوارح دون نفي ولا إثبات. وتنديده بمن يرى أن الصفات كلها متشابهة يجب تأويلها... انظر نفس المصدر ص 77 ـ 81 ولا ننسى أن السلطان محمد بن عبد الله الذي سيتخذ مواقف سلفية مشابهة سيعلن أنه حنبلي العقيدة رغم كونه مالكي المذهب.

43) ابن رشد : الكشف... ص 88، وقارن ذلك بمثال يشبه في : فصل المقال، ص 34 ـ 35.

الشريعة حيث وقع الاقتصار على الأصلين القرآن والسنة، دون كتب المذاهب، أو على مستوى **الحكمة** حيث نراه يكلف بهذه المهمة ابن رشد ويأمره بإزالة «قلق عبارة أرسطو» **المصدر الأصلي** للحكمة، ولعله قلق ناتج هو الآخر عن تحريفات المترجمين وتأويلات المفسرين وابتداعاتهم.

وإذا كان ابن رشد قد سار وراء تحقيق هذا الهدف الأول بالاقتصار على شرح مقاصد صاحب «الحكمة الأصلية»، فإنه حاول بعد ذلك الشرح بمستوياته المعروفة، أن يستجيب للهدف العام الذي من أجله أنيطت به مهمة شرح أرسطو، ألا وهو مقارنة سلف أو أصل الحكمة الذي تم له شرحه، بسلف وأصل الشريعة (القرآن والسنة) الذي أصبح البديل في الدولة الموحدية عن الفروع والمذاهب. فكان «فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» تتويجا رشديا للمهمة التي أناطه بها الخليفة الموحدي الثاني. ولسنا هنا بصدد تحليل هذا العمل الرشدي بل نكتفي الآن بالقول إنه هو الآخر، لا يشذ عن المشروع الموحدي العام، من حيث أنه محكوم بنظرة «سلفية» واضحة تؤكد على قيمة الأصول المعطاة سلفا وعلى صفائها مع التحذير من خطورة الابتداعات والاضافات التي طرأت، سواء على أصل الشريعة أو على أصل الحكمة من قبل الشراح والمفسرين الذين مارسوا التأويل المؤدي إلى **تشويه** الشريعة والحكمة معا، وهو التشويه الذي قد يتوهم معه صاحبه أن الحكمة معارضة للشريعة رغم كونها في الحقيقة «صاحبتها وأختها الرضيعة».

5. 5 ـ إنني أعتقد أنه من هذه النقطة التي وصلنا إليها، والتي وضعنا من خلالها ابن رشد ضمن المشروع الموحدي العام[44] من هنا يجب أن نلتمس سببا وتبريرا معقولا لما يسمى بنكبة ابن رشد، منطلقين من تساؤلنا عما عسى يكون قد تبين للخليفة المنصور، الذي أمر بإحراق كتب الفروع وترك الاشتغال بالرأي وحمل الناس على الظاهر من القرآن، ماذا عساه يكون قد تبين له من خلال عمل ابن رشد ؟

وكما يعلم الجميع فقد وصل هذا الأخير، خاصة في كتابه «فصل المقال» ثم في «الكشف عن مناهج الأدلة» إلى أطروحة تهدف إلى التقريب أو التوفيق بين أصلي الشريعة والحكمة، ولكنه توفيق لا يتم إلا على أساس التمييز، في الشريعة، بين الظاهر والباطن، أو بالأحرى بين خطابين متمايزين داخل الخطاب الشرعي نفسه، خطاب للعامة وآخر للخاصة... ورغم دفاعه في «الكشف» عن وحدة الشريعة بجانب

44) انظر بهذا الصدد، نبيل الشهابي : النظام الفلكي الرشدي والبيئة الفكرية في دولة الموحدين، ضمن أعمال ندوة ابن رشد، مرجع سبقت الإشارة إليه، ص 270 ـ 274.

وحدة نص الحكمة إلا أنه اعتبر الوقوف عند ظاهر الشريعة لا يعدو أن يكون من حظ العامة من الناس وأن للشريعة وجه آخر يمثل بعدها الباطني الذي لا يعلمه الا الراسخون في العلم، هذا العلم الذي يحذر ابن رشد من بثه بين الناس، حيث اعتبر نشره بين الجمهور خطرا لا يعد له أي خطر آخر[45] وحيث أننا لسنا هنا في معرض شرح أو تبرير مسلمات الفلسفة الرشدية فإن مقصدنا المستعجل أن نبين أن هذه النتيجة الرشدية تمثل، من حيث ظاهرها على الأقل **سقوطا فيما حذر منه الخليفة المنصور الفقهاء**، ألا وهو فتح باب التأويل **والاختلاف** ! أو لم يقل عبد الواحد المراكشي أن الخليفة حمل بالقوة الفقهاء على **الظاهر** حسما للفرقة والاختلاف ؟ فكيف يأتي ابن رشد ليعيد تأسيس هذه الفرقة من جديد على أساس القول بالظاهر والباطن المغري بذاته بالتأويل ؟ هذا التأويل الذي لم يفتأ ابن رشد نفسه ينبه على خطورته في تفتيت وحدة الشريعة. وكأن ابن رشد بتبنيه لمنطق التمييز بين الظاهر والباطن قد سار من حيث لا يدري وراء ذلك التيار الذي ساهم هو أيضا في الفرقة والخلاف في المشرق والمتمثل في المذاهب الباطنية التي قضى صلاح الدين الأيوبي على معقلها الكبير في مصر، فكيف يسمح بزرع نفس المنطق في جسم دولة تبنت منطق الوحدة الفكرية والسياسية ؟! وكأن ابن رشد حين تبنيه لمفهوم الظاهر والباطن قد قدم بنفسه للخليفة المنصور مبرر رفض هذه الحكمة التي ما فتئ الباطنية يتعلقون بها ويوظفونها لضرب الشريعة بحجة الظاهر والباطن والتمييز بين عقائد العامة وعقائد الخاصة. وإذا كانت المصادر التاريخية قد تحدثت عن كون الخليفة المنصور، بسبب اتجاهاته السنية الواضحة، كان دائما يجد في نفسه شيئا من فكرة المهدوية والعصمة التي ألصقها المهدي بن تومرت بالدولة الموحدية، وكان يمني نفسه بمواتاة الفرصة لإلغاء هذه الفكرة القائمة في العمق، هي أيضا، على أساس القول بالظاهر والباطن فكيف يأتي ابن رشد ليعمق هذا الأساس الذي يدبر الخليفة لإلغائه ؟[46]

---

45) انظر كتوضيح لموقف ابن رشد هذا في بحث د. علي أومليل : السلطة السياسية والسلطة العلمية : الغزالي، ابن تومرت، ابن رشد، ضمن أعمال ندوة أبي حامد الغزالي. منشورات كلية الآداب بالرباط ط 1، 1988. ص 11 ـ 31.

46) ان القاضي أبا بكر بن العربي الذي انتقد جمود الفقهاء ودعا للرجوع إلى الأصول بما ينسجم مع توجهات الدعوة الموحدية، قد اضطر لنقد الموقف الصوفي لشيخه الغزالي لأنه رأى فيه التقاء موضوعيا مع منطق الباطنية الاسماعيلية والاشراقية القائم على القول بالظاهر والباطن المودي إلى إلغاء الشريعة والاغراق في التأويلات الرمزية المعمقة للخلاف، والجدير بالذكر أن ابن العربي قد اتهم الشراح بتشويه الحكمة الأرسطية، إلا أن هذا ليس مبررا عنده لإلغاء الفوارق بينها وبين الشريعة خاصة وقد أصبحت هذه الحكمة المائدة التي تتغذى عليها الاتجاهات الباطنية منذ «إخوان الصفا»... انظر بحثنا : البعد السياسي في نقد ابن العربي لتصوف الغزالي، ضمن «أعمال ندوة الغزالي» المشار إليها سابقا.

لقد كان الدافع للخليفة المأمون العباسي وراء الاطلاع على «الحكمة» وإنشاء بيت لها في الإسلام التسلح بمنطق تلك الحكمة لضرب الخصم السياسي والفكري المتمثل في الحركات الغنوصية وما التبس بها من مذاهب فارسية مانوية وغيرها. وكان تقريبه للمعتزلة يدخل في هذا التعاون بين رجل الفكر ورجل السياسة لدفع هذا الخطر المشترك المتمثل في أعداء ظلوا متميزين عن الأمة متربصين بها. في حين أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن كرجل سياسة، حينما قرب إليه رجل فكر متمثل في ابن رشد، فذلك تم لأجل تحقيق هدف آخر ودفع خطر لم يكن هذه المرة خطرا خارجيا ولا هو ات من فئة مجتمعية متميزة، بل هو خطر أصبح جسم الأمة يشكو منه داخليا، أنه خطر الانقسام الداخلي وتشتت آراء الملة الواحدة. فهل إلى إعادة جمع كلمة الأمة من سبيل ؟ وإذا كان القرآن والسنة أساس جمع هذه الكلمة فهل في الحكمة ما يساعد على إدراك ذلك ويعجل بتحقيقه ؟ يبدو أن الخليفة المنصور لم ير في أعمال ابن رشد الا استئنافا لذلك التأويل وإغراقا في الرأي وتعميقا للخلاف الواجب رفعه وعرقلة للوحدة المنشودة، خاصة وقد دفع ابن رشد، رغما عنه إلى مواجهة المتكلمين بخطاب جدلي من جنس الخطاب الكلامي، ظهر واضحا في «تهافت التهافت» وفي «الكشف عن مناهج الأدلة» فبدا ابن رشد وكأنه يعمق الخلاف ولا يساهم في رفعه، وحيث أن هذا يبدو وكأنه يسير في اتجاه معاكس لمشروع الخلافة الموحدية فقد استوجب من الخليفة المنصور أن يوقف تشجيعه لابن رشد ويمارس سلطته السياسية فينفيه بعيدا عن مركز الخلافة، وذلك من هذا الخليفة، أضعف موقف، هو على كل حال هين إذا قورن بموقفه من الفقهاء الذين أراد محو مذهبهم بالمرة، وقد عاشوا عليه لعدة قرون، ورام تخويفهم، بل وأمر بإحراق كتبهم وذلك ما لم يقع بالنسبة لابن رشد !

☆ ☆ ☆

6. 1 ـ تلك خطوط عريضة لرؤية تهدف إلى فهم مقبول لمشكلة العلاقة بين ابن رشد وطبيعة التوجّهات الثقافية في الغرب الإسلامي على عهد الدولة الموحدية، وهي تدل من جهة أخرى على مبلغ الدور الذي لعبه الخلفاء الأوائل في هذه الدولة في توجيه ذلك المضمون الثقافي، فقها كان أو فلسفة.[47]

47) انظر نماذج من تدخل المنصور في توجيه الحياة اليومية العامة والخاصة في بحث الأستاذ محمد زنيبر، حفريات عن شخصية يعقوب المنصور، مجلة كلية الآداب بالرباط عدد 9، 1982.

وإذا كان من برهان آخر يدل على صدق هذه الرؤية المقدمة فذلك يتمثل في مراجعتنا لما قيل عن طبيعة العلاقة بين ابن رشد وبين تلميذه ابن طملوس وعن طبيعة موقف هذا الأخير من فلسفة أستاذه : ذلك أن المثير للانتباه في مقدمة ابن طملوس لكتابه «المدخل» خروجه الصريح عن مواقف أساسية ثابتة في فلسفة ابن رشد، وهو خروج يمكن القول أنه تم لصالح أطروحات فكرية موحدية تبنتها الدولة منذ اليوم الأول لتأسيسها، ونقصد بهذا ذلك الموقف المتعاطف الذي أبداه ابن طملوس من الغزالي ثم من الأشاعرة ومن دعاتهم في الغرب الإسلامي ثم موقفه من علم الكلام : ولسنا في حاجة إلى التأكيد على «رمز الغزالي» في الدولة الموحدية كما أن نقد المنصور ضد فقهاء الفروع لم ينل من قيمة الأشعرية رغم كونهم أصحاب التأويل والرأي وذلك اعتبارا لكون الأشاعرة في الغرب الإسلامي قد ساهموا هم أيضا بنقدهم ضد علم الفروع وتأكيدهم على العودة إلى الأصول، وقد سبق أن رأينا موقف القاضي ابن العربي في هذا الصدد...

6. 2 ـ وهكذا نجد ابن طملوس لا يخفي إعجابه بمواقف الغزالي الفكرية، مشيدا بنجاح طريقته في تقريب المنطق إلى إدراك الفقهاء المعارضين حتى «صانه الله عن ذلك (= الامتحان) بلطفه»[48] وهذا الكلام من ابن طملوس في حق الغزالي ما كان ليصدر عن ابن رشد الذي طالما نصح الأئمة والدولة بمنع كتب الغزالي التي يتهمها بنشر الكفر بين الجمهور من حيث كونها تنشر الجدل ومضمون العلم البرهاني بمنهاج جدلي «والداعي إلى الكفر كافر» على حد تعبيره،[49] وإذا كان ابن رشد قد تحير، كسلفه أبي بكر بن العربي أمام تعدد «وجوه» الغزالي واتجاهاته وتردده بين الأشعرية والصوفية والفلاسفة، ذاكرا ذلك في معرض التهكم والنقد، فإن ابن طملوس إذ يلاحظ نفس الأمر، لكنه يذكر ذلك في صيغة الإعجاب والتقدير، مبررا إياه برغبة الغزالي في الاطلاع على ملل ونحل عصره. وعلى حد تعبير ابن طملوس : إن الله قد أعطى للغزالي من بديع الحيلة «فإنه عاش جميع الأصناف وولج معهم الولوج الذي شاركهم به المشاركة التامة حتى صار إماما في كل صنف ورئيسا في كل مذهب»[50] بل وعلى عكس دعوة ابن رشد ضد ما اعتبره خلطا منهجيا في كتب الغزالي نجد ابن طملوس يشيد بكتب هذا الأخير وبما عرفت به «من جودة النظام والترتيب الذي لم

48) المدخل إلى الصناعة المنطق، ص 13.
49) فصل المقال، ص 29 ـ 30.
50) ابن طملوس، ص 13.

يروا (= الفقهاء) مثله قط في تأليف»[51] مؤكدا أن كتبه لا يرفضها إلا «من غلب عليه الجمود من غلاة المقلدين».[52] ثم إذا كان ابن رشد قد أشبع الأشعرية نقدا وحملهم وزر تحريف الشريعة ومسخ السنة، فإن ابن طملوس يبادر، بعكس ذلك، إلى الدفاع عنهم منتقدا من رماهم من فقهاء الفروع بالزندقة، فيقول مستنكرا ذلك : «فعد القوم (= الأشاعرة) الذين هم أهل السنة والناصرين لدين هذه الملة كفارا وزنادقة» ![53]

6. 3 ـ ومن جهة أخرى لابد من ملاحظة أن محنة كتب الغزالي مع الفقهاء كانت آخر نموذج للمحن التي سردها ابن طملوس من حيث تسلسلها الزمني وعبر تاريخ التشكل الثقافي في الغرب الإسلامي، الشيء الذي يعني التزاما منه بموقف سياسي، من حيث أنه لم يذكر من تلك المحن إلا ما انتسب إلى خصم الموحدين، وهم المرابطون أو من عرف قبل ذلك... ضاربا بذلك صفحا عن محنة ابن رشد أو محنة بعض الصوفية في عهد الخليفة المنصور (أبو مدين الغوث مثلا...)، وإذا كان ابن طملوس لا يذكر محنة ابن رشد فليس ذلك تقية منه أو مداراة للفقهاء[54] فقد رأيناه كيف أشبعهم نقدا، وفي تجريحه لفقهاء العصر المرابطي ما قد يحسبه الفقيه في العصر الموحدي تجريحا له أيضا، بحكم قرب العهد وبحكم التواصل المستمر وارتباط السند بين الفقهاء عبر زمن قصير كالذي يفصل بين فترة المرابطين والموحدين، وعليه فلا يفهم إضراب ابن طملوس عن ذكر أي مثال من المحن على عهد الخليفة المنصور الا باعتباره موقفا سياسيا يمثل مسايرة للخليفة نفسه ولسياسة دولته الموحدية :

ودليل ذلك أيضا أن ابن طملوس ما أن انتهى، بعد تعديد نماذج المحن، إلى كتب الغزالي على العهد المرابطي حتى انتقل إلى ذكر موقفه المواجه للفقهاء في عصره الموحدي، ناقدا موقفهم في سخرية واضحة ودون تقية أو مداراة، معتبرا غايته غاية مشروعة تطمح إلى الدعوة **لتعلم المنطق**، مستأنسا بعمل الغزالي الذي بين موافقة المنطق للشريعة واعتبره مدخلا لها وفي هذا دليل آخر على مسايرة ابن طملوس لمشروع الغزالي المعروف بهذا الصدد، كما أن موقفه ذلك يستند على مشروعية سياسية مادام لا يتوقع معارضة من طرف الخليفة المنصور، الأمر الذي شجعه على تحد موقف فقهاء الفروع من المنطق وتوجيه سهام النقد ضدهم كما مر بنا آنفا دون تورية ولا تقية.

51) ابن طملوس، ص 13.
52) نفسه.
53) ابن طملوس، ص 13 ـ 14
54) كما ظن ذلك أ. بلاثيوس وغيره. انظر مقدمته لكتاب ابن طملوس، ص 11.

6. 4 ـ ومعنى هذا من جهة أخرى أن عدم وضع موقف ابن طملوس في سياقه التاريخي الفكري هو الذي ألجأ أ.بلاثيوس إلى الإسراع بافتراض لجوء ابن طملوس لاصطناع أسلوب التقية وعدم إفصاحه عن تأييد فلسفة أستاذه. وبالإضافة إلى المبررات الموضوعية التاريخية التي قدمناها لدفع مثل هذا الافتراض، يجب أن ننبه أيضا إلى أن ابن طملوس قد برز كخليفة لأستاذه في البلاط الموحدي بعد أن أعيد الاعتبار لابن رشد. وإذا كان هذا الأخير قد عاجلته المنية ولم يتمكن من العودة لاستئناف الكتابة بعد أن أعيد له اعتباره لدى الخليفة الموحدي، فلماذا لم ينهج ابن طملوس نهجه فيخوض في الكتابات الفلسفية الإلهية على الطريقة الرشدية خاصة وقد أعيد الاعتبار لأستاذه ولفلسفته، وقد عاش بعده خمسا وعشرين سنة ؟! وفي خلال هذه المدة الطويلة التي عاشها بعد ابن رشد كتب مؤلفه «المدخل لصناعة المنطق» وانتقد بقوة كما رأينا، مواقف الفقهاء من مختلف العلوم والمعارف الواردة عليهم كما انتقد موقف فقهاء عصره من المنطق.

وقد كان بإمكان ابن طملوس أن يلتمس أكثر من مبرر للإشارة ولو تلميحا إلى موقف ابن رشد وإلى تلك «الحكمة» التي كادت أن تفهم في كتاب «فصل المقال» وكأنها أخت الشريعة ورضيعتها... ورغم ذلك اختار ابن طملوس ألا يدافع، من بين فنون اليونان وحكمته عن غير فن يعتبر، من بينها جميعا صناعة. أنه المنطق الذي يجب اعتباره مجرد **صناعة وآلة** ومنهج إنساني «كمعيار للعلم» ومعلوم أن هذا هو جوهر موقف الغزالي من المنطق وعلى حد قول ابن طملوس فإن الكتب المنطقية لم يجد «فيها شيئا ينكر في الشرع، بل وجدتها ـ كما يقول ـ إنما تعطي قوانين في المعاني التي يستعملها الناس في أصناف المخاطبات...»[55] بل ان بيان ابن طملوس لفائدة هذه «الصناعة» يكاد يكون مستوحى من مقدمة «المستصفى» للغزالي ما دام هو يؤكد كالغزالي أنه «لا يمكن أن يكتب في علم من العلوم على وجه الصواب، ان لم يكن لها (= صناعة المنطق) فيه مدخل، وأن كل من كتب كتابا مهذبا محكما... إنما كتبه بما عنده من هذه الصناعة».[56]

6. 5 ـ وقد تحير أ. بلاثيوس من كون ابن طملوس يعترف بأنه منذ عزم على تعلم المنطق لم يجد أمامه سوى كتب الغزالي، حتى يفهم «الأورغانون»، وإذاً أين كانت كتب ابن باجة وابن رشد في الموضوع ؟![57] ونعتقد من جهتنا أنه لا محل لهذا

55) ابن طملوس، ص 13 ـ 14.

56) ابن طملوس، ص 15.

57) مقدمة بلاثيوس لكتاب «المدخل»، ص 11.

التحير والاستغراب بعد الرجوع إلى كلام ابن طملوس ووضعه في سياقه الذي سبق تحليله. ذلك أن ابن طملوس يعترف في صراحة تامة أنه «لم يبق الآن من العلوم (الحكمية) المشهورة الاعلمان : أحدهما العلم الإلهي والآخر صناعة المنطق» ثم يلاحظ مباشرة أنه إذا كان «العلم الإلهي إنما يتكلم في الأمور التي يتكلم فيها العالم بأصول الدين أو هو المشهور **بالمتكلم عندنا؛ لكن الأصولي ربما ترك مسائل من العلم الإلهي** لم يتكلم فيها، **وربما زاد مسائل** من علم الطباع وتكلم فيها مثل كلامه في **الجزء الذي لا يتجزأ...** فيكون الأصولي على هذا الوجه والإلهي **واحدا** إذ كانا مشتركين في النظر في الإله وفي صفاته، وإنما يختلفان بالاسم. فيكون العلم الإلهي قد نظر فيه علماء الإسلام (= المتكلمون) **وأصابوا فيه أكثر من غيرهم...**[58] (= اليونان).

وهذا نص وصل فيه ابن طملوس إلى حد القطيعة مع ابن رشد والخروج عن ثابت من ثوابت فلسفته، ويكفي أن نذكر بأن علم الكلام الذي يصفه ابن طملوس بأن المسلمين أصابوا فيه أكثر من غيرهم، هذا العلم عند ابن رشد، خاصة في صورته الأشعرية، هو جرثومة الفساد في ملة الإسلام ! ولا يعزب عن بالنا نقد ابن رشد لنظرية الجزء الذي لا يتجزأ التي يعتبرها ابن طملوس في نصه زيادة وكمالا لا تراجعا ومنقصة. أن من رأي ابن طملوس وجوب انحلال «العلم الإلهي» الفلسفي إلى علم الكلام **وضرورة اندماجه فيه** بما يحقق الرؤية الإسلامية «السنية» حول المواضيع الإلهية، الشيء الذي جعله يستشعر قرب تحقق ذلك مما استوجب ملاحظة أنه «لم يبق علم لم يتداوله علماء الإسلام حتى تكثر التآليف فيه... إلا صناعة المنطق، فأني رأيتها مرفوضة عندهم[59] مطروحة لديهم لا يحفل بها ولا يلتفت إليها وزيادة إلى هذا أن أهل زماننا ينفرون عنها وينفرون، ويرمون العالم بها بالبدعة والزندقة».[60]

6. 6 ـ وفي ضوء هذا الموقف فإن ابن طملوس **يريد أن يحقق على مستوى المنطق ما تحقق على مستوى الكلام وأشاد به،** أن عدم إشارته إلى كتب ابن باجة وابن رشد المنطقية راجع إلى كونها كتبا ظلت منعزلة عن الثقافة الإسلامية ولم تتطعم هذه الثقافة بها إذ ظل المنطق لدى الفلاسفة علما يونانيا خالصا

58) ابن طملوس، ص 7 ـ 8.

59) أي عند المسلمين الذين أدمجوا «العلم الإلهي» في علم الكلام، وبقي عليهم أن يدمجوا أيضا صناعة المنطق في علومهم...

60) ابن طملوس، ص 8.

لم يندمج ضمن الثقافة الإسلامية، في حين أن الواجب هو تحقيق ذلك التطعيم الذي تحقق في رأيه على مستوى علم الكلام. وإذا أمكننا القول سابقا أن مشروع ابن رشد هو نفسه مشروع الدولة الموحدية والخليفة المنصور (القائم على الرجوع إلى الأصول المتفقة) ألا يمكننا أن نضيف أن موقف ابن طملوس كان أكثر وفاء بذلك المشروع حينما دعا هو الآخر إلى **الاتصال** ليس بين الشريعة وبين الجانب الإلهي من الحكمة الذي لن يعمل إلا على تعميق هوة الخلاف وتوسيع دائرة التأويل، ولكن الاتصال بين الشريعة وبين الجانب المنطقي (المنهجي) من الحكمة الذي وحده يضمن ضبط القول الشرعي ؟ وهذا بعينه كما نعلم هو مشروع الغزالي، وهو المشروع الذي أن عارضه فقهاء الأندلس فلا يمكن أن يكون من حيث العمق الا مسايرا لاتجاه الخليفة الداعي إلى الرجوع إلى الأصول بما يحقق اتفاقها واتصالها.

ومعنى هذا أيضا أنه إذا كان للقدماء ما يبرر رفضهم لبعض مفاهيم العلم الإلهي فإنهم غير محقين في رفضهم للمنطق لأنه برأي ابن طملوس بريء من نقائص ذلك العلم. من ثم وجب تحقيق هذا **الادماج بين المنطق والثقافة الإسلامية** مثلما وقع نسخ العلم الإلهي بعلم الكلام وهذا هو السبب في إشادة ابن طملوس بمشروع الغزالي الكبير الرامي إلى «أسلمة» المنطق اليوناني واعتباره مدخلا لكل علم في الإسلام، وقد رأينا دفاع ابن طملوس عن **شرعية** المنطق بما يشبه أن يكون كلام الغزالي عن فائدة المنطق في مقدمة «المستصفى» وهو مؤلف في الأصول وفي جوهر علوم الإسلام، وذلك هو مطمح ابن طملوس وهو مطمح «غزالي» يؤكد فيه على الاتصال بين الفقه والمنطق ويرفض الانفصال بينهما.

ولا شك أننا نتحرك هنا في مجال غزالي واضح من حيث أن ابن طملوس يرمي أولا إلى الفصل بين مضمون الحكمة اليونانية وبين المنطق كصناعة إنسانية، ومن حيث أنه لأجل ذلك يجعل هذه الصناعة مدخلا ضروريا للشريعة، بل ومدخلا لأهم علومها، علم أصول الفقه، وتلك هي **الصورة الممكنة لاتصال الحكمة بالشريعة** في رأي الغزالي وفي مشروع ابن طملوس أيضا، ولم لا نقول إنها كذلك في رأي الخليفة المنصور الذي رفع شعار الرجوع إلى أصول الشريعة وإحكام النظر فيها ؟ وليس كعلم أصول الفقه المطعم بصناعة المنطق علما يصلح لفهم تلك الأصول وضبط القول فيها وتأسيس الاجتهاد عليها.

☆ ☆ ☆

7. 1 ـ تلك ملاحظات حول مشكلة المضمون الثقافي في الغرب الإسلامي عند أوج عطائه في القرن السادس للهجرة، وهو كما لاحظنا مضمون لم يخل عبر مراحل نموه وتشكله من صراع وجدل، ومن تداخل عناصر فكرية وظروف تاريخية سياسية. وإذا كنا قد انطلقنا لتحديد ذلك المضمون من نص ابن طملوس فلكونه انفرد عن غيره بإبراز طابعي التحول والتراكم في التشكل الثقافي للغرب الإسلامي، ولكونه هو ذاته، كضرب من ضروب الفكر الفلسفي، كان دليلا على ذلك التحول الذي عرفه الفكر المغربي في ارتباطه بالواقع السياسي والاجتماعي وترديده لصداه على عهد الدولة الموحدية خاصة.

غير أن ما يثير الانتباه كون المشروع الموحدي القائم على نقد فقهاء الفروع والدعوة إلى الاكتفاء بالأصول وإعطاء الأولوية للجانب العملي والقدرة الأفضل على التكيف ثم توجيه الاهتمام إلى فكرتي الجهاد والتوحيد، هذا المشروع بعناصره هذه سوف يساهم شيئا فشيئا في فتح المجال لتبلور اتجاه فكري آخر تمثل في التيار الصوفي الذي ظهر في المغرب الأقصى خاصة، كاتجاه متميز عن الفقهاء والفلاسفة، ويغلب عليه البعد الأخلاقي والسياسي. ومعلوم أن الخليفة المنصور نفسه قد صار يولي هذا الاتجاه بعض الأهمية[61] غير أن ظروفا موضوعية هي التي ستفرزه كتيار بدأ يحتل الصدارة ويساهم في صبغ المضمون الثقافي للمغرب خاصة بصبغة متميزة.

7. 2 ـ وإلى حين أن تسمح الفرصة لبسط الرأي حول موقع هذا التصوف في الفكر المغربي نكتفي بالإشارة إلى تلك الظاهرة المثيرة للانتباه والمتمثلة في تلك العلاقة الجدلية بين هزيمة معركة العقاب وبين ظهور نشاط صوفي مغربي متميز سينهج، على المستوى الفكري نهجا قريبا من المشروع الموحدي حينما سيعمل قدر الامكان على تخليص الفكر الصوفي من المسار التقليدي الذي طغى عليه والمتمثل في النزعة الاشراقية التي علقت به سواء في صورته المشرقية أو الأندلسية. كما سيساهم على المستوى الاجتماعي والسياسي خاصة بعد معركة العقاب في دفع الخطر الخارجي الذي بدا وكأن الدولة الموحدية في دور ضعفها لم تعد قادرة على مواجهته، فطغى من ثم على التصوف المغربي البعد العملي واتجه أقطابه (ابن مشيش، الشاذلي، أبو محمد صالح...) إلى تعميق قيمة الجهاد بين أتباعه واعلاء فضيلة «الرباط» على الثغور والسواحل...

61) انظر كدليل على ذلك مقالة الأستاذ محمد زنيبر حفريات عن شخصية يعقوب المنصور مرجع سبقت الإشارة إليه.

والملاحظ أننا نجد في هذا الفكر الصوفي المغربي على عهد دولة الموحدين تكريسا لمفاهيم تكاد ترجع في جوهرها، إلى المشروع الموحدي القديم الذي نوهنا به، حيث لم يؤكد ذلك التصوف في هذا العهد على شيء قدر ما أكد على وجوب التمسك بأصول الشريعة ورفض ادعاءات الإشراقيين مشارقة وأندلسيين، بوجود تعارض بين الظاهر والباطن. ثم نقده لفقهاء الفروغ والدعوة إلى أولوية الجهاد والرباط والاهتمام بالبعد الاجتماعي. إضافة إلى تشبع هذا التصوف بمفهوم الوحدة الذي سيمكنه من أن يصبح المجال الذي سيبرز بفضله المضمون الثقافي المغربي في طور تكونه الأخير كمضمون نابع من بيئة وظروف مغربية، سيتسع مع ذلك ليشمل بنفوذه المشرق أيضا،[62] حيث ستساعد ظروف مشابهة بالمشرق على أن يضطلع بعض صوفية مغرب ما بعد معركة العقاب (الشاذلي مثلا) بدور ريادي في «قلب الدنيا» (= مصر) كما وصفها ابن خلدون، ومنها إلى باقي المشرق. وبذلك أصبح الغرب الإسلامي، لأول مرة، صاحب مبادرة في التأثير في المشرق بعد أن أخذ عليه أنه اكتفى بمجرد التقبل والتأثر. وكان التصوف أبرز العناصر التي وسعت من مجال المضمون الثقافي المغربي وعمقت تأثيره سواء نحو أقطار الشمال الافريقي أو نحو إفريقيا السوداء جنوب الصحراء.

7. 3 ـ وإذا كان هذا الاتجاه الصوفي المغربي، لظروف تاريخية معلومة سيعرف استمرارية تاريخية كما ستتوالى عليه تطورات مختلفة، وحتى حينما قرر المغاربة أوائل فترتنا المعاصرة، التحرر مما تولد عن استغلال هذا الفكر الصوفي وضرورة فتح أبواب المغرب لتهب عليه من جديد رياح المشرق فإن مفهوم «السلفية» الذي أتى مع تلك الرياح المشرقية لم يكن، مرة أخرى، ليترك أثرا على المغرب إلا بما سبق لهذا الأخير أن تلقى به قديما تراث المشرق، أنه التوظيف العملي للمضمون الفكري، فأصبحت السلفية في صورتها المغربية ليست بحثا نظريا ولا محض كلام في العقائد ولا «رسالة في التوحيد» ولا خوضا في حوار مع «المخالفين» بقدر ما أصبحت سلفية سياسية ـ وطنية تستمد مشروعها العملي هذا من تلك الوحدة الاجتماعية ومن ذلك «الأجماع» الفكري الذي أكد عليه فقهاء الفروع كما أكد عليه ـ ولو من منظور آخر ـ الخليفة المصنور نفسه.

---

62) حول مركزية مفهوم الوحدة في الفكر المغربي، انظر الأستاذ محمد القبلي، ملاحظات حول التجارب الوحدوية الوسيطية ببلاد المغرب الكبير. مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 9 1982 ـ خاصة ص 21 ـ 22.

وبـذلـك يتبين أن المغرب حينمـا فتـح أبـوابــه على المشرق في القرون الأولى استهوتـه الفروع الفقهيـة ذات **الطـابـع العملي**. وحينمـا عـاد المغرب ليتخـذ مبـادرة التأثير في المشرق لم يؤثر فيه **إلا ببعـده العملي** الصوفي الأخلاقي. ثم عنـدمـا عـاد في العصر الحديث يتأثر بالمشرق لم يأخذ من سلفيته الا ما يحقق رغبته **العملية** في إعادة الوحدة الاجتماعية المفقودة، هاته الوحـدة التي بقـدر مـا اعتزّ بهـا فقهـاء الغرب الإسلامي قديما وأكدها المشروع الموحدي أصبحت عند السلفية ـ الوطنية مطمحا يعز وجوده في المشرق ويسهل إعادة تحقيقه في المغرب فكريا وعمليا سياسيا...

ولا يسعني في الأخير إلا أن أعترف بأني حاولت أن أكبح نفسي قـدر الامكـان عن تقديم تأويلات سريعة وقطعيـة، وفضلت أن يكون هـذا البحث يغلب عليـه طـابع السرد والتنظيم للمـادة قــاصــدا فحسب تقريب مشكـل المضمـون الثقــافي في الغرب الإسلامي إلى الأذهان. وأظن أنه مشكل في حاجة إلى إعادة تقويم وتركيب وتـأسيس انطلاقا من مصادر ونصوص أصلية ومن ظروفها الفكريـة والتـاريخيـة. وفي هـذا دعوة لكل المغاربة، فلاسفة ومؤرخين وأدباء، للمساهمة من جديد في عملية التقويم والنقـد للمضمون الثقافي القديم. وتلك خطوة ضرورية لنقد المضمون الحـاضر كـذلـك وتسطير ملامح المضمون المرغوب فيه مستقبلا.

المصـــادر

- أمين، (أحمد) **ظهر الإسلام**، جـ 3، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 5، 1969.
- ابن خلدون (عبد الرحمن) : **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 3، 1967.
- بالنثيـا، (أ.غ). : **تـاريخ الكفر الأنـدلسي**، ترجمـة حسين مؤنس، مكتبـة النهضـة المصرية، ط 1، 1955.
- ابن رشد، (أبو الوليد محمد) : **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائـد الملـة** طبع مع **فصل المقال** دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1978.
- رضا، (محمد رشيد) : **تـاريخ الأستـاذ الإمـام**. مطبعـة المنـار، القـاهرة، الطبعة الأولى.
- الشاطبي، (أبو إسحاق موسى) : **الاعتصام**، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى.
- الصعيدي، (عبد المتعالي) : **المجـددون في الإسلام**. مكتبـة دار الآداب، القـاهرة ط 2، 1962.

- ابن طملوس، (أبو الحجاج يوسف) : **المدخل لصناعة المنطق**. نشرة أ. بلاثيوس، مدريد 1916.
- ابن العربي، (القاضي أبو بكر) : **العواصم من القواصم**. تحقيق ودراسة عمار الطالبي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت.
- ابن العربي، (القاضي أبو بكر) : **أحكام القرآن**، القاهرة 1967.
- المراكشي، (عبد الواحد) : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، القاهرة 1949.
- المقدسي : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، نشرة دو خوجه، ط 2 جـ أبريل 1906 طبع بالأوفسيط، مكتبة خياط، بيروت، د.ت.
- النجار، (عبد المجيد) : **المهدي بن تومرت**. دار الغرب الإسلامي، بيروت ط 1، 1983.

PALENCIA, (A. G). **Rectification de la mente de ABUSALT de DANIA,** madrid, 1915

مجلات ودوريات

- **أعمال ندوة ابن رشد**، كلية الآداب بالرباط ط 1 1979.
- **أعمال ندوة أبي حامد الغزالي**، كلية الآداب بالرباط ط 1 1988.
- **«مجلة كلية الآداب»**، الرباط، عدد 9 1982.

المشكلات التي يعاني منها المعوقون حركيا
(في محافظة أربد بالأردن)

هاني الربضي
جامعة اليرموك ـ الأردن

مشكلة البحث :

يشهد المجتمع الأردني انتفاضة كبيرة على كافة الأصعدة العلمية والتكنولوجية والرياضية، ومن بين تلك الانتفاضات الاهتمام بموضوع المعاقين الذي بات من المشكلات المعاصرة التي توليها الدولة اهتماما كبيرا، إذ تعدّ البرامج وتؤسس المراكز لتعليمهم وتأهيلهم مهنيا وحركيا واجتماعيا، والمعاقون هم فئة من الناس تعاني عجزا بدنيا أو عقليا قد أجبرت أن تبقى بعيدة عن المجتمع بسبب الحواجز الاجتماعية سواء كانت من الأسرة نفسها أو من المجتمع أو بنظرة الفرد لذاته، وقد أشار كل من بالاوزقلير (Balla et Zigler, 1975) وسروف (Sroufe, 1983) إلى أن المعاق يشعر بعدم الأمان مع الأهل في المرحلة الأولى من العمر، كما أن الحرمان الاجتماعي قد يؤدى بالطفل إلى عدم قدرته على بناء معرفة وصداقة مع الأشخاص الغرباء. كما أن عدم الشعور بالأمان والحرمان يترك تأثيرا كبيرا على الطفل عندما يتقدم به السن، وقد أكد آبير والين (Aber et Allen, 1987) بأن المشاكل التي تواجه الطفل المعوق في مختلف مراحل العمر خاصة المرحلة المتأخرة من الطفولة تكون نتيجة لعدم توفير الأهل للأمن الكافي الذي ينبغي أن يستشعره الطفل ليستطيع الانطلاق منه للحياة ومشاركة المجتمع بطريقة إيجابية. وتذكر تهاني عبد السلام (1973) أن بيئة الطفل في باكورة حياته لا تخرج عن الأسرة فإنها تلعب دورا رئيسيا في تكوين شخصيته وتحديد مستويات أدائه في مجالات الحياة المختلفة. وأشارت نتائج دراسة فيرنج، وفوكس، وجاسكر، ولويس (Feiring, Fox, Jaskir, et Lewis, 1987) إلى أن طريقة الدعم والمساندة من قبل الأهل والأقارب والأصدقاء يمكن أن تخفف من الضغط على

الأم بالبيت وبالتالي تتغير طريقة التعامل مع الطفل المعاق نحو الأفضل، كما أشار قلمان (Geliman, 1959) في مقالة «جذور التعصب نحو المعوقين» بأن النظرة إلى المعوق على أنه إنسان مستهلك تضعه في زاوية منسية في المجتمع الذي يعيش فيه في الوقت نفسه. كما أكد فانبرج (Feinberg, 1967) أن معظم اتجاهات المجتمع نحو المعوقين حركيا تكون إيجابية على مستوى المجاملة ولا تتجاوز القول إلى الفعل، وتعبر هذه الظاهرة عن رغبة اجتماعية في المجاملة. وأشار أيضا إلى أن النظرة إلى المعاقين حركيا تختلف باختلاف سبب الاعاقة، وأكد ذلك أيضا كل من شوركا وكاتز (Shurka et Datz, 1976) إلى أن معوقي الحرب لهم احترام واستجابة إيجابية أكثر من غيرهم من المعوقين لأسباب أخرى.

أشار أحمد كمال (1978) إلى أنه لكي يتم بناء توازن اجتماعي إيجابي للمعاقين لابد من دراسة وتفهم سلوك الفرد وعلاقته الاجتماعية من خلال أسرته ومجتمعه حتى تحصل على كفاءات مختلفة، وتؤكد تلك المقولة بأن فرانكلين روزفلت كان مشلولا وبتهوفن أصما ومليتن وطه حسين ضريرين، كما أن فزكاردي جويز ولد معاقا في الأطراف السفلى ولكن الاهتمام به جعل منه رئيسا لمركز المورد الإنساني في البرتون بنيويورك.

وبنظرة الباحث إلى الإحصائيات الموجودة في الأردن لمختلف الاعاقات وحصرها، فقد وجد الباحث أن الاعاقة الجسدية وهي محور الاهتمام في تلك الدراسة تشكل حوالي ثلث مجموع المعاقين في الضفة الشرقية، وبلغت نسبتها في محافظة أربد خلال عام 1983 حوالي (32,9 ٪) من المجموع الكلي ما بين ذكور وإناث وهي نسبة لا يستهان بها بمقارنتها بمختلف الاعاقات في مختلف ألوية المملكة.

ويشير الباحث أيضا من خلال خبرته وعمله مع المعاقين إلى أن الاتجاهات نحوهم تعتبر ظاهرة معقدة تثير المشاكل ويكون السبب الرئيسي فيها الأسرة ومن ثم المجتمع المحيط وهي تعتبر أشد خطورة من درجة العوق نفسها.

لذا فالبحث القائم محاولة للتعرف على المشاكل التي يعاني منها المعاقون حركيا بمحافظة أربد والمفرق حتى نتمكن فيما بعد من وضع الحلول المناسبة لتلك المشاكل لنواكب الدول المتقدمة والاستفادة من المعاقين في مختلف المجالات منتجين وليسوا مستهلكين فحسب.

أهداف البحث :

يعد هذا البحث دراسة كشفية للتعرف على المشاكل التي يعاني منها المعاقون حركيا في محافظة أربد والمفرق بالمملكة الأردنية الهاشمية وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية :

- هل توجد فروق في مشكلات المعاقين حسب الجنس.
- هل توجد فروق في مشكلات المعاقين حسب السن.
- هل توجد فروق في مشكلات المعاقين حسب المستوى التعليمي.
- هل توجد فروق في مشكلات المعاقين حسب مستوى الدخل.
- هل توجد فروق في مشكلات المعاقين حسب مكان الاقامة.

إجراءات البحث :

عينة البحث : تم اختيار عينة البحث من المعوقين حركيا والمقيمين بمراكز المعاقين في كل من أربد والمفرق والتي تتراوح أعمارهم ما بين 6 ـ 18 سنة بواسطة استخدام العينة العشوائية، وبلغ حجم العينة للدراسة (71) واحد وسبعين معاقا حركيا حيث كان عدد الإناث منهم (23) معاقة وعدد الذكور (49) معاقا.

أداة البحث : قام الباحث بتصميم استمارة خاصة لجمع البيانات من الأفراد المعاقين حركيا وقد اشتملت الاستمارة على واحد وخمسين سؤالا لتغطية الأبعاد الثلاثة التالية :

البعد الأول : يشتمل على المشاكل التي يعاني منها المعاقون حركيا والمشار إليها في الاستمارة من سؤال 1 ـ 11.

البعد الثاني : تمثل أسئلته من سؤال 12 ـ 27 المشاكل نحو الفرد وأسرته.

البعد الثالث : يشتمل على الأسئلة المتبقية من 28 ـ 51 الخاصة بالمشاكل نحو الفرد والمجتمع.

وقد راعى الباحث في وضع الأسئلة ما يلي :

1 ـ أن تكون الاستجابة تبعا للمقياس الذي اتبعه الخليلي في بحثه الاتجاهات نحو الفيزياء بنيتها وقياسها (الخليلي 1987) وهي على النحو التالي :

أعاني دائما - 5 درجات.
أعاني غالبا - 4 درجات.
أعاني أحيانا - 3 درجات.
أعاني نادرا - درجتان.
لا أعاني بتاتا - درجة واحدة.

2 - تم تحديد محاور الدراسة تبعا لما أظهرته الدراسات النظرية المشابهة.

3 - تم عرض الاستمارة على عدد من الخبراء ذوي الاختصاص في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية وذلك للتأكد من صلاحيتها وملاءمتها للمحاور المحددة للدراسة وبعد إجراء التعديلات اللازمة على أسئلة الاستمارة فقد تم وضعها بالصيغة النهائية حيث شملت خمسة أسئلة رئيسية وثلاثة متغيرات فرعية اتبعت فيها وتتعلق بكل سؤال على حدة من أسئلة الدراسة.
المحور الأول كما هو موضح بالمرفق رقم (1) ويشمل على الأسئلة من (1 - 11) يتعلق بالعلاقة بين الفرد وذاته. الثاني ويشتمل على الأسئلة من (12 - 27) ويتعلق بالعلاقة بين الفرد وأسرته في المحور الثاني ويشتمل على الأسئلة من (28 - 51) ويتعلق بالعلاقة بين الفرد المعوق والمجتمع.

4 - قد تم اختبار صلاحية الاستمارة على فئة من المعاقين حركيا وأعيد تدقيقها بعد أسبوع آخر من الاختبار الأول لإجراء معاملات الثبات، كما تم أيضا إيجاد الصدق الذاتي للاستمارة.

5 - وقد تم تحليل البيانات عن طريق استخدام وسيلتين إحصائيتين :
أولا : تم إيجاد الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» لكل متغير من متغيرات الدراسة.
ثانيا : تم إجراء تحليل التباين المتعدد لكل متغير مستقل من متغيرات الدراسة.

منهج البحث :

تم استخدام المنهج المسحي لجمع البيانات من قبل الباحث خلال الفترة الواقعة ما بين 11/1 - 1987/11/16 م.

تحليل النتائج ومناقشتها :

استخدم الباحث تحليل التباين المتعدد لكل متغير مستقل من متغيرات الدراسة : (الجنس ـ العمر ـ المستوى التعليمي ـ مستوى الدخل ـ مكان الاقامة) حيث أن المتغيرات التابتة هي المشكلات في ذات الفرد، والمشكلات المتعلقة بالأسرة، والمشكلات المتعلقة بالمجتمع، وكذلك تم استخراج قيمة «ت» وكانت نتائج تحليل التباين المتعدد ذات دلالة إحصائية، ولذلك أجرى تحليل التباين الأحادي على كل متغير من المتغيرات التابعة، ولكل متغير مستقل بمستويين وفيما يلي عرض النتائج حسب تسلسل الأسئلة الواردة في الدراسة :

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول :

جدول رقم (1)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) للمعاقين حركيا من العينة للمشكلات التي يعاني منها المعاقين حسب الجنس

المتغير	الإناث ـ العدد / 23		الذكور ـ العدد / 48		المجموع ـ العدد / 71		قيمة «ت»
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	
الفرد وذاته	32,44	10,01	26,15	10,50	28,18	10,70	2,44 –
الفرد والأسرة . . .	38,48	10,57	40,08	12,22	33,47	11,87	0,45 +
الفرد والمجتمع . .	84,26	31,83	77,40	26,02	79,66	28,02	0,96 –
مجموع العينة . . .	162,14	38,64	136,02	37,40	144,09	39,42	1,17 –

نلاحظ من الجدول رقم (1) أن المتوسطات الحسابية لجميع المتغيرات (ما عدا الفرد والأسرة حيث لا يوجد فرق ذو دلالة من عينة البحث سواء الفرد نحو ذاته، أو الفرد نحو المجتمع، أو نحو جميع المتغيرات مجتمعة معا) كانت عند الإناث وعددهم (23) أعلى منها عند الذكور وعددهم (48) حيث بلغت المتوسطات الحسابية لعينة البحث عند الإناث 32,44، 84,26، 162,14 على التوالي بينما بلغت المتوسطات الحسابية لدى الذكور 26,15، 77,40، 136,02 كما بالجدول أعلاه وكانت قيمة «ت» ـ 2,44، ـ 0,96، 1,17 على التوالي.

ومن ذلك يستنتج الباحث أن المشكلات التي تعاني منها الإناث من المعاقين حركيا أقل من المشكلات التي يعاني منها الذكور من المعاقين حركيا، وبعبارة أخرى

فإن علاقة الفرد من الإناث مع ذاتها وأسرتها والمجتمع أفضل مستوى من علاقة الفرد من الذكور مع ذاته وأسرته والمجتمع الذي يعيش فيه، وقد يرجع ذلك إلى أن الأسرة الأردنية لها عاداتها الشرقية مثل الخوف على الفتاة ـ عامل النسب ـ الخوف من تشوهة السمعة موجود إعاقة لدى الفتاة وغيرها الكثير من العوامل والتي لا تعطي الفرصة للفتاة بالخروج خارج البيت، وأما بالنسبة للذكور فإن فرصهم أفضل في الذهاب خارج البيت والتعرض للكثير من المشاكل وتسبب لهم كثيرا من المشاكل والاساءات التي تنشأ نتيجة الاحتكاك مع الناس خارج نطاق البيت. لذلك وجد الباحث مستوى المشاكل التي تتعرض لها الفتاة قليلة بسبب وجودها في البيت وعدم تعرضها لانتقادات الناس خارج البيت.

جدول رقم (2)

تحليل التباين متعدد المتغيرات لمشكلات المعاقين حركيا حسب الجنس

المتغير	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	قيمة «ف»	الدلالة الإحصائية
الفرد وذاته	902,54	902,54	10,31	* 0,01
الفرد والأسرة	338,72	338,72	2,46	0,12
الفرد والمجتمع	2608,31	2608,31	4,01	* 0,04
مجموع العينة	9903,92	9903,92	6,94	* 0,01

* دال إحصائيا (0,05).
* درجات الحرية (1,66).

نلاحظ من الجدول رقم (2) أن تحليل التباين للمشكلات التي يعاني منها الفرد مع ذاته والفرد مع المجتمع أظهر بأن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية حيث كانت قيمة الدلالة الإحصائية 0,01، 0,04 على التوالي والتي تعتبر أقل من مستوى الدلالة الإحصائية (0,05). وعليه فإن السؤال الأول المتعلق في هل يوجد فروق في مشكلات المعاقين حسب الجنس، فهو سؤال صادق من حيث كل من المتغيرين الفرعيين اللذين يمثلان مستوى الفرد مع ذاته ومستوى الفرد مع المجتمع. وقد يرجع سبب المشاكل بين الفرد وذاته نتيجة حالة العوق الذي يعاني منها الفرد نفسه مما يؤدى إلى سلوك عدواني وهذا السلوك يتناسب طرديا مع درجة العوق فكلما كانت درجة العوق شديدة

كلما زادت درجة السلوك العدواني وهو أسلوب تعويضي لإثبات الذات، وهذه الدراسة تتفق مع نتائج دراسة كل من بالا وزقلير (Balla et Zigler, 1975).

وأظهرت كذلك النتائج بأن علاقة الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه كانت ضعيفة ويعزى ذلك اما لاختلاف الظروف البيئية أو لاختلاف درجة وشدة العوق أو لاختلاف اتجاهات الأسوياء نحوهم في المجتمع، وكل ذلك يؤدى إلى الشعور الزائد بالنقص، وعدم الشعور بالأمن وعدم الاتزان الانفعالي وجميع تلك العوامل تؤدي بالتالي إلى ضعف علاقات المعاق الاجتماعية، وتتمشى مع نتائج دراسة سروف (1983 Sroufe,).

وأما بالنسبة للمتغير الفرعي (الفرد والأسرة) من نفس السؤال الأول الرئيسي فقد أشارت الدلالة الإحصائية (0,12) لدرجات حرية (16,6) حيث تعتبر أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية (0,05). وهذا مؤشر على أن المشكلات بين الفرد وأسرته لا تعتبر ذات فروق جوهرية، وبالتالي فإن المتغير الفرعي من السؤال الأول يعتبر غير صادق. يستنتج الباحث وجود علاقة إيجابية بين الفرد وأسرته ويعزى ذلك إلى احتمال الحالة التعليمية للوالدين داخل الأسرة الواحدة وكذلك تأتي نتيجة عدم تغير الأهل معاملتهم لأبنائهم المعوقين عن أبنائهم الأسوياء حتى لا يتولد لديهم الشعور بعدم الأمن والشعور الزائد بالنقص. وقد اتفقت تلك النتائج مع نتائج عينة فيرنج، وفوكس، وجاسكر، ولويس (Feiring, Fox, Jaskir, et Lewis 1987).

جدول رقم (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة «ت» للمعاقين حركيا من العينة للمشكلات التي يعاني منها المعاقون حسب العمر

المتغير	6 ـ 12 / العدد ـ 38		12 ـ 18 / العدد ـ 33		مجموع العينة / عدد 71		قيمة «ت»
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	
الفرد وذاته	31,55	9,05	24,28	11,40	28,22	10,75	2,97
الفرد والأسرة . . .	41,07	10,85	35,75	15,12	38,68	13,16	1,94
الفرد والمجتمع . .	82,64	23,50	75,40	32,49	79,28	28,05	1,91
مجموع العينة . . .	157,72	35,09	136,25	48,45	147,76	42,88	2,13

نلاحظ من الجدول رقم (3) أن المتوسط الحسابي للمشكلات للفئة العمرية 6 ـ 12 وعددهم (38) بمتغيراتها الفرعية الثلاثة زائد مجموع العينة وهي 31,55، 41,07، 82,64، 157,72 على التوالي أعلى من الفئة العمرية 12 ـ 18 وعددهم (33) لنفس المتغيرات الفرعية الثلاثة وهي : 24,28، 35,75، 75,40؛ 136,25 على التوالي، وهذه دلالة على أن المشاكل تكون لدى تلك الفئة العمرية (6 ـ 12) أقل من مستوى المشاكل لدى الفئة العمرية (12 ـ 18)، حيث بلغت قيمة «ت» : 2,97، 1,94، 1,91، 2,13 على التوالي.

ويعلل الباحث ذلك بأنه كلما صغر السن للفرد المعوق كلما أصبح من الممكن السيطرة عليه وتنشئته وتعديل سلوكه نحو الأفضل من خلال تعايشه مع أسرته، وعلى هذا فإن مستوى المشاكل لدى تلك الفئة هو نتيجة للتفاعل الأسري في الماضي والحاضر، هذا التفاعل الذي يتمثل في التربية العقلية والأخلاقية التي يضطلع بها الوالدان والتي تهدف إلى ربط الفرد المعوق مع ذاته وأسرته والمجتمع فيما بعد. ويعطي الباحث مثالا على ذلك وهو عدم استخدام الوالدين للعقاب حتى عند حصول الخطأ، وذلك لإيمانهم بأن الاعاقة كانت أكبر عقاب لهم في حياتهم.

جدول رقم (4)

تحليل التباين متعدد المتغيرات لمشكلات المعاقين حركيا حسب العمر

المتغير	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	قيمة «ف»	الدلالة الإحصائية
الفرد وذاته	1793,90	896,950	16,83	* 0,00
الفرد والأسرة	1866,11	933,05	22,70	* 0,00
الفرد والمجتمع	5497,28	2748,64	5,67	* 0,00
مجموع العينة	24786,27	1239,13	17,60	* 0,00

* دال إحصائية (0,05).

* درجات الحرية (2,50).

يتبين لنا من الجدول رقم (4) أن تحليل التباين لمستوى المشكلات التي يعاني منها المعاقون حركيا بمتغيراتها الفرعية الثلاثة (الفرد وذاته ـ الفرد والأسرة ـ الفرد والمجتمع) بالنسبة للعمر تعتبر فروقا جوهرية، فقد كانت قيمة الدلالة الإحصائية

عالية جداء انظر الجدول أعلاه والتي تعتبر أقل من مستوى الدلالة الإحصائية (0,05). وعليه فان السؤال الأول المتعلق بمشكلات المعاقين حسب المستوى العمري بمتغيراتها الفرعية الثلاثة هو سؤال صادق بمعنى أنه يوجد مشاكل لدى المعاقين حركيا بالنسبة للعمر بمتغيراتها الثلاثة، هذا وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة قلمان (1959 Gellman,) ودراسة فاينبيرج (Feinberg, 1967).

جدول رقم (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة «ت» للمعاقين حركيا من العينة للمشكلات التي يعاني منها المعاقون حسب المستوى التعليمي

المتغير	إعدادي فما دون عدد 50		إعدادي فما فوق عدد 21		مجموع العينة عدد 71		قيمة
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	«ت»
الفرد وذاته	30, 6	10,30	23,71	10,48	28,18	10,68	2,36
الفرد والأسرة . . .	39,71	12,32	37,28	16,13	39,01	13,45	9,60
الفرد والمجتمع . .	83,71	23,55	70,19	35,24	79,65	28,01	1,88
مجموع العينة . . .	155,85	26,71	131,19	51,82	148,45	42,95	2,27

يلاحظ من الجدول رقم (5) أن المتوسط الحسابي للمرحلة الإعدادية فما دون وعددهم (50) بمتغيراتها الفرعية الثلاثة زائد مجموع العينة 30,6، 39,71، 83,71، 155,85 على التوالي كانت أعلى من الوسط الحسابي للمرحلة الإعدادية فما فوق وعددهم (21) لنفس المتغيرات 23,71، 37,28، 70,19، 131,19 على التوالي حيث بلغت قيمة «ت» 2,36، 9,60، 1,88، 2,27 على التوالي وهذا دلالة على أن المشكلات التي يعاني المعاقون حركيا في المرحلة الإعدادية فما دون أقل من المشاكل التي يعاني منها المعاقون حركيا في المرحلة الإعدادية فما فوق.

ويرجع الباحث ذلك إلى حسن التنشئة الأسرية الصالحة والتي تؤدى إلى تدني مستوى المشاكل لدى تلك المرحلة، وتحسين علاقة الفرد المعوق بزملائه بالمدرسة وأفراد المجتمع الأسوياء، وكذلك يرى الباحث أن السبب قد يرجع إلى حسن التنشئة الصالحة، ولكن هذه التنشئة الصالحة تبدأ بالضعف وعدم التكيف عندما ينتقل الفرد المعوق للمرحلة الإعدادية فما فوق، مما يؤدى إلى زيادة مستوى المشاكل لديهم. وهناك احتمال بأن سبب زيادة المشاكل في المرحلة الإعدادية فما فوق تأتي نتيجة تدني مستوى اكتساب المعلومات وصعوبة المنهاج لديهم.

جدول رقم (6)

تحليل التباين متعدد المتغيرات لمشكلات المعاقين حركيا حسب المستوى التعليمي

المتغير	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	قيمة «ف»	الدلالة الإحصائية
الفرد وذاته	757,78	378,89	4,15	0,02
الفرد والأسرة	1138,32	569,16	4,45	0,01 *
الفرد والمجتمع	1860,45	930,22	1,38	0,25
مجموع العينة	10045,21	5022,60	3,47	0,03 *

* دال إحصائيا (0,05).
* درجات الحرية (2,65).

نلاحظ من الجدول رقم (6) أن تحليل التباين لمستوى المشكلات التي يعاني منها المعاقون حركيا بمتغيراتها الفرعية الأول والثاني المتعلقين بالفرد وذاته والفرد والأسرة من السؤال الثالث الرئيسي بالنسبة للمستوى التعليمي تعتبر فروق جوهرية. فقد كانت قيمة الدلالة الإحصائية (0,02) و(0,01) على التوالي والتي تعتبر أقل من مستوى الدلالة الإحصائية (0,05). وعليه فان المتغيرات الفرعية الأولى والثانية من السؤال الثالث والمتعلقة بوجود المشاكل لدى المعاقين حركيا فهي متغيرات صادقة.

وأما بالنسبة للمتغير الفرعي الثالث (الفرد والمجتمع) من السؤال الثالث الرئيسي فقد أشارت الدلالة الإحصائية (0,25) بدرجات حرية (2,65) والتي تعتبر أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية (0,53)، وهذا دلالة على أن المشاكل لدى المتغير الفرعي (الفرد والمجتمع) أقل من عدد المشاكل لدى كل من المتغيرين الفرعيين الأول والثاني لنفس السؤال الثالث الرئيسي. أي أن عدد المشاكل الموجودة لديهم تتساوى مع المستوى المقبول اجتماعيا. وعليه فإن المتغير الفرعي (الفرد والمجتمع) ليس صادقا.

جدول رقم (7)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة «ت» للمعاقين حركيا من العينة للمشكلات التي يعاني منها المعاقون حسب مستوى الدخل

المتغير	منخفض / عدد 45		متوسط فما فوق / عدد 46		مجموع العينة / عدد 71		القيمة «ت»
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	
الفرد وذاته	30,11	10,60	25,33	10,19	28,44	10,63	22,21 –
الفرد والأسرة ...	40,08	12,80	37,41	15,14	39,18	13,59	24,29 –
الفرد والمجتمع ..	87,79	22,09	63,79	32,24	79,32	28,35	23,07 –
مجموع العينة ...	160,65	37,77	136,54	45,32	148,61	43,48	28,18 –

يلاحظ من الجدول رقم (7) أن المتوسط الحسابي لذوي مستوى الدخل المنخفض وعددهم (45) بمتغيراتها الفرعية الثلاثة زائد مجموع العينة بلغت 30,11، 40,08، 87,79، 160,65 على التوالي أعلى من الذين مستواهم متوسط فما فوق وعددهم (26). وبنفس المتغيرات وهي 25,33، 37,41، 63,79، 136,54 على التوالي، وبلغت قيمة «ت» - 22,21، - 24,29، - 23,07، - 28,18 على التوالي وهذه دلالة على أن مستوى المشاكل لدى المعاقين حركيا بمتغيراتها الفرعية الثلاثة لذوي الدخل المنخفض أقل من مستوى المشاكل لذوي الدخل المتوسط فما فوق لنفس العينة، وبذلك يتمتع هؤلاء المعاقون حركيا بحياة اجتماعية أفضل ومستوى المشاكل لديهم مقبول اجتماعيا عنها لدى ذوي الدخل المتوسط فما فوق.

جدول رقم (8)

تحليل التباين متعدد المتغيرات لمشكلات المعاقين حركيا حسب مستوى الدخل

المتغير	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	قيمة «ف»	الدلالة الإحصائية
الفرد وذاته	311,05	155,52	1,62	0,20
الفرد والأسرة	348,59	174,29	1,22	0,30
الفرد والمجتمع	5654,01	2827,00	4,48	* 0,01
مجموع العينة	10279,30	5139,65	3,47	* 0,03

* دال إحصائيا (0,05).
* درجات الحرية (2,63).

يتبين من الجدول رقم (8) أن تحليل التباين لمستوى المشكلات التي يعاني منها المعاقون حركيا لمتغيراتها الفرعية الأول والثاني (الفرد وذاته، الفرد والأسرة) بالنسبة لمستوى الدخل فقد أشارت الدلالة الإحصائية (0,20) و(0,30) على التوالي وبدرجات حرية (2,63) والتي تعتبر أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية (0,05) ولذلك هما قيمتان ليستا صادقتين، وهذا يعني أن مستوى المشاكل الموجودة لديهم تتساوى مع المستوى المقبول اجتماعيا.

في حين أن مستوى المشاكل لدى المتغير الفرعي الثالث (الفرد والمجتمع) من السؤال الرابع الرئيسي أكثر من المستوى المقبول اجتماعيا، فقد كانت قيمة الدلالة الإحصائية (0,01) والتي تعتبر أقل من مستوى الدلالة الإحصائية (0,05) ونتيجة لذلك

اعتبر المتغير الثالث الفرعي من السؤال الرابع الرئيسي صادق، وهذه الدراسة تتمشى مع ما أشار إليه الكاتب المصري أحمد كمال (1978) في بناء التوازن الاجتماعي.

جدول رقم (9)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة «ت» للمعاقين حركيا من العينة للمشكلات التي يعاني منها المعاقون حسب مكان الاقامة

المتغير	مدينة / العدد 35		قرية / العدد 36		المجموع / العدد 71		قيمة «ت»
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	
الفرد وذاته	28,73	11,95	27,67	9,52	28,18	10,68	0,41
الفرد والأسرة . . .	34,15	13,09	32,28	10,74	33,47	11,87	0,42
الفرد والمجتمع . .	81,85	26,86	77,58	29,29	79,65	28,01	0,64
مجموع العينة . .	147,12	38,01	141,22	21,03	144,08	39,41	0,58

نلاحظ من الجدول رقم (9) أن الوسط الحسابي للذين يسكنون المدينة وعددهم (35) وهي 28,73، 34,15، 81,85، 147,12 على التوالي أعلى من المتوسط الحسابي للذين يسكنون القرية وعددهم (36) وهي 27,67، 32,28، 77,58، 141,22 على التوالي في جميع متغيراتها الفرعية الثلاثة زائد مجموع العينة من السؤال الخامس والأخير. وبلغت قيمة «ت» 0,41، 0,42، 0,64، 0,58 على التوالي وهذا يدل على أن مستوى المشاكل لدى المعاقين حركيا والذين يسكنون المدينة أقل من مستوى المشاكل لدى المعاقين الذين يسكنون القرية لنفس العينة.

ويرى الباحث أن السبب في ذلك قد يرجع إلى أن المدينة تلعب دورا رئيسيا في دعم السلوك الإيجابي للمعوقين حركيا باعتبارهم أقرب المستفيدين من مقر الخدمة الاجتماعية داخل المدينة، هذا بالإضافة إلى قلة المشاكل التي قد ترجع إلى عدم وجود وقت فراغ كبير في المدينة كما هو الشأن في القرية، وهذا بالتالي يسبب زيادة في ارتفاع مستوى المشاكل لديهم مثل تدخل الأهل باستمرار واعتراضهم وتدخل الأقارب والأصدقاء وغيرهم من التعليقات غير الملائمة التي تزيد من حالتهم ومشاكلهم.

جدول رقم (10)

تحليل التباين متعدد المتغيرات لمشكلات المعاقين حسب مكان الاقامة

المتغيــر	مجمـــوع المربعــات	متوسط مجموع المربعـــــات	قيمـــة «ف»	الدلالــة الإحصائيــة
الفرد وذاته	4,32	4,32	0,04	0,83
الفرد والأسرة	29,72	29,72	0,20	0,65
الفرد والمجتمع	280,66	280,66	0,40	0,52
مجموع العينة	589,78	589,78	0,37	0,54

* دال إحصائيا (0,05).
* درجات الحرية (1,66).

نلاحظ من الجدول رقم (10) أن تحليل التبـاين لمستوى المشكلات التي يعـاني منها المعاقون حركيا بمتغيراتها الفرعية الثلاثة بالنسبة لمكـان الاقـامـة، فقـد أشـارت الدلالـة الإحصـائيـة (0,83)، (0,65)، و(0,52) على التوالي وبـدرجـات حريـة (1,66) والتي تعتبر أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية (0,05) وهي قيم ليست صـادقـة، وهـذا مـؤشر إلى أن مستـوى المشـاكـل لـديهم تتسـاوى والقيم المحليـة في المجتمـع الـذي يعيشون فيه، وعليـه فـإن السؤال المتعلق في هل يوجـد فروق في مشكلات المعـاقين حركيا حسب مكان الاقامة بمتغيراتها الفرعيـة الثلاثـة هو سؤال ليس صـادقـا، واتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة فيرنج، فوكس ولويس (1987).

الخاتمة والاستنتاجات :

لقد اتضح من خلال البيانات للدراسة الميدانية أنه يوجد مشكلات بين المعـاقين وذاتهم تعزى إلى الجنس، والعمر، والمستوى التعليمي، والـدخـل، والإقـامـة بينهم وبين أسرهم على مستوى جميع المتغيرات ما عدا الجنس. كذلك هنـاك مشكلات بينهم ومع المجتمع الذي يعيشون فيه حسب العمر والدخل والاقامة. وعليه فإن الـدراسـة خلصت بالنتائج التالية للإجابة على أسئلة مشكلة الدراسة :

أولا : هل توجد فروق في مشكلات المعاقين حسب الجنس ؟

1 ـ اتضح أن مستوى المشكلات التي تعاني منها الإناث من المعـاقين حركيـا أقل مستوى من المشـاكل التي يعـاني منهـا الـذكـور من المعـاقين لنفس العينة بمتغيراتها الفرعية الثلاثة.

2 ـ أكدت الدراسة على وجود مشاكل بين الفرد وذاته والفرد مع المجتمع.

3 ـ أكدت الدراسة على وجود علاقة إيجابية بين الفرد والمجتمع.

ثانيا : هل توجد فروق في مشكلات المعاقين حسب العمر ؟

4 ـ أكدت الدراسة على أن مستوى المشاكل لدى الفئة العمريـة 6 ـ 12 أفضل مستوى من الفئة العمرية 12 ـ 18 حيث تعتبر مقبولة اجتماعيا.

5 ـ أوضحت الدراسة أنه يوجد مشاكل لدى المعاقين حركيا مع ذاتـه، وأسرتـه والمجتمع الذي يعيش فيه بالنسبة للعمر.

ثالثا : هل توجد فروق في مشكلات المعاقين حسب المستوى التعليمي ؟

6 ـ أكـدت الـدراسـة على أن مستـوى المشـاكـل لـدى المعـاقين في المرحلـة الإعدادية وما دون أقل من مستوى المشـاكل لـدى المعـاقين في المرحلـة الإعدادية وما بعدها.

7 ـ اتضـح وجـود مشـاكـل بين الفرد وذاتـه والفرد والأسرة بـالنسبـة للمستـوى التعليمي.

8 ـ أكدت الدراسة على أنه لا يوجد مشـاكل بين الفرد والمجتمع على مستوى الفئـات التعليميـة من المعـاقين حيث أنهـا تتسـاوى مع المستوى المقبـول اجتماعيا.

رابعا : هل يوجد فروق في مشكلات المعاقين حسب مستوى الدخل ؟

9 ـ أكـدت الـدراسـة على أن مستوى المشـاكـل لـدى المعـاقين ذوي الـدخـل المنخفض أقل من مستوى المشاكل الموجودة لـدى المعـاقين ذوي الـدخل المتوسط فما فوق.

10 ـ أكدت الدراسة عدم وجود مشكلات ذات أثر بالنسبـة للفرد وذاتـه والفرد والأسرة على مستوى فئات الدخل المختلفة للمعاقين.

11 ـ أكدت الدراسة أنه يوجد مشكلات يعـاني منهـا المعـاقون بـالنسبـة للفرد والمجتمع وهي مشكلات غير مقبولة اجتماعيا.

خامسا : هل يوجد فروق في مشكلات المعاقين حسب المكان والاقامة ؟

12 ـ يتبين من الدراسة أن المدينة لها دورها الكبير في التخفيف من مستوى المشاكل حيث أن مستوى المشاكل لدى المدن أقل من مستوى المشاكل لدى سكان القرية.

13 ـ يتبين من الدراسة وجود مشكلات واضحة يعاني منها المعاقون حركيا في ذاته وأسرته ومع المجتمع الذي يعيش فيه.

وبناء عليه فإن الباحث يوصي بما يلي :

التوصيات :

من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة في التعرف على المشاكل التي يعاني منها المعاقون حركيا بمحافظة أربد وإيمانا بحق كلٍ مواطن في هذا البلد يوصي الباحث بما يلي :

1 ـ الإيمان بحق المساواة والعدل لكل مواطن وبشكل خاص للأفراد المعاقين واجب إنساني ووطني.

2 ـ اعداد البرامج الخاصة بالتوعية الأسرية المجتمعية بالنسبة للمعاقين ضرورة اجتماعية ووطنية وذلك من أجل الاقلال من نسبة المشاكل التي ظهرت لدى المعاقين.

3 ـ اعداد البرامج الخاصة برعاية وتأهيل المعوقين ضرورة إنسانية واقتصادية كي تستثير اعتبار الذات لدى الفرد المعوق.

4 ـ إيجاد الخدمة الاجتماعية الإيجابية كي تقوم بعملية الوساطة بين الفرد المعوق والمجتمع كي يصبح الفرد المعوق عضو عامل ومنتج.

5 ـ العمل على وضع البرامج التأهيلية للمعوقين والتي تشمل الخدمات المهنية كالتدريب المهني والتوجيه المهني.

6 ـ العمل على توفير الاعتمادات المالية اللازمة لتجهيز مراكز المعاقين بمختلف المعدات وتشجيع المعاقين على ممارسة مختلف الأنشطة في نطاق اهتمام ورعاية الدولة.

7 ـ التنسيق بين الأجهزة المعنية وزيادة الاحتكاك الدولي وزيادة اهتمام مجالس الإدارات بالصعوبات التي تواجه المعاقين والعمل على حلها.

8 ـ العمل على تكوين مؤتمر موسع يضم الأجهزة المعنيـة لتحـديـد أولـويـات العوامل التي تسبب المشـاكل للمعـاقين وفقـا لما جـاء بنتـائج الـدراسـة والعمل على إزالتها بشكل جماعي تشترك فيه كافة الأطراف المعنية.

9 ـ تشجيع الباحثين للقيام بمثل هذه الدراسـات التي ترتبـط بمجتمع الفئـات الخاصة (المعاقين).

المراجع العربية

- أحمد كمال أحمد، مناهج الخدمة الاجتمـاعيـة في المجتمع الإسلامي، الجزء الأول، 1977.
- تهاني عبد السلام، الشبـاب والترويح والحيـاة، مكتبـة الانجلو المصريـة ـ القـاهرة، 1973، ص 81.
- خليل الخليلي،. الاتجاهات نحو الفيزياء بنيتهـا وقيـاسهـا، 1987، بحث غير منشور، 1 ـ 26.

- Aber, J. L., & Allen, J. P. (1987). Effects of Maltreatment on Young Children's Socioemotional Development: An Attachment Theory Prespective. Developmental Psychology, 23, 406-414.
- Balla, D., & Zigler, E. (1975). Preinstitutional social deprivation and responsiveness to social reinfforcement in institutionalized retarded individuals: A six-year study. American Journal of Mental Deficiency, 80,228-230.
- Feiring. C., Fox, N. A., Jaskir, J., & Lewis, M. (1987). The Relation Between Social Support, Infant Risk Status and Mother-Infant Interaction. Developmental Psychology, 23, 400-405.
- Feinberg, L. B. (1967). Social desirability and attitudes toward the disabled. Personnel and Guidance Journal, 46, 373-381.
- Gellman, W. (1959). Roots of prejudice against the hondicapped. Journal of Rehabilitation, 25, 4-6, 25.
- Shurka, E. & Katz, S. (1976). Evaluations of persons with a disability: The influence of disability context and personal responsibility for the disability Rehabilitation Psychology, 23, 65-71.
- Sroufe, L. A. (1983). Infant-caregiver attachment and patterns of adoptation in the preschool. The roots of maladapution and competence. In M. Perlmutter (Ed.), Minnesota Symposium in Child Psychology, 16, 41-83.

ملحق

استبيان لمعرفة المشكلات التي يعاني منها المعوقون حركيا في محافظة أربد.

عزيزي الشخص المعوق :

بين يديك استبيان يتضمن فقرات حول مفهوم الذات والعلاقة بين المعوق والمجتمع في إطار الأسرة والمجتمع في الأردن، والمطلوب منك قراءة كل فقرة والاجابة عليها بدقة كما هو مبين في الصفحة التالية من أجل التعرف على المشاكل والمواقف السلبية التي يعاني منها معظم الأفراد المعوقين في المجتمع الأردني واقتراح الحلول المناسبة لها.

إستبيان : (إستمارة)

معلومات عامة :

1 ـ اسم المؤسسة التي تدرس بها . تكنولوجيا المفرق

2 ـ الجنس ☐ ذكر ☐ أنثى

3 ـ العمر . ☐ 6 ـ 9 ☐ 9 ـ 12 ☐ 12 فما فوق

4 ـ المستوى التعليمي للمعاق ☐ ابتدائي ☐ إعدادي ☐ ثانوي

5 ـ نوع الاعاقة الحركية :

شلل بالأطراف العلوية	شلل بالأطراف السفلية	شلل بالعمود الفقري
☐ جزئي	☐ جزئي	☐
☐ كلي	☐ كلي	

6 ـ مستوى الدخل ☐ عالي ☐ متوسط . ☐ منخفض

7 ـ المحافظة ☐ مدينة ☐ قرية

معلومات أساسية :

يتكون هذا الاستبيان من (51) فقرة ولكل فقرة سلم إجابة من خمس درجات أعلاها (5) وتمثل المعاناة في حالتها القصوى وأدناها (1) وتمثل عدم المعاناة بتاتا والمطلوب وضع إشارة (×) في المربع أمام الفقرة التي تحتل إجابتك.

سلم الإجابة كما هو مبين أدناة :

الرقم (5) في المقياس يعني أعاني دائما.
الرقم (4) في المقياس يعني أعاني غالبا.
الرقم (3) في المقياس يعني أعاني أحيانا.
الرقم (2) في المقياس يعني أعاني نادرا.
الرقم (1) في المقياس يعني لا أعاني بتاتا.

1) العلاقات بين المعوق وذاته

1 ـ أعاني من عدم الثقة بنفسي.
2 ـ أعاني من عدم الشعور بانسانيتي.
3 ـ أعاني من كوني إنسانا عاجزا.
4 ـ أعاني من الشعور بالخجل.
5 ـ أعاني من القلق.
6 ـ أعاني من الاحباط.
7 ـ أعاني من عدم المقدرة على الحركة بنفسي.
8 ـ أشعر بأنني غير مقبول اجتماعيا.
9 ـ أشعر بعدم الرضى عن نفسي.
10 ـ أعاني من عدم الاطمئنان والاستقرار.
11 ـ أعاني من نقص في الشجاعة الأدبية لأن أتصرف بصورة طبيعية.

2) العلاقة بين المعوق وأسرته

12 ـ أعاني من شعور الأم بالذنب.
13 ـ أشعر بأن والدتي ستتخلى عني عاطفيا.
14 ـ عندي إحساس بأن والدتي تتمنى لي الموت.
15 ـ أعاني من عدم العناية بي منذ الطفولة.
16 ـ أعاني من عدم تقبل الآخرين لمشاعري.
17 ـ أعاني من عدم الاحترام لأفكاري.
18 ـ أعاني من عدم مساواتي بالإنسان العادي.
19 ـ أشعر بأنني عبء ثقيل على الأسرة.
20 ـ أعاني من عدم تحمل أي مسؤولية اجتماعية.
21 ـ أعاني من عدم تعاطف الآخرين معي.
22 ـ أعاني من عدم تضحية الأسرة في سبيل تعليمي.
23 ـ أعاني من الفروق بيني وبين إخوتي في الأسرة.
24 ـ أعاني من قسوة الأهل علي.
25 ـ أعاني من عدم أخذ المكانة المناسبة في الأسرة بسبب الاعاقة.
26 ـ أعاني من سياسة الأهل وذلك بتوقع الفشل والعجز بسبب وجود الاقاعة.
27 ـ أعاني من عدم تشجيع أسرتي لي على التفاعل مع الآخرين.

3) في إطار المجتمع

28 ـ أعاني من نقص في النظرة الموضوعية إلى المعوقين.
29 ـ أعاني من عدم توفر المعالجة النفسية التربوية.
30 ـ أعاني من الاتجاهات السلبية في المجتمع حيث تحط من المكانة الاجتماعية للمعوق.
31 ـ أعاني من نقص في مراكز التأهيل الخاصة بتعليم المعوقين.
32 ـ أعاني من المجتمع حيث يعامل المعوقين كباقي أفراده غير المعوقين.
33 ـ أعاني من انعدام تكافؤ الفرص مع الأفراد الأسوياء.
34 ـ أعاني من عدم توفر عوامل الراحة والاطمئنان والرضا داخل المجتمع.

35 ـ أعاني من نقص في شغل المناصب الإدارية بين المعوقين والعاديين.
36 ـ أعاني من عدم توافر خدمات خاصة ضمن المؤسسات الاجتماعية للمعو
37 ـ أعـاني من نقص في التشريعـات الخـاصـة بـالمعوقين والتي تحميهم م
المشاكل الاجتماعية.
38 ـ أشعر بأن حقوق المعوقين بالتعليم قليلة.
39 ـ أشعر بأن حقوق المعوقين بالتأهيل ضعيفة.
40 ـ أشعر بأن حقوق المعوقين بالعمل نادرة.
41 ـ أشعر بأن حقوق المعوقين بالرعاية نادرة.
42 ـ أشعر بصعوبات بيئية (الأبنية ـ الطرقات والمرافق العامة).
43 ـ أشعر القلة في الأماكن المخصصة لوقوف سيارات المعوقين.
44 ـ أشعر بنقص بالمدرسين والمدربين المتخصصين بتأهيل المعاقين.
45 ـ أشعر بقلة الأجهزة والأدوات التي تساعدني على التنقل من مكان لآخر.
46 ـ أشعر بنقص الوعي عند الجماهير بمساعدة الشخص المعوق.
47 ـ أشعر بعدم اهتمام الإذاعة والتلفزيون بتحسين اتجاهات المجتمع نحو المعوقين.
48 ـ أشعر بعدم اهتمام الصحافة بموضوع الاعاقة.
49 ـ أعاني من عدم تقديم أفلام قصيرة حيث تخدم غرض التوعية عن الاعاقات.
50 ـ أعاني من نقص في توزيع نشرات توعية دائمة عن الاعاقة.
51 ـ أشعر بعدم اهتمام الكثير من الدارسين الأردنيين بفئة المعوقين.

عـروض ببليوغرافيـة

المصادر العربية لتاريخ المغرب

محمد المنوني

كلية الآداب ـ الرباط

المحاضرة الواحدة والعشرون

المصادر التاريخية

المدونة في العصر العلوي الخامس

1330 ـ 1376

1912 ـ 1956

المرحلة الأولى

القسم الأول

نقط المحاضرة :

- مدخل
- التاريخ العام
- تاريخ افريقية الشمالية
- تاريخ الدولة العلوية
- تاريخ عصر الحسن I
- تاريخ المدن

- معالم المدن والأقاليم
- تراجم المدن والأقاليم
- تراجم الأدباء
- تراجم منوعة
- تراجم الأفراد
- تراجم وطرق صوفية مغربية
- الفهارس
- الإجازات
- تاريخ الأنساب
- محاولات في فلسفة تاريخ المغرب
- الرحلات
- مصادر من خارج المغرب

العرض

المدخل

نصل ـ مع هذه المحاضرة ـ إلى المصادر التاريخية في عهدها الجديد، وهي الفترة التي تعاقب عليها العاهلان العلويان :

- س مولاي يوسف بن س الحسن الأول : 1330 / 1912 ـ 1346 / 1927.
- الملك محمد الخامس بن س مولاي يوسف : 1346 / 1927 ـ 1380 .1961

☆ ☆ ☆

من مطالع القرن العشرين، بدأت ملامح التحديث في كتابة التاريخ الوطني، ولمع هذا الاتجاه في أوضاع معدودة، حسب المصادر الواردة عند الأرقام : 1216، 1217، 1218.

ثم كان عصر السلطان مولاي يوسف، ميدانا لنشاط هذه الانبعاثة، فيتنافس المعنيون في تدوين تواريخ البلدان والأقاليم تعريفا بها، وتراجم لأهلها، حيث سيرد عرضها عند الأرقام 1259 ـ 1279.

ومع مر الزمن تتعزز هذه الأعمال، بظهور البحث في موضوعات قصيرة وجديدة حسب الأرقام 1245 ـ 1258.

على حين استمر ـ على العموم ـ التأليف في الموضوعات القديمة : فهارس الأشياخ، والرحلات، وتاريخ الأنساب... مع ملاحظة وقوع فراغ في كتابة التراجم العامة، وتدوين التاريخ الشامل.

☆ ☆ ☆

فلماذا حركة الانبعاث نحو التاريخ الوطني ؟ وسنجد الإجابة عن هذا التساؤل إذا رجعنا إلى البواعث التالية.

ويكمن العامل الأول في رد الفعل ضدا على واقع المغرب، وقد بدأ استقلاله يتهاوى، حتى فقد حريته ووضع تحت الحماية، فهب المهتمون إلى تعريف المغاربة المنكوبين بالموقع الماجد لماضيهم.

هذا إلى أن القرن 19 وصدر الذي يليه، عرف ازدهار كتابة التراجم في أوربا.

ثم مما شجع هذا الاتجاه، انفتاح المغرب على المنشورات المشرقية العربية : دوريات وجرائد، فضلا عن المؤلفات التاريخية وسواها، فأفاد من ذلك المؤلفون المنوه بهم، وخاصة في الجديد من منهجية عرض التاريخ وصياغته.

وقد عرف هذا العصر إنشاء أو تنظيم الخزانات العامة بعدة مدن، وإلى المخطوطات، صارت تحتوي على رصيد منوع من الكتب والمجلات والصحف والوثائق المطبوعة.

ووازى ذلك مبادرات بعض الفقهاء إلى تأسيس أو إثراء خزاناتهم الخاصة، وزودوها بمجموعات من المنوعات، بينها مصادر تاريخية غميسة، ثم سمحوا بالإعارة منها للباحثين.

وإلى ذلك بدأ ـ في العهد ذاته ـ تنظيم مسامرات أو محاضرات دورية في كبريات المدن، وخصوصا في الرباط وفاس، فيساهم فيها شخصيات علمية مرموقة، ويتنافسون في اختيار الموضوعات الهادفة، ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه المساهمات تطور ـ مع مر الزمن ـ إلى مؤلف تاريخي كبير.

إضافة لهذا نشير إلى ءاحاد الجرائد المغربية، وقد فتحت أعمدتها لنشر بعض الأبحاث التاريخية.

كما أن المطابع العربية المحلية ـ على قلتها ـ قامت بنشر عدد من هذه المؤلفات الموضوعية.

ولا ننسى في هذا المجال، عامل الاتصال بزمرة من المستعربين الفرنسيين والأسبان، وقد نزل منهم بالمغرب نخبة مرموقة.

نضيف لما سبق، أن هذا العصر شهد بداية تنظيمات جديدة للمحاكم المغربية، وكان بينها إحداث سجلات (كنانيش) لتسجيل نصوص الأحكام بالمحاكم الشرعية الاقليمية، وبالمجلس الأعلى للاستيناف الشرعي، فضلا عن السجلات الأخرى لهذه المحاكم، لاستنساخ وثائق الأحوال الشخصية والمعاملات والوصايا والتركات.

وامتدت هذه التنظيمات إلى تجديد عدد من الحوالات الوقفية، مع الاحتفاظ بأصولها.

ومن ذلك ـ أيضا ـ إحداث الجريدة الرسمية بكل من الرباط وتطوان.

فكان من هذه النماذج أن وفرت للباحث المغربي مجموعات جديدة من الوثائق.

☆ ☆ ☆

وإلى هنا : تبينا جملة من العوامل التي ساهمت في تحديث كتابة التاريخ الوطني، وقد تميزت هذه الحركة بإضافات جديدة للطريقة القديمة :

فبعض المؤلفين يحاول شيئا من التجديد : أسلوبا وصياغة.

بينما تهتم قلة منهم بتوضيح التأليف بالرسوم للأشخاص والمعالم والوثائق والنقوش.

فضلا عن الإفادة من الوثائق الوطنية وتكثير نصوصها.

ثم الاستناد إلى المصادر الأجنبية عن طريق تعريبها بمعرفة المترجمين المختصين.

ومن هذه الميزات : ظهور المقالة التاريخية والمحاضرة التاريخية بين أعمال الباحثين المغاربة.

ومن جهة أخرى قام أفراد بمبادرات مساعدة للباحثين، فيدون بعض الفقهاء مجموعات للفتاوي والأحكام.

ويؤلف ءاخرون لتبريز مواقفهم من المستجدات الوافدة على المغرب في عهده الجديد.

بينما يظهر التأليف في مغربيات العادات والأمثال واللهجة الدارجة.

ثم يتجه مؤلفون إلى الدعوة لتجديد التعليم. أو مقاومة البدع، ومرات إلى التوجيه لتطوير أساليب التجارة والصناعة.

وقام محمد ابن الموقت المراكشي، بتجربة لكتابة تقويم مغربي، إسوة بالتقاويم الموضوعة في جهات من الشرق وتونس والجزائر.

☆☆☆

ومن الجدير بالملاحظة، أن تدوين التاريخ في العصر العلوي الخامس سار في مرحلتين : الأولى تمتد ـ على وجه التقريب ـ من عام 1912 إلى 1930. وفيها كان المؤلفون من طبقة الفقهاء، المتضلعين في ثقافة عربية محضة، وهم الذين تبينا ملامح من نشاطهم في البحث التاريخي.

وإلى هؤلاء يعود أكبر الفضل في الكشف عن طائفة من النصوص الخميسة، سواء في مؤلفاتهم، أو عن طريق خزاناتهم، ومن نماذجهم على سبيل المثال لا الحصر : محمد عبد الحي الكتاني، وابن علي الدكالي، وعباس ابن ابراهيم، وابن زيدان، ومن تطوان وطنجة : أحمد الرهوني، ومحمد سكيرج.

فهؤلاء ومن إليهم هم مؤرخوا المرحلة الأولى، ويعتبرون رائدين لمن بعدهم، ولذلك يأتي تصنيفهم في الطبقة الأولى من الباحثين في عصر الحماية.

☆☆☆

ويأتي ـ بعد هؤلاء ـ الطبقة الثانية : 1930 ـ 1956 تقريبا، وفيها يتصاعد اعداد المهتمين، وتتطور أساليب فئات منهم لتتجاوب ـ إلى حد ـ مع الإنجازات التاريخية المعاصرة.

ومن هنا صار عدد من هؤلاء المؤلفين يبتعدون عن السجع إلى النثر المرسل، وسرت هذه الظاهرة إلى عناوين المؤلفات، فجاءت مرسلة وجيزة في تعبيرها، دقيقة في دلالتها، كما أن الإشارات إلى المصادر والمراجع، بدأت تنتقل من صلب الكتاب إلى التعاليق بذيل الصفحات.

هذا إلى تقدم في تحديث الموضوعات وتنويعها، فضلا عن ترتيب العروض وتوزيعها إلى أبواب وفصول، مع تمييز كل مبحث بعنوان بارز.

☆☆☆

وإلى المعربين من هذا الجيل الثاني، يلمع تأثير المناهج الغربية في أعمال الباحثين الذين يتوفرون على ثقافة حديثة، فيخضعون أبحاثهم إلى التمحيص والنقد، وتعليل الأحداث والربط بينها، ويعتبر الأستاذان محمد الفاسي ومّحمد الناصري من الرائدين لهذه المدرسة.

☆ ☆ ☆

ومن المميزات الأخرى لهذه المرحلة، ظهور بعض المجلات في الرباط وسلا وتطوان وطنجة...

مع وفرة نسبية للأبحاث المغربية المنشورة بها وفي مجلات خارج المغرب.

ثم فتح «راديو المغرب» لمسامرات المؤرخين.

إلى ارتفاع محدود لأعداد المطابع العربية.

☆ ☆ ☆

ومن بين المبادرات المنشورة التي ظهرت أو تقدمت مع هذه المرحلة الثانية، نشير إلى أعمال تاريخية كانت في بداياتها الأولى.

ومنها تحقيق بعض النصوص وترجمة أخرى إلى العربية.

ونشر بعض المجموعات الوثائقية.

ومحاولات للكتابة في تاريخ المغرب القديم.

وفهرسة المخطوطات والمطبوعات.

وتأليف الكتب الدراسية.

☆ ☆ ☆

الآن نشير إلى ظاهرة اتسمت بها سياسة هذا العصر في مرحلتيه، وقد كانت البلاد في قبضة الحجر الأجنبي، فكان حكام الحماية بالمرصاد لكل كاتب يدون حقيقة الواقع المعاش، أو ينظر - تاريخيا - بما يمس هذا الوضع، وهي معضلة لمح لها محمد السليماني، وقد حاول نشر كتابه : «اللسان المعرب» في عهد الحماية، بعدما كان ألفه أواخر أيام الاستقلال الأول، فاحتاج - رعيا للظروف - أن يقوم بمراجعته، وذلك ما لوح له في افتتاحية الكتاب قائلا :

«...بيد إني تكلمت حسب الإمكان، في غالب وقائع هذا الزمان، وتقلبات الأوان، لأن الظروف تحجر التصريح، بما يثير التبريح، اللهم إلا التلميح الرامي إلى

المقاصد، بما يعقله العالمون بمقتضيات العوائد، وتحاشيا عما يوقع في المحذور، أو يوغر الصدور، حتى لا يجد أهل الوشايات، ما يحدثونه من الهنات».

وإلى هنا تنتهي شكوى السليماني التي بثها طالعة كتابه : «اللسان المعرب»، وهي تحدد الأطار الذي عاش فيه البحث التاريخي على عهد الحماية.

ومن إفادات هذه الفقرة، أنها تبرز إحدى العوامل لقلة التأليف في تاريخ المقاومة المغربية، وفي نشاط الحركة الوطنية، وما عرف مما تبقى من هذه الأوضاع، إلا بعدما أحرز المغرب على حريته واستقلاله.

☆ ☆ ☆

أخيرا : نذكر في ختام هذا التقديم بطبيعة هذه المحاضرات، حيث تقدم المصادر موقوتة بالعصر الذي توفي فيه المؤلف، ولذلك سيتخلل العروض التالية، مصادر وضعها أصحابها في العصر الرابع، ثم تأخرت وفاتهم إلى هذا العصر الخامس.

كما نشير إلى أن عددا كبيرا من المصادر لا نستطيع ذكرها، لغيابها عند أسر المؤلفين أو في خزانات خاصة، على أن بعضها ءال إلى مصير مجهول.

☆ ☆ ☆

أ ـ التاريخ العام

1216 «زبدة التاريخ، وزهرة الشماريخ» لابن الأعرج : مُحمد بن مَحمد بن عبد القادر الغريسي السليماني الحسني الفاسي، ت 1926/1344.

عرف فيه بشمال افريقية، وألحق بها الأندلس وصقلية ومصر، ثم ذيل بتاريخ سير العلوم بين بني الإنسان، موزعا موضوعات الكتاب بين مقدمة وثلاثة أقسام رئيسية وخاتمة.

المقدمة : في مسالك شمال افريقية وممالكه وءاثار دوله منذ العهد القديم إلى الفتح الإسلامي.

القسم الأول : في تاريخ المغرب الأقصى.

القسم الثاني : في تاريخ المغرب الأوسط.

القسم الثالث في تاريخ المغرب الأدنى : تونس وليبيا.

الخاتمة في تاريخ سير العلوم بين بني الإنسان، في افريقيا وءاسيا وأوربا وأميركا : قديما وحديثا.

وفي تحليلات المؤلف لمضامين الكتاب، يقدمها في صياغة عليها مسحة التحديث، إلى تلميحات تنم عن غيرة وطنية، وحمية إسلامية.

يعرف ـ الآن ـ من «زبدة التاريخ» نسخة المؤلف في حوزة أسرته، وتشتمل على أربعة أسفار من قطع متوسط.

الأول : 456 ص.

الثاني : 429 ص.

الثالث : 524 ص.

الرابع : 337 ص.

ومن هذه المخطوطة مصورة على الورق :

خ.ع.د 3657 مبتورة السفر الأخير.

وإلى هذه المخطوطة نشير إلى نسخة من السفر الثالث، وتشتمل على القسم الثاني، مع قطعة من القسم الثالث.

خ.س 170 : 503 ص من قطع متوسط.

يوجد عرض لعناوين الكتاب الرئيسية، ضمن ترجمة المؤلف التي تتصدر طبعة كتابه الآخر : «اللسان المعرب» الآتي توا.

ب ـ تاريخ افريقية الشمالية

1217 ـ «اللسان المعرب، عن تهافت الأجنبي حول المغرب» لنفس المؤلف.

صدره بمدخل عن الخلفاء الراشدين وآداب آل البيت والسلف الصالح، ثم تخلص إلى موضوعات الكتاب، مصنفا لها في أربعة أقسام رئيسية وخاتمة :

القسم الأول : في تلخيص أخبار المغرب الأقصى، وأعمال أمرائه مع الأجانب في الأندلس.

القسم الثاني : في تلخيص أخبار المغرب الأوسط وأعمال أمرائه مع الأجانب.

القسم الثالث : في الانعطاف لبقية أخبار المغرب الأقصى، وتلخيص شؤونه ومتعلقاته الحالية مع الأجانب.

القسم الرابع : في تلخيص ما يتعين تعاطيه في المعارف العصرية، وشرح الحرية والمدنية.

والكتاب محرر في أسلوب يميل للجدة : تعبيرا وتصنيفا وحمية وطنية وصراحة.

ويعتبر القسم الرابع من أبرز موضوعات الكتاب، بما بث فيه المؤلف من توجيهات نحو تحديث التعليم : على مستويات الابتدائي والثانوي والعالي، مع شرح طريقة جمع المال لنفقات المدارس وتعريب العلوم، فضلا عن شرح دلالة الحرية والمدنية، والإلمام بتوجيهات اقتصادية.

نشر اللسان المعرب، في مطبعة الأمنية بالرباط 1391 / 1971، في قطع متوسط يشتمل على 195 ص : أصلا وتقاريظ عدا المقدمة والفهرس.

ومنه مخطوطة تزيد ـ كثيرا ـ على المطبوع، وتشتمل على السفر الأول الذي ينتهي عند أخبار الأمير عبد القادر الجزائري.

خ. س 297 : 248 ورقة في حجم وسط.

ولها مصورة على الشريط. خ. ع 1836 ـ خ. ع 2265

1218 ـ «المناظر الجمالية في تاريخ افريقيا الشمالية» تأليف الحجوي : محمد بن الحسن بن العربي الفاسي ت 1956/1376.

الموجود منها : السفر الأول : مبيضة المؤلف.

خ. ع، حـ 110

خ.ع، 921 : مصورة منه على الشريط.

أشار لها المؤلف في «مختصر العروة الوثقى» ص 72 وهو بعدد مؤلفاته : «تاريخ افريقيا الشمالية المسمى المناظر الجمالية نحو أربعة أجزاء ضخام، خرج منه جزآن مبيضان إلى الدولة المرينية، والباقي مسود.

ج ـ تاريخ الدولة العلوية

1219 ـ «المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية» تأليف اللجائي : عبد السلام بن محمد العمراني الحسني الفاسي، ت 1914/1332.

قصد المؤلف إلى تاريخ العلويين وعصر س الحسن الأول بالذات، ومهد لذلك بأبواب ألمح فيها إلى التاريخ العام ودول الإسلام بالمشرق والأندلس والمغرب، حتى إذا انتهى إلى الأبواب من السابع إلى التاسع بدأ يؤرخ للعلويين، وتوسع ـ كثيرا ـ عند عصر س الحسن الأول : الباب التاسع.

ويوخذ على المؤلف ما يتخلل عروضه من استطرادات قد تكون مطولة وبعيدة عن المناسبة، على أنه لما يصل إلى عصره وما قاربه، يقدم معلومات جديدة عما عايشه أو انتهى إليه خبره، ومن ذلك فصل استوعب فيه النشاط العلمي بفاس خلال القرن 19.

خ. س : 460 : 520 ص.

خ. س : 12068 : 191 ورقة.

خ. س : 12529 : قطعة من أولهِ تشتمل على 34 ص.

خ. ع، ك 351 : قطعة من الباب 9، مقتبسة من فصل النشاط العلمي بفاس : ضمن كناشة.

نشرت هذه القطعة الأخيرة ـ مصدرة بتقديم قصير ـ في مجلة «المناهل» ع 36، 1407 / 1987 : ص 370 ـ 399، بمبادرة محمد المنوني.

1220 ـ «سيف النصرة لدفع الإيهام مع ذكر خصائص مؤكدة لوجوب محبة ذرية مولانا هشام»، مؤلفه هو السباعي : محمد بن ابراهيم بن محمد التكرور الحسني المراكشي، ت 1914/1332.

صنفه في ثلاث تراجم رئيسية، وزع بينها ارتساماته عن السلاطين : مولاي عبد الرحمن وابنه محمد الرابع ثم الحسن الأول، وأتبع الترجمة الأخيرة بباب ذكر فيه سجناته الثلاثة، ثم فرغ من تقييده يوم 10 ربيع النبوي 1309 هـ.

خ. س : 309 : 39 ورقة مكتوبة من خط المؤلف في حجم وسط.

ح. ع. د : 2942.

اقتبس منه ابن ابراهيم ما يتصل بترجمة المؤلف، حسب «الإعلام» 202/7 ـ 204.

1221 ـ «الحلل البهية في ذكر ملوك الدولة العلوية»، تأليف السيد الحاج : محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي الحسني الفاسي، ت 1915/1334.

شرح به قصيدة في سلاطين الدولة العلوية نظم محمد الغالي ابن سليمان، سابق الذكر عند رقم 910، فيتوسع الشارح في عروض الوقائع، وحيناً يضيف تعاليلها، وقد ينتقد السياسة المتبعة في جرأة واضحة، كما يضيف مشاهداته وتحرياته عن الأحداث التي عاصرها، ولما يأتي بالاستطرادات يثير ـ خلال عدد منها ـ قواعد سياسية واجتماعية، وبالكتاب صفحات في شرح عادات الأطلسيين وقوانينهم العرفية، ويبلغ

المؤلف قمة الإفادة في التكملة التي ذيل بها، وأرخ فيها لأواخر العصر الحسني من منتصف ذي الحجة 1310 هـ إلى أواخر 1311 هـ، وبعدها عن أيام العزيز إلى أواسط عام 1320 هـ.

على أن المؤلف قد تنقصه الدقة في توقيت أو عرض بعض الأحداث، فضلا عن تناقضه في بعض ارتساماته، فينوه بالمعطي الجامعي وهو على كرسي الوزارة الأولى، حسب ص 359 من مخطوط خ.س 1020، ثم يزري به لما يصل إلى حديث نكبته : ص 371، وربما لا نعدم أمثلة أخرى لهذه الظاهرة.

فرغ من تأليفه يوم 17 ذي القعدة 1310 هـ، قبل أن يضيف له التكملة التي وقفت دون إشعار بنهايتها ولا تاريخها.

تختلف مخطوطات الحلل البهية بين إثبات التكملة ودونها حسب النسخ التالية، وسائرها في قطع متوسط :

خ. ع. د 1463 : 190 ورقة، بها التكملة.

خ. س 1020 : 415 ص، بها التكملة.

خ. س 12489 : 172 ورقة، بها التكملة.

خ. س 1019 : 159 ورقة، خالية من التكملة.

خ. ع. ك 2/320 : خالية من التكملة.

ترجمت مقتطفات منه للفرنسية، ونشرت في «الوثائق المغربية» ـ 8 ـ باريس 1906 : ص 330 ـ 395، حسب «مؤرخو الشرفاء» : الترجمة العربية ص 265.

ملاحظة : القصيدة المشروحة تشتمل على نحو 100 بيت من بحر الطويل على روي الياء، أوجز فيها ناظمها عد السلاطين العلويين، فيذكر ـ في تلميحات بديعة ـ تاريخ ولاياتهم وحركاتهم ووفياتهم حتى عام 1310 هـ : سنة نظمها، ورمز للتواريخ بحساب الجُمّل على الترتيب المغربي.

1222 ـ «المقالة المرضية في الدولة العلوية» لابن المواز : أحمد بن عبد الواحد بن محمد السليماني الحسني الفاسي، ت 1923/1341.

تاريخ وجيز من قطاع المقالة حسب تسمية المؤلف، به معلومات عن الدولة العلوية إلى عصر س الحسن الأول الذي كان التأليف برسمه، وعند الفترة التي عايشها وما قاربها، يستند المؤلف إلى معلوماته الخاصة.

خ. س 493 : 15 ورقة بخط المؤلف في حجم وسط.

خ. ع 2006 : مصور على الشريط من المخطوط ذاته.

1223 ـ «نزهة المجتلي في أبناء أبي الحسن علي»، نظم غريط : محمد بن محمد المفضل بن محمد الأندلسي ثم الفاسي، ت 1945/1364.

أرجوزة أرخ فيها للدولة العلوية من بدايتها حتى عصر السلطان مولاي يوسف، فجاءت في نفس طويل يتجاوز 3000 بيت.

خ. ع 57 : مصورة على الشرط.

1224 ـ «المنزع اللطيف. في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف»، لابن زيدان : عبد الرحمن دعي الكبير بن محمد بن عبد الرحمن، العلوي الاسماعيلي الزيداني المكناسي، ت 1946/1365.

خ. ع. ج 595.

خ. س 10821.

خ. س 12155.

خ. ع 1096 : مصور على الشريط من نسخة خ. ع.

خ. ع 1123 : مصور على الشريط من نسخة خ. س.

أشار له مؤلفه في «إتحاف أعلام الناس» 74/2 ـ 75، وأثبت عناوين أبوابه الأربعة والعشرين.

فرغ، من تأليفه بعد عشاء ليلة الخميس 25 رجب 1346 هـ.

1225 ـ ولابن زيدان : «المناهج السوية في مئاثر ملوك الدولة العلوية».

استوعب فيه تاريخ العلويين إلى عصر المغفور له س محمد 5، وأثبت فيه معلومات جديدة غيروا ردة في مؤلفاته السابقة.

أخرج منه المؤلف نسختين كل واحدة في سفرين كبيرين، قدم إحداهما للعاهل المنوه به، واحتفظ في خزانته بالنسخة الثانية، حيث صارت بعد وفاته إلى حوزة أسرته.

1226 ـ ولابن زيدان : «النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية».

خ. س 12652 : نسخة ناقصة في نحو 120 ورقة.

1227 ـ ولابن زيدان : الدرر الفاخرة بمئاثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة».

المطبعة الاقتصادية بالرباط 1937/1356 : 253 ص : نصا وتقاريظ، فضلا عن فهارس الكتاب وعددها سبعة.

وأصله مسامرة قدمها المؤلف للمؤتمر الثامن بمعهد الدروس العليا بالرباط 1933/1351، ورتبه على فصلين : الأول في نظم الدولة العلوية، والثاني في مئاثر الدولة ذاتها بفاس.

1228 ـ ولنفس المؤلف : «العز والصولة في معالم نظم الدولة».

من منشورات المطبعة الملكية بالرباط في سفرين : الأول : 1961/1381، والثاني : 1962/1382 : 367 × 224 ص، مع تذييلهما بملاحق وفهارس منوعة، من عمل محقق الكتاب الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور.

منه مخطوطتان بهما زيادات لم ترد بالمنشور :

خ. س 8049 في مجلد كبير.

خ. س 8050 في مجلد كبير.

1229 ـ وللمؤلف ذاته : «العلائق السياسية للدولة العلوية.

نشر ملحقا «لمجلة المغرب» : العدد 16، شوال 1352 يناير 1934، وصدر عن المطبعة الوطنية بالرباط : 25 ص من قطع متوسط.

ثم وسع المؤلف هذا الموضوع حتى بلغ به نحو ثلاثة أسفار، فصار يحمل اسم «العلائق السياسية بين الدولة العلوية والدول الأجنبية».

خ. س 11774 : قطعة منه تشتمل على 67 ورقة كبيرة.

1230 ـ «مختصر الابتسام عن دولة ابن هشام»، اختصره محمد الحجوي مار الذكر عند رقم 1218، وأضاف له بعض التعاليق والانتقادات.

أما كتاب الابتسام فهو الذي سبق التعريف به عند رقم 663.

خ. ع. حـ 113 : رابع مجموع.

خ. ع. 925 : مصور على الشريط.

د ـ تاريخ عصر الحسن

1231 ـ «الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية» لابن داني : مَحمد بن أحمد بن محمد الحسني المدرومي المراكشي ت 1913/1331.

أرخ فيها للعصر الحسني عن طريق مجموعة من التراجم، فبعد مقدمة عن الدولة العلوية، انتقل المؤلف إلى تقديم 21 ترجمة انطلاقا من س الحسن الأول إلى أحد الأمراء، ثم الوزراء ومن إليهم، فضلا عن زمرة من الكتاب والأمناء، وضاهى في صياغته أسلوب «قلائد العقيان» لابن خاقان، في تعبير تتخلله تلميحات رائقة.

خ. س 481 : 87 ورقة.

دار الكتب المصرية 1821 : تاريخ.

وهذا مسرد للمترجمين بالكتاب : 1 ـ السلطان الحسن الأول، 2 ـ صنوه المولى عثمان، 3 ـ الحاجب موسى بن أحماد، 4 ـ ولده أحماد، 5 ـ قائد المشور إدريس ابن العلام، 6 ـ خليفته إدريس بن الحاج محمد ابن يعيش، 7 ـ الوزير علي بن محمد المسفيوي، 8 ـ الوزير محمد بن العربي الجامعي، 9 ـ أخوه الوزير محمد الصغير بن العربي الجامعي، 10 ـ الكاتب محمد بن عمر ابن داني، 11 ـ الكاتب محمد ابن داني الصغير، 12 ـ الكاتب الفاضل (فضول) غريط، 13 ـ الكاتب محمد بن أحمد الصنهاجي، 14 ـ الأمين الكبير الحاج محمد التازي، 15 ـ صنوه الأمين الحاج عبد السلام، 16 ـ الأمين الطاهر التازي، 17 ـ الأمين محمد العربي الزبدي، 18 ـ الكاتب العربي المنيعي، 19 ـ الكاتب عبد الواحد ابن المواز، 20 ـ الكاتب الحاج ادريس ابن ادريس، 21 ـ الكاتب عبد الرحمن الشرفي.

1232 ـ «البستان الجامع لكل نوع حسن، وفن مستحسن، في عد بعض مئاثر السلطان مولانا الحسن»، لمحمد بن ابراهيم السباعي، سابق الذكر عند رقم 1220.

استوعب فيه سياسة السلطان الحسن الأول انطلاقا من فترة ولايته للعهد، وانتقل بعدها إلى أيام تقلده للحكم، فيرصد تحركاته واحدة فواحدة حتى وفاته، ويلم بالإشارة إلى بيعة السلطان العزيز.

وهو يصنف مضامين الكتاب في أربعة عناوين رئيسية يسمى الواحد منها كتابا، ثم يوزع هذه بين ثمانية أبواب :

الكتاب الأول : في ذكر الخلافة الأولى للمترجم : «فترة ولايته للعهد»، وفيه ثلاثة فصول.

الكتاب الثاني : في حركاته الخمس أيام ولايته للعهد، وفيه خمسة فصول.

الكتاب الثالث : عن أيام استقلاله بالحكم، وفيه ارتسامات المؤلف عن حركات المترجم إلى جهات المغرب، ويشتمل على ثمانية أبواب موازية لعدد الحركات التي يعرضها المؤلف.

الكتاب الرابع : استدرك فيه المؤلف ما بقي عليه من أعمال المترجم.

ومن هذا التصميم يتبين ضعف منهجية المؤلف، هذا إلى أن عروضه يتخللها إسهاب في التنظير بالوقائع والأمثال والحكم... مما يجعل معلومات الكتاب مشتتة بين منهجية ضعيفه.

ومع هذا ننصف «البستان الجامع» بأنه جد مفيد في تاريخ حركات العاهل المنوه به.

خ. ع. د 1346 : 159 ورقة في حجم متوسط.

خ. س. 12432 : من نفس الحجم وبه خط المؤلف.

خ. ع. 1823 : مصور على الشريط.

وجاء تأليفه استجابة لاقتراح من السلطان الحسن الأول، عن طريق رسالة من الوزير علي المسفيوي، مؤرخة في 9 جمادى الثانية 1306 هـ، فيحدد فيها منهجية التأليف في هذه الفقرة : «...وأمرك أن تشرع في تأليف مصنف يكون محتويا على جميع سيرته، وتتبع فيه الوقائع الصادرة في ظعنه وإقامته من أول خلافته، ولا تتعرض فيه لوضع أحد ولا تنقيصه بما ليس فيه، وتقتصر على ما هو الأليق بالمقام، وتجتنب ما كان خارجا على سياق الانسجام».

حسب نص الرسالة بـ«البستان الجامع»، مخطوط خ. ع. د : ورقة 142/ب.

1233 ـ وللسباعي : «إقامة الحجة في واضح المحجة».

تقييد علق فيه المؤلف على قصيدة قدمها للسلطان الحسن الأول، وشرح فيه وقائع حركاته إلى قبائل ما بين فاس ووحدة، وقبائل بني مطير وسوس وبني مكَيلد.

خ. س 464.

أثبت المؤلف نص التقييد في «البستان الجامع» خلال الباب السابع.

1234 ـ «السراج الوهاج والكوكب المنير، من سنا صاحب التاج مولانا الحسن الأمير»، تأليف ابن علي : محمد بن محمد بن محمد (ثلاثا) بن علي الدكالي ثم السلوي، ت 1945/1364.

عرف فيه بمحاسن السلطان الحسن الأول، وبرز بينها أحدوثة هدية الفيل من ملكة انكلترا إلى السلطان الحسن الأول : ص 61 ـ 73.

خ. س 11647 : 97 ص بخط المؤلف في قطع دون المتوسط.

أشار له ابن زيدان في «إتحاف اعلام الناس» 357/2.

هـ ـ تاريخ المدن

والقصد إلى المصادر التي تهتم بالتعريف بالمدينة بالذات، وضمن ذلك قد تأتي تراجم وما إليها.

1235 ـ «مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح» تأليف بوجندار : محمد بن مصطفى الرباطي، ت 1926/1345.

وزع موضوعاتها بين خمسة فصول، فيتناول أولها أهمية التاريخ، ويقدم الثاني ملخصا لتاريخ المغرب، وفي الفصل الثالث تاريخ شالة، والرابع : تاريخ قصبة الرباط، ثم استوعب الفصل الخامس معظم الكتاب حيث تاريخ مدينة الرباط.

منشور في مطبعة الجريدة الرسمية بالرباط 1345 هـ في قطع متوسط يشتمل على 317 ص عدا التقديم والفهرس.

منه نسخة مخطوطة : خ. ع. د 1044.

ومخطوطة أخرى : خ. س 1513.

1236 ـ «التعريف بالحضرة المراكشية، وبمن وقفت عليه من الأولياء والعلماء الأجلة»، مؤلفه هو الغسال : الحسن بن محمد الطنجي، ت 1939/1358.

خ. ع. د 1496 : أول مجموع، ورقات 1/ب ـ 4/أ.

1237 ـ ولنفس المؤلف «إيضاح البرهان والحجة في تفضيل ثغر طنجة».

خ. ع. د 1842 : أول مجموع، ورقات 1/أ ـ 10/ب.

اقتبس منه بضع فقرات د عبد العزيز التمسماني خلوق : «مجلة دار النيابة» ع 10، 1986 : ص 10 ـ 12.

1238 ـ وله «مختصر» منشور بطنجة في مطبعة ابن حيون 1907/1325 : 4 ص.

1239 ـ «باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة»، للصبيحي : أحمد بن محمد السلوي، ت 1944/1363.

خ. ع. د 1503 : 54 ص بخط المؤلف، في حجم صغير.
خ. س 2423 : 22 ورقة بخط المؤلف، في حجم صغير.
خ. ع. ص 434 : 27 ورقة بخط المؤلف، في حجم صغير.

1240 ـ «اتحاف أشرف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا» لابن علي الدكالي، سابق الذكر عند رقم 1234.

أرجوزة في التعريف بالعدوتين : الرباط وسلا، قصد ناظمها إلى مناقشة لسان الدين ابن الخطيب في نقط من رسالته : «مفاخرة مالقة وسلا»، وفيها يتقصى المؤرخ الأندلسي وجوه المفاضلة بين المدينتين، وينتهي بها إلى عشرة مقاصد، فيعارضها مؤرخ سلا بعشرة فصول، تبرز مفاخر العدوتين في المقاصد ذاتها : المنعة، والصنعة، والبقعة، والشنعة، والمساكن، والساكن، والحضارة، والعمارة، والأثارة، والنضارة، وفضل أن يصوغ هذه الاعتراضات، في مساق أرجوزة مطوله تصل إلى 3000 بيت.

خ. ع. د 11.
خ. ع. د 383.
خ. ع. ك 2391.
خ. س 227.
خ. س 1/12109.

1241 ـ «الغصن المهصور، لمدينة المنصور» : (رباط الفتح)، تأليف السائح : محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن الأندلسي ثم الرباطي، ت 1948/1367.

مخطوط في خزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط.

اقتبس منه مؤلفه في مقدمة كتابه الآخر : «سوق المهر إلى قافية ابن عمرو»، المطبعة الاقتصادية، بالرباط : ص أ ـ مي.

ثم في تقريظه على «تبيين وجوه الاختلال...» لابن زيدان، المطبعة المهدية بتطوان : ص 173 ـ 177.

وثالثا : نشرت صفحات منه في مجلة «دعوة الحق» س 12 ع 5 : ص 76 ـ 78.

1242 ـ ولنفس المؤلف «لسان القسطاس من تاريخ مدينة فاس».
شبه مذكرات عن فاس لم يخرجها تأليفا.
محفوظ عند أسرة المؤلف.

1243 ـ «المعرب عن مشاهير مدن المغرب» لابن الموقت : محمد بن محمد بن عبد الله المسفيوي المراكشي، ت 1949/1369.

منشور ضمن «مجموعة اليواقيت العصرية»، مطبعة الحلبي بالقاهرة 1349 هـ : ص 85 ـ 90.

1244 ـ «التعريف بالبلدة التنانية...»، للتناني : أحمد بن الحاج علي بن ابراهيم الياسيني الكشطي، ت 1954/1374.

عرف فيه بقبيلة أداوْتَنانْ بحاحة، فحدد موقعها، وذكر أقسامها الثلاثة، ومدارسها التقليدية الأربعة، ثم علماءها، وختم بترجمة حياته.

مخطوط في خزانة خاصة بالرباط.

2/1244 ـ «موجز تاريخ شفشاون»، مؤلفه هو الريسوني : الصادق بن المختارين محمد الحسني العلمي الشفشاوني، ت 1956/1376.

أوجز فيه تاريخ مدينة شفشاون، فعرف بموقعها ومراحل تأسيسها إلى أن صارت مدينة متكاملة، وخلال ذلك أشار لمعالم المدينة وصناعاتها والنشاط الثقافي، وختم بذكر حروب شفشاون مع القبائل المجاورة.

منشور في مطبعة القدس بشفشاون 1986/1407 في قطع صغير، وأشرف على نشره حفيد المؤلف الأستاذ علي الريسوني المحامي، فيصدره بمقدمة موسعة : تعريفا بالمؤلف وتأليفه :

المقدمة : ص 3 ـ 30، والنص : 31 ـ 43.

و ـ معالم المدن والأقاليم

1245 ـ «شالة وآثارها» لمحمد بوجندار سابق الذكر عند رقم 1235.

بعد مقدمة وجيزة عن آثار الرباط، انتقل المؤلف إلى التعريف بشالة، وربط بين الموضوعات في مسلسل كالآتي : زاوية شالة ـ تسمية شالة بسلا ـ جغرافيتها ـ تاريخها قبل الإسلام ـ تاريخها في الإسلام ـ آثارها الحاضرة ـ حرمتها ـ الاحتفاظ بآثارها ـ وصف مناظرها.

ومن قراءة هذه العناوين، يتبين حسن ترتيب المؤلف لرسالته عن شالة، وهو يقدمها في تعبير واضح يميل إلى الجدة، كما يخلل موضوعاتها برسوم فتوغرافية

للمناظر المهمة، وإلى هذا فالمؤلف يتتبع مصادر بحثه، ويضيف إلى العربية منها، اعتماد المستندات الأجنبية عن طريق الترجمة بواسطة المختصين.

المطبعة الرسمية بالرباط 1340 هـ : 56 ص نصا وتقريظا، في قطع متوسط.

1246 ـ ولنفس المؤلف «قصبة الرباط الأثرية».

أرخ فيها لقصبة الرباط الموحدية : (قصبة الأوداية).

خ. ع. د 1047 : 7 ورقات من حجم متوسط.

1247 ـ «روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية»، للكتاني : عبد الكبير بن هاشم الحسني الإدريسي الفاسي، ت 1932/1350.

أرخ به لمجموعة ـ تفوق العشرين ـ من زوايا فاس وشيوخها وأعمالها...، غير أنه لم يستوعبها، وهو ما لمح له لما عبر بـ«بعض الزوايا» في عنوان الرسالة.

خ. ع. ك 12/1264.

خ. ع 63 : مصور على الشريط.

1248 ـ «بغية الأنفاس بمحاسن فاس»، تأليف الشرفي : علي بن محمد الطيب بن عبد الرحمن الأندلسي الإشبيلي ثم الفاسي، ت 1939/1358.

رسالة أرخ فيها للأوقاف والمشاريع الإحسانية بفاس، واختصرها من موضوعه المطول باسم «اليواقيت الحسان فيما بفاس من الخير والإحسان».

خ. ع. حـ 119.

خ. ع 929 : مصورة على الشريط.

نشر ملخص لها في «مجلة المغرب» بعدد 9 : محرم 1352 / أبريل 1933 : ص 20 ـ 22، بعنوان «الأوقاف الخيرية بفاس».

وكان أصلها مسامرة ألقاها مؤلفها بالمؤتمر الثامن لمعهد الدروس العليا المنعقد بفاس : شهر ذي الحجة 1351 / أبريل 1933.

1249 ـ ولنفس المؤلف : «ضياء النبراس في ماء وادي فاس».

خ. ع 1271 : مصور على الشريط.

1250 ـ «الدرة اليتيمة في وصف شالة الحديثة والقديمة»، لابن علي الدكالي، سابق الذكر عند رقم 1234.

وهو يصنف عروضها حسب العناوين التالية : مساحة شالة الحاضرة ـ موقع شالة العتيقة، وهيأتها القريبة من الحقيقة ـ ذكر من عمرها في الإسلام، من الملوك والإعلام

ـ هيئة شالة الحديثة الوجود، وما كـان بهـا من أثر مشهود ـ ذكر أسواق الغبـار الموذنـة بمزيد الاعتبار ـ ذكر خرابها. وكيف كانت وقائعه بأسبابها.

فرغ من تسويدها عشية الإثنين 13 ربيع الأول 1332 هـ.

خ. ع. ك 1249 / 5 : ص 127 ـ 142 : في حجم صغير.

خ. ع 41 : مصورة على الشريط.

وإذا كان أصل الرسالة لا يزال مخطوطا، فإن ترجمتها للفرنسية منشورة.

1251 ـ ولنفس المؤلف : «رسالة في التعريف بالمدرسة المرينية بسلا».

خ. ع. ص[1].

1252 ـ وللمؤلف نفسه «رسالة في الرباطات بالمغرب».

بدأها بتمهيد عن مسمى الرباط، ثم ذكرانـه سيرتب عروضهـا حسب وضعهـا على الساحل الأطلسي فالمتوسط، غير أن الموجود من الرسـالـة يقف عنـد ربـاط سلا، وهو العاشر في تعداد المؤلف.

مخطوطة في خزانة خاصة : 19 ص في دفتر مدرسي.

1253 ـ «تعريف بالدار البيضاء بمكناس»، لابن زيدان المتقـدم الـذكر عنـد رقم 1224.

رسالة وصف فيها قصر الدار البيضـاء الـذي أسسـه ـ بمكنـاس ـ السلطـان العلوي محمد الثالث، وهو الذي صار مقرا للمدرسـة الحربيـة، وبعـد الاستقلال : «الأكـاديميـة العسكرية».

خ. س 12436.

1254 ـ «أشرف بقعة وأقدس : بناحية مراكش» للكتـاني : محمـد عبـد الحي بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد، الحسني الفاسي، ت 1962/1382.

مقال موسع عرف فيه برباط شاكر وسط قبيلة أحمر.

«مجلة المغرب» : السنة 5، عدد ربيع ـ جمـادى 1355 / يونيو ـ يوليوز 1936 : ص 1 ـ 2 مع ص 18 ـ 22.

1255 ـ ولنفس المؤلف : «نظرة إجمالية على تاريخ القرويين والحـالـة العلميـة بفاس في القرن التاسع والعاشر هـ».

---

(1) الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

مقال مطول، حلل فيه قطعة عن ازدهار الدراسة بفاس أيام الوطاسيين، كتبها علي بن ميمون الإدريسي الغماري، ضمن تأليفه «الرسالة المجازة في معرفة الإجازة»، مع إضافات مهمة.

«مجلة المغرب» : السنة 6 : عدد 1، 1356 / 1937 : ص 1 ـ 7 مع ص 20 ـ 21.

1256 ـ وللمؤلف نفسه : «الملاجئ الخيرية الإسلامية، في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية».

«المجلة الزيتونية» بتونس، المجلد الثالث على امتداد ثلاثة أعداد : 1358 / 1939 :

العدد الخامس : ص 236 ـ 240.

العدد السادس : ص 276 ـ 278.

العدد 7 ـ 8 (مزدوج) : ص 323 ـ 324.

مع ملاحظة تكاثر الأخطاء المطبعية في نشر المقال.

1257 ـ وللمؤلف المتكرر الذكر : «ماضي القرويين ومستقبلها».

خ. ع. ك 3354 : قطعة من أوله تشتمل على 15 ورقة من حجم وسط، في مسودة المؤلف.

1258 ـ ولنفس المؤلف : «تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب».

عرف فيه بالخزائن العربية والمؤلفات الموضوعة في الكتب، وتتبعها عبر العالم الإسلامي عموما، وافريقيا خصوصا، وبرز ـ أكثر ـ خزانات المغرب الأقصى بالمدن والنواحي، فجاء حظ هذه المنطقة كبيرا، وكان أصل هذا الموضوع محاضرة قدمها المؤلف للمجمع العلمي العربي بدمشق، بعدما انتخب ـ فيه ـ عضوا مراسلا.

خ. ع. ك 3002 : قطعة منه في مسودة المؤلف.

نسخة أخرى يتخللها بتر : في خزانة خاصة بمراكش.

نشر بعضه في «مجلة المغرب» : العدد الأول من السنة الأولى، ربيع الأول 1351 / يوليوز 1932 : ص 25 ـ 28.

ثم العدد الثاني : ربيع الثاني 1351 / غشت 1932 : ص 19 ـ 22.

2/1258 ـ «الخزائن العلمية بالمغرب» للنميشي : أحمد بن محمد الحسني الفاسي، ت 1386/1967.

نشر ـ تباعا ـ في جريدة «السعادة»، ابتداء من العدد **3412، بتاريخ 26 محرم** 1348/ 4 يوليه 1929.

ز ـ تراجم المدن والأقاليم

وغالبا ما يصدر المؤلف بالتعريف بالمدينة أو المنطقة المعنية قبل أن ينتقل إلى التراجم.

1259 ـ «تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط» لمحمد بوجندار، سابق الذكر عند رقم 1235.

عرض به 21 ترجمة لقضاة الرباط إلى عصر المؤلف.

منشور دون ذكر المطبعة وتاريخ الطبع : 51 ص أصلا وثلاثة تقاريظ : في حجم قريب من الصغير.

1260 ـ ولنفس المؤلف : «ذكرى صلحاء الرباط».

جملة تراجم لبعض علماء وصلحاء مدينة الرباط.

نشر ـ تباعا ـ في جريدة «السعادة» عام 1925/1344 وبعده.

1261 ـ وللمؤلف نفسه : «الاغتباط بتراجم أعلام الرباط».

معجم ترجم فيه لمجموعة من علماء وصلحاء وأدباء وأعيان الرباط، وبدأ باسم أحمد فمحمد، وسار في باقي الأسماء على ترتيب الألفبائية المغربية، حتى استوعب قرابة 300 ترجمة، ثم ذيل بخاتمة قصيرة أشار فيها إلى وفرة من أقبر بالرباط من العلماء والأعيان والصالحين الذين أغفلت تراجمهم.

نشر ـ بالتصوير ـ عن نسخته الأصلية، بخط تلميذ المؤلف محمد بن عبد القادر فرفرة الرباطي، بمبادرة وتقديم وفهرسة الدكتور عبد الكريم كريم.

مطابع الأطلس بالرباط 1407 / 1987 : جزءان يجمعهما سفر يشتمل على 479 ص : تقديما ونصاعدا الفهرس، في قطع متوسط.

منه مخطوطتان : خ. ع. د 1287 : ورقات 266.

خ. س 12491 : الجزء الأول 206 ص.

1262 ـ «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، للكتاني : محمد بن جعفر بن إدريس الحسني الفاسي، ت 1345 / 1927.

استهلها بمقدمة موسعة عن زيارة الصالحين، وانتقل بعدها إلى عرض التراجم على ترتيب أحياء فاس، داخل المدينة وقريبا من خارج أسوارها، حتى استوفى مجموعة كبرى من دفناء فاس : من أهلها والواردين عليها، ويمكن أن يعد من بينهم - حسب ملاحظة البعض - أكثر من 140 من المؤلفين.

وإلى هذا يذيل الكتاني كل ترجمة بتحديد مصدرها : واحدا أو أكثر، وأخيرا : يختتم بإثبات لائحة وافية لهذه المستندات، وقد بلغ بها 140 مصدرا ومرجعا.

ومن هنا : فإن «سلوة الأنفاس»، تعتبر أكبر مصدر لتاريخ رجال فاس إلى عصر تأليفها، ولم يدون قبلها ولا بعدها ما يوازيها في موضوعها.

نشرت - من عام 1316 هـ - بالمطبعة الحجرية الفاسية في ثلاثة أسفار من حجم متوسط : 376 × 369 × 366 ص عدا الفهارس، وباشر تصحيحها المؤلف نفسه.

للسلوة «فهرس» معجمي - يرقون - استوعب أسماء المترجمين بها، من إصدار الخزانة العامة بالرباط 1966 : 180 ص في حجم صغير.

هناك تعليقات على «سلوة الأنفاس»، كتبها الشيخ عبد الحي الكتاني بهوامش نسخته المطبوعة، وهي تحمل بالخزانة العامة رقم 1671 ك : مطبوعات.

وتعليقات أخرى كتبها القاضي عبد الحفيظ الفاسي بهوامش نسخته المطبوعة، وكانت محفوظة في خزانة خاصة بفاس.

للمستشرق الفرنسي روني باسي «دراسة عن مصادر سلوة الأنفاس»، قدمها إلى المؤتمر «14» الدولي للمستشرقين المنعقد بالجزائر 1904، ثم نشرت في مجموعة المذكرات والنصوص لنفس المؤتمر، في المطبعة الشرقية بالجزائر 1905.

1263 - «شرح أرجوزة ابن ادريس في صلحاء مكناس»، وهي التي سبقت الإشارة لها ولناظمها عند رقم 699.

أما شارحها فهو العرائشي : محمد بن الحسين بن عبد القادر المكناسي، ت 1351 / 1933.

خ. س 12229 : غير تام، ويشتمل الموجود منه على 19 ص - بخط المؤلف - في حجم صغير.

1264 - «روضة الأفنان في تراجم الأعيان»، تأليف الإيكراري : محمد بن أحمد بن محمد السوسي الأكلويي، ت 1939/1358.

أرخ فيــه لمنطقــة ســوس من أواخرق 13 هـ حتى منتصف الــذي يليــه، وقسم موضوعاته بين ثلاثة فصول : أولها في أخبار سوس في هذه الفترة، ثم تراجم رؤسائهـا، وتناول في الفصل الثالث تراجم علماء سوس في العهد ذاته، وهو معظم الكتاب.

خ. ع. د 1322 : 122 ورقة.

خ. ع. ك 2303.

في «المعسول» 316/13 ـ 17 : تقييم مؤلفه للصراحة التي انتهجهـا الإيكراري مع المترجمين في «روضة الأفنان».

1265 ـ «مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط»، مؤلفه هو دنية : محمد بن علي بن أحمد الرباطي، ت 1939/1358.

بدأه بمقدمة من ثلاثـة فصول، فيـذكر فيهـا مزايـا التـاريخ، والتعريف بـالربـاط وشالة وسلا، ولما تخلص للتراجم، صدر بصلحاء الرباط الذين لم يعثر على تراجمهم.

ثم كان معظم الكتاب في التعريف بـالـذين توصل المؤلف إلى معرفتهم، وبينهم علمـاء وصلحـاء وأدبـاء ورؤسـاء : في تراجم تطول أو تقصر، وتتـدرج حسب التسلسـل التاريخي، ويتخلل ذلك تسجيل وفيات ربـاطيـة وقليلا سلويـة، فضلا عن استطرادات مناسبة.

نشر «مجالس الانبساط» في سفر يشتمل على جزءين من حجم متوسـط، وصـدر عن مطـابع الإتقـان بـالربـاط 1406 / 1986 : 331 ص تصـديرا ونصـا وتقريظـا عـدا الفهرس.

منه مخطوطة : خ. س 779 : في سفر يشتمل على جزءين.

مع مصورة على الشريط عن نسخة المؤلف : خ. ع 48.

1266 ـ «الإتحاف الوجيز بأخبار العـدوتين المهـدى لمولانـا عبـد العزيز» لابن علي الدكالي، سابق الذكر عند رقم 1234.

حدد تصيمه في مقصدين وخاتمة، وتناول في المقصـد الأول أخبـار العـدوتين : الربـاط وسـلا، وفي المقصـد الثـاني عرض 74 ترجمـة مرتبــة ترتيبـا زمنيــا، ومعظم أصحابها من سلا.

ويبـدو أن المعروف ـ الآن ـ من «الإتحـاف الـوجيـز» لم يكمـل تـأليفــه، فتقف التراجم عند محمد بن أحمد الجريري : منتصف ق 13 هـ، كما أنه لم ترد به الخـاتمـة التي خطط لها المؤلف في برنامج الكتاب.

من منشورات المكتبة العلمية الصبيحية بسلا في قطع وسط، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط، بتحقيق الأستاذ مصطفى بوشعراء، وقد قدم له وتابع النص بمقارنات وتعليقات، ثم أردف ذلك بخمسة ملاحق، استدرك في أولها ـ على الأصل ـ مجموعة ضخمة من السلويين، امتدادا من القرن 6 هـ حتى ق 14 : ص 133 ـ 196.

وبهذه الملاحق، قفزت صفحات الكتاب إلى 248 ص.

1267 ـ «إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس»، لابن زيدان، سابق الذكر عند رقم 1224.

ألفه تعريفا بمدينة مكناس وزرهون وما إليهما، ورتبه على مقدمة وأربعة أقسام يسميها مطالب : المقدمة : في التاريخ وفوائده، المطلب الأول : اختطاط المدينة وأطوارها التاريخية، وذكر مدينة زرهون وما إليها، الثاني : نعوتها، الثالث ـ وهو معظم الكتاب ـ تراجم الراحلين من أهلها والنازلين بها إلى عصر التأليف : 553 ترجمة في القسم المنشور.

وذيل على هذا المطلب الثالث بخاتمة تناولت الحرف والصنائع بالمدينة، ثم الموازين والمقاييس والمكاييل، مع عوائد السكان في مختلف المناسبات، وأخيرا : المطلب الرابع : إشارات وجيزة لأحداث مكناس.

والمؤلف يرتب التراجم حسب التهجية المغربية، ويفيد من بعض النصوص الأجنبية بواسطة ترجمة العارفين، كما يخلل الكتاب بجملة من الصور الفوتوغرافية للمئاثر والأشخاص والمستندات، فضلا عن مجموعة كبرى من نصوص الوثائق التاريخية.

صدر من «إتحاف أعلام الناس» خمس مجلدات عن المطبعة الوطنية بالرباط : 1347 ـ 1352 / 1929 ـ 1933 : 470 × 549 × 600 × 523 × 563، ويقف آخرها خلال حرف القاف : عند ترجمة أبي القاسم العميري.

وباقيه لا يزال مخطوطا، ولا يعرف منه ـ الآن ـ سوى قطعة بها 81 ص من حجم كبير : خ. س 11769، وتشتمل على بضعة تراجم من حرف القاف والسين المهملة، وبعدها يقع فراغ يمتد إلى آخر حروف التهجية المغربية. ثم تنتقل القطعة إلى خاتمة المطلب الثالث، فالمطلب الرابع، وأخيرا : تاريخ الفراغ من جمع الكتاب : فاتح عام 1345 هـ، وبعد تنقيحه وتهذيبه : تم عند ثامن ربيع النبوي 1349 هـ.

أما الأصل المخطوط : فالباقي منه أربع قطع أكثرها مختلط :

خ. س 11775.

خ. س 12464.

خ. س 12517.

مع القطعة الأخيرة منه المشار لها وشيكا : خ. س 11769.

ملاحظة : باقي المعلومات عن «إتحاف أعلام الناس»، وردت عند محمد المنوني : «مؤرخ مكناس ابن زيدان»، مجلة «دعوة الحق» : س 10. ع 1 ص 96 ـ 97.

1268 ـ «السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية...»، لابن الموقت، سابق الذكر عند رقم 1243.

بعد مدخل عن قيمة التاريخ، يعقب المؤلف ببيان مستفيض عن مدينة مراكش، وينتقل ـ بعد ذلك ـ إلى الموضوع الرئيسي : تراجم المشاهير من النابهين بالمدينة وما إليها : علماء وصلحاء وأدباء، ويحتذي في تقديمهم طريقة «سلوة الأنفاس»، فيرتبهم على أحياء المدينة وخارجا عنها، وأخيرا : يذيل بالملحقات التالية :

- خاتمة بها ترجمة شيخه ـ آنذاك ـ الشيخ فتح الله بناني.
- مصادر الكتاب.
- استدراك ستة تراجم.
- مسرد للمعماريات الأثرية بالمدينة.

منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية في سفر يشتمل على جزءين من حجم متوسط 159 × 190 عدا التقاريظ.

1269 ـ وللمؤلف نفسه «مختصر السعادة الأبدية»، أو جزفيه محتويات الأصل، وحذف منه الخاتمة.

منشور بالدار البيضاء 1342 هـ : 50 ص.

1270 ـ ولابن الموقت : «الانبساط بتلخيص الاغتباط».

اختصر به «الاغتباط بتراجم أعلام الرباط» لبوجندار، سابق الذكر عند رقم 1261، وأضاف له مقدمة وجيزة في تلخيص الدول المغربية، وتاريخ بناء الرباط والباني له.

منشور في مطبعة الحلبي بمصر 1347 هـ : 68 ص أصلا وفهرسة : في قطع صغير.

1271 ـ «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين» للرهوني أحمد بن محمد بن الحسن التطاوني، ت 1953/1373.

صنفه في عشرة أجزاء، ووزع موضوعاته بين خمس مقدمات وستة عشر فصلا وخاتمة، وجاء الفصل 16 هو معظم الكتاب، امتدادا من بداية ج 4 حتى أواسط ج 8، فيقول عنه المؤلف : «وهذا عندي هو المقصود بالذات، وغيره معدود ـ في الحقيقة ـ من المقدمات، أو من الخواتم المتممات».

وقد استوعب في هذا القطاع مجموعة كبرى من الذين عثر على أخبارهم من التطوانيين ومن إليهم، وأضاف لهم تراجم الذين لهم بتطوان زاوية أو مزارة : مغاربة وغيرهم.

ومن أواسط ج 8 حتى نهاية ج 10 يلحق المؤلف ترجمته الذاتية، ويتتبع تراجم شيوخه ـ في العلوم والتصوف ـ بتطوان وفاس وسواهما.

ومن المؤاخذات على هذا القطاع تطويله إلى حد كبير في بعض التراجم، ثم عدم تقيده بالتدرج التاريخي، وهو واقع شعر به المؤلف، وأبدى عذره في ذلك عند افتتاحية الكتاب.

وإذا تجاوزنا التراجم إلى قطاعات أخرى، نقف ـ قليلا ـ عند الفصل 15، حيث المعجم الذي دونه المؤلف عن لهجة تطوان، فيرصد مفرداتها، ويرتبها حسب المعجمية المغربية، ثم يخلل ذلك ببعض قواعدها، وبالتعريف بعدد من العائلات المحلية، بمناسبة ورود المفردة التي تتصل بنسبتها، ويتوسع المؤلف في هذه المادة، حتى تستوعب الجزء الثالث بكامله.

وإلى هذا : فإن الفصل 8، يكاد يستوعب الصناعات والحرف التي كانت معروفة بالمغرب قبل أيام الحماية، وفي هذا الاتجاه يبرز المؤلف نشاط منسوجات القطن والكتان بتطوان، مما كان يحقق الاكتفاء الذاتي للسكان من هذا النوع.

ومرة أخرى يشيد بالازدهار الذي كان لتربية دودة الحرير بتطوان.

«وبالكتاب فصول عن عمال المدينة وقضاتها وعادات أهلها...

خ. س 12644 : في تجزئة خمس مجلدات.

المكتبة العامة بتطوان : تسعة أسفار من رقم 676 إلى 684 : لكل سفر رقم.

نسخة أخرى مصورة على الشريط في عشرة أجزاء.

1272 ـ ولنفس المؤلف «خلاصة عمدة الراوين. في تاريخ تطاوين».

المكتبة العامة بتطوان.

خ. ع. ص 385 : مصورة على الورق من مخطوطة تطوان.

1273 ـ «إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال» تأليف ابن ابراهيم : عباس بن محمد بن محمد السملالي المراكشي، ت 1959/1378.

شرح به قصيدته الرائية في بحر البسيط، وكان نظمها في مناقب سبعة رجال دفناء مراكش، فيتوسع المؤلف في التعريف بكل واحد منهم.

نشر منها 256 ص بالمطبعة الحجرية الفاسية، دون تاريخ.

ومنها مخطوطة كاملة : خ. س 232 : 490، مذيلة بعدد من التقاريظ.

مع مصورة على الشريط : خ. ع 866.

1274 ـ ولنفس المؤلف «الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام».

ابتدأ تأليفه من عام 1327 هـ، وهدف به إلى رصد أخبار الذين وقف على أسمائهم من أهل مراكش وما إليها والوافدين، وتمهيدا لموضوعه، صدر بمدخل كان بين مضامينه، شرح المنهجية التي يسير عليها في التراجم، وبعده إنتقل إلى مقدمة الكتاب مرتبا لها في أربعة فصول : الأول : التعريف بمراكش، الثاني : التعريف بأغمات، الثالث : معجم لأسماء التصانيف المؤلفة في البلاد والأقطار، الرابع : أشار فيه إلى العلوم التي تندرج في مادة التاريخ، وعنده تنتهي المقدمة التي دونها في نفس مطول، وفرغ منها يوم 18 رمضان 1329 هـ، وللتنويه بها وضع لها إسما مميزا : «الطالعة الزهراء، في فضائل أغمات ومراكش الحمراء، وما يناسب ذلك من فرائد الفوائد الغراء».

ومن هنا يتخلص إلى التراجم : الموضوع الرئيسي للكتاب، فيستوعب 1650 ترجمة، ابتداء من الأحمدين فالمحمدين، ثم باقي الأسماء على ترتيب التهجية المغربية، وفي كل حرف يسير حسب التسلسل التاريخي.

وطريقته في كتابة التراجم أن يحدد مصدر أو مصادر الترجمة ويثبت أو يلخص النص المعني، وكثيرا ما يأتي بخلاصات للمؤلفات الهامة للمترجمين، وأحيانا يعقب بالنقد والتمحيص للنصوص، وفي تراجم الذين عاصرهم يؤدي ارتساماته عنهم في أمانة واستيفاء.

نشر من كتاب «الإعلام» خمسة أسفار وقطعة صغيرة من السادس، وصدر عن المطبعة الجديدة بفاس 1355 ـ 1936/1358 ـ 1939.

ثم نشر ـ كاملا ـ في عشرة أسفار، بالمطبعة الملكية بالرباط 1974 ـ 1983/1403، بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور.

ولهذه الطبعة كشاف مستوعب في عشرة أجزاء مرقونة، أنجزه الطالب بن عرفاء : عبد الغني، في مذكرة لنيل شهادة الإجازة بكلية الآداب بمراكش : شعبة اللغة العربية وآدابها، تحت إشراف الأستاذ حسن جلاب : السنة الجامعية 1982 ـ 1983.

ومن «الإعلام» ثلاثة أسفار مخطوطة من نسخة المؤلف : خ. س 10951 : الأسفار 6، 7، 8.

ولهذه الأسفار مصورة على الشريط : خ. ع 167.

1275 ـ «تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس» مؤلفه هو السكراتي : علي بن الحبيب السوسي الجراري، ت 1959/1379.

قال عنه في «سوس العالمة» ص 219 : «عارض به كتاب الإكراري حين رءاه كثير الانتقاد لمن يترجمهم، فأتى هو يعاكسه، فيفيض الثناء متدفقا ـ بكل مناسبة ـ على كل من تعرض لهم».

ويضيف مؤلف نفس المصدر : «وعندي النسخة الوحيدة من الكتاب فيها بياضات».

1276 ـ «إعلام الحاضر والآت، بما في السلوة من الهنات».

تأليف محمد عبد الحي الكتاني، مار الذكر عند رقم 1254.

ذيل به على «سلوة الأنفاس»، سابقة الذكر عند رقم 1262، واستدرك عليها مجموعة من التراجم، مع تكميلات لتراجم واردة بـ«السلوة».

خزانة خاصة بمراكش : في سفرين بهما إلحاقات كثيرة بخط المؤلف.

1277 ـ «الأنس والاستيناس» تأليف العزوزي : محمد العربي بن محمد المهدى بن محمد العربي الزرهوني ثم الفاسي نزيل بيروت، ت 1963/1382.

اختصر به «سلوة الأنفاس» سابقة الذكر عند رقم 1262، واستدرك تراجم من كان من أهل فاس وتوفي خارجها، ورتب المترجمين على حروف المعجم، بادئا بمن أسمه أحمد.

طبع منه السفر الأول خاليا من ذكر المطبعة وتاريخ النشر، وقد استوعب أسماء الأحمدين، وصدر في قطع متوسط يشتمل على 336 ص : أصلا وتقديما وفهرسة.

1278 ـ «رياض البهجة في أخبار طنجة»، تأليف سكيرج : محمد بن محمد بن العياشي، الأنصاري الخزرجي الفاسي نزيل طنجة، ت 1965/1385.

مطبوع على الآلة الكاتبة في ثلاثة أسفار : الأول والثاني في مجلد واحد : 240 × 190 ورقة، الثالث : 194 ورقة.

خ. ع 1452 : مصورة منه على الشريط، ولم يتم تأليفه.

عرف به د عبد العزيز خلوق في «العلم الثقافي» عدد 759 بتاريخ 23 نونبر 1985.

ثم اختار منه نصوصا نشرها في «مجلة دار النيابة» عدد 10 : ربيع 1986، ص 13 ـ 17.

1279 ـ «رسالة في علماء سجلماسة»، تأليف العلوي : محمد الهاشمي بن الغالي الحسني السجلماسي.

خ. س 3034 : 24 ورقة ـ مبتورة الآخر.

حـ ـ تراجم الأدباء

1280 ـ «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط»، لأحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي نزيل القاهرة، ت 1913/1331.

عرض به 78 ترجمة لأدباء إقليم شنقيط وما إليه، وذيل بالتعريف بالمنطقة فاستوعب مظاهر الحياة بها.

نشر الوسيط ـ للمرة الأولى ـ في المطبعة الجمالية بالقاهرة 1911/1329 : في سفر متوسط الحجم، ويشتمل على 542 ص عدا الفهرس.

1281 ـ «فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان». مؤلفه هو محمد غريط، سابق الذكر عند رقم 1223.

ترجم فيه لزمرة من الوزراء والكتاب الراحلين : عبر أيام السلطان مولاي عبد الرحمن، وانتهاء عند الدولة الحفيظية، وخلل بعض التراجم بالإشارة إلى عدد من الأحداث المغربية أثناء هذه الفترة.

وبذلك فإن «فواصل الجمان»، اهتم ـ أيضا ـ بتسجيل جوانب من تاريخ المغرب خلال القرن 19، غير أن القصد الأول هو تراجم الوزراء ومن إليهم : 17 ترجمة، ثم الكتاب : 18 ترجمة.

ومن ميزات الكتاب، صياغته في أسلوب الكتابة الأندلسية أيام ازدهارها، فكان المؤلف ـ بذلك ـ من أواخر الكتاب الذين حافظوا على هذه الطريقة بالمغرب.

منشور في المطبعة الجديدة بفاس 1347 هـ : 312 ص أصلا وفهرسة عدا التقديم، في حجم وسط.

من «فواصل الجمان» نسخة بخط المؤلف تزيد وتنقص عن النص المطبوع : خ. س 11320.

1282 ـ «الشعر والشعراء» للقباج : عبد الله بن عباس الفاسي نزيل سلا، ت 1945/1364.

وهو عنوان المسامرة التي ألقاها بنادي المسامرات في المدرسة العليا بالرباط عام 1923/1341، وقد ألم فيها بالحديث عن الشعراء الذين اجتمع بهم وصاحبهم في الحجاز والمغرب، فذكر من الحجاز أربعة، بينما أكثر من الشعراء المغاربة، ورتب أسماءهم على النهجية المشرقية، فيثبت لكل شاعر منهم قطعة أو نتفة، حتى استوفي الأدباء الذين اختارهم.

غير أنه يلاحظ أن النماذج التي قدمها، يطغى على عدد منها الإغراق في المديح إلى حد الغلو، مع شيء من ملق المسامر خلال عرضه، ومن هنا فإن أهمية هذا الحديث في إشاراته لأسماء قليلة يبدو أنها كانت غير مشهورة أو غير معروفة بالمرة.

نشرت المحاضرة في المطبعة الرسمية بالرباط 1341 هـ : 52 ص نصا وتقديما في قطع وسط.

ونشرت ـ تباعا ـ في جريدة «السعادة» ابتداء من عدد 2473، الصادر يوم 11 جمادى الثانية 1341 هـ.

2/1282 ـ «تاريخ الشعر والشعراء بفاس»، لأحمد النميشي، س.ذ.ق 2/1258.

مسامرة مطولة ألقاها بنادي المسامرات من المدرسة الثانوية بفاس، مساء الأربعاء 19 جمادى الأولى 17/1343 ديسمبر 1924.

وقد عرضها في قسمين، فألقى في الأول نظرة على تاريخ الشعر والشعراء بالمغرب الأقصى على العموم، بينما قدم في القسم الثاني مسردا لشعراء فاس ونتف من أشعارهم، حتى بلغ بهم 197 إسما.

وبذلك أوجزت المسامرة تاريخ الشعر والشعراء بالمغرب وفي فاس بالخصوص حتى عصر المؤلف، فجاء عمله محاولة مبكرة في هذا الاتجاه.

مطبعة أندرى بفاس 1343 هـ : 114 ص في قطع قريب من الصغير.

ط - تراجم منوعة

وغالبها تترجم للمغاربة وغيرهم.

1283 - «بهجة البصر بذكر أعيان القرن الرابع عشر» للكتاني : محمد الطاهر بن الحسن بن عمر الحسني الفاسي، ت 1928/1347.

مات دون إتمامه، وإنما ذكر فيه نحوا من خمسة عشر ترجمة، ويقع الموجود منه في نحو ثلاثة كراريس، حسب «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» رقم 987.

منه نسخة في خزانة خاصة بفاس.

1284 - «رياض السلوان بمن اجتمعت به من الأعيان»، تأليف سكيرج : أحمد بن محمد بن محمد بن العياشي، الأنصاري الخزرجي الفاسي نزيل سطات، ت 1944/1363.

يقول عنه الأستاذ عبد الكريم ولد المؤلف : «ترجم فيه لأكثر من 75 ترجمة، ولا يزال كثير من التراجم متفرقا بين الأوراق والدفاتر».

1285 - ولنفس المؤلف : «كشف الحجاب عمن تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب».

به نحو المائتين من التراجم، وصدر عن المطبعة الحجرية مرتين في قطع متوسط :

- عام 1325 هـ : 498 ص.
- عام 1340 هـ : 489 ص.
- ثم نشر بمصر عام 61/1381 - 1962 : 560 ص عدا التقديم، دون ذكر المطبعة.

1286 - وذيل عليه المؤلف نفسه بـ«رفع النقاب بعد كشف الحجاب».

فصدر منه الربع الأول والثاني عن المطبعة المهدية بتطوان دون تاريخ : 260 × 280 ص عدا المقدمة.

وصدر الربعان الثالث والرابع عن مطبعة الأمنية بالرباط 1390 - 1971/1395 - 1975 : 326 × 279 ص عدا مقدمة الربع الثالث.

1287 - «المؤلفون ومؤلفاتهم في العصر العلوي» لابن زيدان سابق الذكر عند رقم 1224.

والإشارة إلى مشروع تأليف في هذا الاتجاه يصل إلى عصر المؤلف، وقد صار يمهد له في جذاذات مختلفة الأحجام والخطوط حتى بلغت كمية مهمة، بينها تراجم - لم تدون بعد - لمؤلفين معاصرين، غير أن منية المؤلف حالت دون إخراجه تأليفا. خ. س12564.

1288 - «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» لمحمد الحجوي، سابق الذكر عند رقم 1218.

من بين موضوعاته تراجم الفقهاء من المذاهب الأربعة، ومن هنا يشتمل على حصيلة مهمة من تراجم فقهاء المالكية بالمغرب، فضلا عن تاريخ الفقه بالمنطقة.

نشر - للمرة الأولى - في أربعة أجزاء من قطع متوسط، وصدر الجزء الأول عن مطبعة إدارة المعارف بالرباط 1340 هـ، وتمم في مطبعة البلدية بفاس 1345 هـ : 165 ص أصلا وفهرسة.

الثاني والثالث : في مطبعة النهضة بتونس دون تاريخ : 245 × 170 ص : أصلا وفهرسة.

الرابع : في المطبعة الجديدة بفاس دون تاريخ : 369 ص أصلا وتذييلا وتقاريظ، عدا الفهرسة.

ثم أعيد طبعه من بعد.

1289 - «جواهر الماس في تراجم من اسمه العباس» لعباس بن ابراهيم، سابق الذكر عند رقم 1273.

خ. ع 1057 : مصور على الشريط في 246 لوحة.

1290 - «فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات» لمحمد عبد الحي الكتاني، سابق الذكر عند رقم 1254.

ضمن موضوعه العام، يشتمل على طائفة كبرى من التراجم والأسماء والمؤلفات المغربية، مع تحقيقات وإضافات مهمة.

منشور بالمطبعة الجديدة بفاس في سفرين من قطع كبير : 437 + 484 ص : أصلا وفهرسة وتقاريظ، عدا التقديم عن حياة المؤلف : عام 46 ـ 1347 هـ.

وهناك نسخة من هذه الطبعة عليها بعض تعليقات بخط المؤلف : خ. س 2387 : مطبوعات.

ولفهرس الفهارس طبعة ثانية في ثلاثة أسفار من قطع متوسط، 1183 + 437 ص، صدرت عن دار الغرب الإسلامي في بيروت 1986/1406، بتحقيق د إحسان عباس، وقد جاء السفر الثالث خاصا بفهارس الكتاب في أحد عشر بابا.

1291 ـ «التاج» في ذكر من اسمه محمد من الملوك، للفاسي عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفهري، ت 1964/1383.

منشور في المطبعة الأهلية بالرباط 1927/1346 في قطع صغير : 36 ص.

منه مخطوطة خ. ع. د 1/4457.

ي ـ تراجم الأفراد

1292 ـ «الدر المكنون في التعريف بشيخنا سيدي محمد كنون» للسيد الحاج المشرفي، سابق الذكر عند رقم 1221.

والقصد إلى ترجمة الإمام المجدد : الحاج محمد بن المدني كنون الفاسي.

منشور بالمطبعة الحجرية الفاسية دون تاريخ : 176 ص أصلا وتقاريظ، في حجم وسط.

منه مخطوطة في المكتبة العامة بتطوان : 412.

1293 ـ «ترجمة عاشور» : محمد بن عمر بن قاضي مراكش محمد الأندلسي ثم الرباطي، ت 1916/1334.

كتبها بقلمه، وذكر فيها مولده وأشياخه ومقروءاته عليهم.

خ. س 12875 : بخطه في خمس صفحات.

1294 ـ «بلوغ القصد والمرام في مناقب القطب سيدي الحاج عبد السلام»، تأليف الوزاني التهامي : محمد العربي بن عبد الله بن التهامي، اليملحي الحسني الرباطي، ت 1921/1339.

توسع فيه في التعريف بالحاج عبد السلام بن الشيخ العربي الوزاني.

خ. ع. د 3723.

خ. ع. ك 4/1036.

1295 ـ «الزهر الفائح في ترجمة أبي المواهب سيدي العربي السائح» مؤلفه هو التريكي : محمد بن أحمد بن الحاج الهاشمي الأسفي، ت 1925/1344.

مخطوط في خزانة خاصة بمراكش : بخط مؤلفه : 15 ص من حجم متوسط.

1296 ـ «الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس» لمحمد بن جعفر الكتاني، سابق الذكر عند رقم 1262.

ترجمة موسوعية للإمام إدريس الثاني دفين فاس، تتبع فيها المؤلف النصوص التاريخية التي وصل إليها، مضافا لها الأشعار الموضوعية، والروايات الشفوية، فضلا عن تاريخ مشهد المترجم بفاس، ووصف معمارياته... ووزع ذلك بين خمسة عشر بابا وخاتمة، وكان موضوع الباب الأول ذكر أسلاف صاحب الترجمة، وبذلك اشتمل على تعريف موسع بالإمام إدريس الأول دفين زرهون.

نشرت «الأزهار العاطرة... بالمطبعة الحجرية الفاسية مرتين في سفر من قطع متوسط : عام 1307 هـ : 324 ص، ثم 1314 هـ : 328 ص.

1297 ـ «الجواهر اللؤلؤية في التعريف بواسطة الشعبة العراقية»، تأليف ابن فرتون : محمد بن إدريس السلمي الفاسي، ت 1927/1346.

عرف فيه بقاضي فاس محمد بن رشيد العراقي.

خ. ع 1206 : مصور على الشريط.

1298 ـ «النسمات الندية من نشر ترجمة الإمام أبي العباس السيد أحمد دنية»، تأليف حفيده محمد بن علي دنية، سابق الذكر عند رقم 1265.

إلى جانب حياة المترجم أحمد بن علي دنية، يعقب المؤلف بمجموعة من التراجم تتناول والد صاحب الترجمة وأبناءه الثمانية، فضلا عن مشايخه وتلاميذه وأصدقائه، وأخيرا : فتاويه وخطبه ورسائله، ويوشح ذلك بفوائد منوعة.

منشور في المطبعة الاقتصادية بالرباط 1355 هـ : 101 ص في قطع متوسط.

1299 ـ «زبدة الأقوال والمفاهيم، في التعريف بشيخنا مولاي ابراهيم»، تأليف العلوي : محمد بن سليمان الحسني الفاسي، ت 1941/1360.

عرف فيه بشيخه المولى ابراهيم بن محمد بن محمد العلوي الإسماعيلي من علماء فاس، ت 1904/1322.

خ. س 12177 : 12 ص في حجم طويل.

1300 ـ «قرة العينين في كرامات شيخنا ماء العينين»، تأليف أمربيه ربه : محمد مصطفى بن الشيخ ماء العينين الشنچيطي، ت 1942/1361.

خ. ع 171 : مصور على الشريط.

خ. س 10992 : مصور على الورق من نفس الفيلم.

1301 ـ «النور الحنفي في مناقب الشيخ سيدي محمد الحنفي» مؤلفه هو الهواري : علي بن محمد السوسي نزيل مزوضة، ت 1943/1362.

ترجمة فيه لشيخه محمد الحنفي بن مَحمد بن أحمد الأكنيضيفي نزيل مزوضة، وتجاوزه إلى أسرته فعرف بفقهائهم ومدارسهم وتلاميذها، فجاء الكتاب يؤرخ لفترة نشطت فيها الحياة الثقافية بمزوضة والحوز.

خ. ع 84 : مصور على الشريط.

نوه به محمد المختار السوسي، وأفاد منه في التعريف بأسرة الشيخ محمد الحنفي، حسب «المعسول» 18 ص 250 ـ 273.

1302 ـ «حديقة أنسي في التعريف بنفسي».

ترجمة ذاتية كتبها ـ عن حياته ـ أبو العباس أحمد سكيرج، سابق الذكر عند رقم 1284، ألفها عام 1345 هـ.

مخطوطة في حوزة أسرة المؤلف بطنجة.

1303 ـ «تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس» لابن الموقت، سابق الذكر عند رقم 1243.

ترجمة موسعة للشيخ أبي العباس : أحمد بن جعفر الأنصاري الخزرجي السبتي، نزيل مراكش ودفينها.

منشور ـ بتصحيح المؤلف ـ في المطبعة الحجرية الفاسية دون تاريخ : 102 ص في حجم وسط.

والترجمة استلها المؤلف من كتابه : «السعادة الأبدية»، سابق الذكر عند رقم 1268.

1304 - «وللمؤلف : «إظهار المحامد في التعريف بمولانا الوالد».

ترجمة مطولة لوالده : محمد بن عبد الله بن المبارك المسفيوي المراكشي : موقتها بجامع ابن يوسف.

منشور - بتصحيح المؤلف - على هامش «تعطير الأنفاس» المذكور قبله يليه.

1305 - ولنفس المؤلف : «معارج المنى والأماني، في التعريف بشيخنا القطب مولانا فتح الله البناني».

عرف فيه بالشيخ فتح الله بن أبي بكر البناني الرباطي.

خ. ع. د 3206.

اقتبس منه في كتابه «السعادة الأبدية» المشار له وشيكا : 137/2 - 177.

1306 - «ترجمة التادلي» : محمد بن علي بن المعطي الرباطي نزيل مدينة الجديدة، ت 1953/1372.

كتبها بقلمه، ودون فيها بدايات حياته وأشياخه في التصوف.

خ. س 2/12377 : مسودتها في أربعة أوراق.

للتادلي ترجمة وافية في «المعسول» 301/15 - 313.

1307 - «سحر البيان : في شمائل شيخنا ماء العينين الحسان»، تأليف محمد ماء العينين بن محمد العتيق الشنچيطي، حفيد الشيخ ماء العينين من بنته، ت 1957/1376.

خ. ع 641 : مصور على الشريط.

1308 - «إتحاف الحفيد بترجمة جده الصنديد»، تأليف محمد عبد الحي الكتاني، سابق الذكر عند رقم 1254.

وهو ترجمة موسعة للقاضي محمد العربي بن محمد الهاشمي العزوزي الزرهوني ثم الفاسي. ألفها برسم حفيده محمد العربي بن محمد المهدي بن المترجم، سابق الذكر عند رقم 1277.

مخطوط في خزانة خاصة بمراكش.

لخصه ابن ابراهيم في «الاعلام» 253/6 - 263.

1309 - ولنفس المؤلف : «ترجمة الشريف الإدريسي» مؤلف نزهة المشتاق.

خ. ع. ك 3215 : مبيضة المؤلف في أوراق متفاوتة الحجم.

1310 ـ «الانتصار بالواحد القهار في إبطال نقض أبي جندار» تأليف عبد الحفيظ الفاسي، سابق الذكر عند رقم 1291.

وهو ـ حسب مؤلفه ـ بحث تاريخي انتقادي مفيد، حول ترجمة يحيى بن يونس دفين شالة.

منشور في المطبعة العصرية بالدار البيضاء 1341 هـ : 35 ص في قطع متوسط.

1311 ـ «منهج الارتحال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال». مؤلفه هو الرحالي : محمد العربي بن البهلول بن عمر المجناوي المشاوري مستوطن قلعة السراغنة، ت 1986/1407.

عرف فيه بالشيخ رحال البندالي : محمد بن أحمد بن الحسن السملالي دفين زمران، ثم تخلص إلى ذكر ذريته فاستوعب تفاريقهم، وحدد منازلهم بجهات المغرب...

منشور في مطبعة الأمنية بالرباط 1956/1375 : 151 ص في قطع صغير.

☆ ☆ ☆

1312 ـ ننتقل مع هذا الرقم والذي بعده، إلى مصدرين لم يذكر اسم مؤلفيهما، ويأتي في البداية «تقييد» ورد به ذكر مؤلفه هكذا... بن الحاج عبد السلام الشاهدي ؟

ترجم فيه لقريبه محمد بن أحمد الوزاني اليملحي الحسني، الموساوي الزرهوني ثم المكناسي، ت 1926/1345.

مخطوط في خزانة خاصة ضمن مجموع من حجم كبير، ص 67 ـ 78.

1313 ـ «إتحاف القاصي والداني بذكر بعض مئاثر الشريف التهامي الوزاني»، مؤلفه غير مذكور.

والمترجم من سكان آسفي، وتوفى عام 1334 هـ.

خ. س 10021 : خمس ورقات.

1314 ـ وهنا مصدر ثالث، غير أن هذا لم أقف على تاريخ وفاة مؤلفه : أبي عثمان سعيد بن عمر المعاشي، ويحمل التأليف اسم «تحفة الحواشي في مناقب سيدي سعيد المعاشي».

فرغ منه عام 1351، ونشر في المطبعة الوطنية بالرباط : 25 ص.

ك - تراجم وطرق صوفية مغربية

1315 - «طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية، في الطريقة الزيانية الشاذلية»، تأليف القندوسي : محمد المصطفى بن الحاج البشير بن مصطفى الزياني، ت 1932/1350.

عرف فيها بشيوخ الزاوية القندوسية بإقليم بشار، بدءا من المؤسس لها محمد بن أبي زيان، إلى رؤسائها من بعده واحدا فواحدا حتى عصر المؤلف، فيذكر سيرهم وأعمالهم في مصالح الزاوية، ويتوسع كثيرا في ترجمة المؤسس الأول، اقتباسا من «فتح المنان في سيرة الشيخ الحاج محمد بن أبي زيان»، تأليف عبد الرحمن بن محمد بن يعقوب مزيان اليعقوبي.

خ. ع. د 14 : ضمن مجموع ص 21 - 41 في حجم قريب من الصغير.

1316 - «رسالة ثانية في سيرة الشيخ محمد بن أبي زيان»، مؤلفها غير مذكور.

اختصرها من «فتح المنان» المشار له وشيكا، ومن «منهل الظمئان ومزيل الأحزان» في مناقب المنوه به، تأليف تلميذه الحاج علي الشامي.

خ. ع. د 14 : إثر الرسالة الأولى بالمجموع أعلاه.

اعتمد الرسالتين المستشرق الفرنسي كور Cour, A في دراسته :

«الشيخ الحاج محمد بوزيان وخلفاؤه» : «مجلة العالم الإسلامي» سنة 1910.

1317 - «الترجمان المعرب، عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب» تأليف عبد الحفيظ الفاسي، سابق الذكر عند رقم 1291.

خ. ع. د 4400 : ورقات 108. مبيضة المؤلف.

خ. ع. د 4409 : ضمن مجموع.

خ. ع 1824 : مصور على الشريط.

خ. س 10991 : مصور على الورق.

ل - الفهارس

1318 - إتحاف أهل الدراية بمالي من الأسانيد والرواية» تأليف القادري : محمد بن قاسم بن محمد الحسني الفاسي، ت 1913/1331.

عرف به الكتاني في «فهرس الفهارس» 292/2 ـ 293.

منشور في المطبعة الحجرية الفاسية 1320 هـ بتصحيح المؤلف : 44 ص في قطع متوسط.

1319 ـ «بلوغ المنى والآمال فيمن لقيته من المشايخ وأهل الفضل والكمال»، تأليف محمد العربي الوزاني التهامي، سابق الذكر عند رقم 1294.

لخصه ابن ابراهيم في «الإعلام» 219/7 ـ 226، وأفاد منه بوجندار في «الاغتباط»، فيقول في ترجمة مؤلفه ص 427 : «...صاحب المعجم التاريخي الذي نقلنا عنه هنا غير ما مرة، أتى فيه على فهرسته وترجمته...».

محفوظ عند أسرة المؤلف بالرباط.

1320 ـ «فهرس الكتاني» : أحمد بن جعفر بن إدريس الحسني الفاسي، ت 1922/1340.

في خزانة ولد المؤلف الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني بالرباط.

1321 ـ «فهرس الوزاني : محمد المهدي بن محمد بن الخضر العمراني الحسني نزيل فاس، ت 1923/1342.

عرف به الكتاني في «فهرس الفهارس» 432/2.

منشور في المطبعة الحجرية الفاسية دون تاريخ : 20 ص في قطع متوسط.

1322 ـ «الفهرست الكبرى» لابن الخياط : أحمد بن محمد بن عمر الزكاري الحسني الفاسي، ت 1925/1343.

ألم بالتعريف بها في «فهرس الفهارس» 289/1.

خ. ع. ك 1427 : آخر مجموع.

خ. س 1182.

خ. ع. ص 2/154 : 62 ص.

ولنفس المؤلف «فهرست صغرى» برسم الإجازة بها، حيث ستأتي الإشارة لها عند رقم 1337.

1323 ـ «فهرس الأشياخ» للشرادي : الفاطمي بن محمد بن حمادي الفاسي، ت 1925/1344.

ذكر فيه أشياخه في القرآن الكريم والدروس ومقروآته عليهم، مضيفا تعريفات وجيزة بمعلوماتهم واختصاصهم، مع الإشارة لأوضاع المؤلفين منهم، وأسلوب التدريس

عند بعضهم، ثم عقب بذكر الأسانيد من طريق ثلاثة من شيوخه هم عمدته في الدراسة.

خ. س 10842 : 5 ورقات من مبيضة المؤلف، مبتورة الآخر.

1324 - فهرس القادري : محمد بن إدريس بن محمد، الحسني الفاسي نزيل مدينة الجديدة، ت 1931/1350.

في خزانة خاصة بسلا.

2/1325 - فهرس كَنون : عبد الصمد بن التهامي بن المدني الفاسي نزيل طنجة، ت 1352/«1934».

مخطوطة عند أسرته بطنجة.

1325 - «عنوان السعادة والإسعاد لطالب الرواية والإسناد» : اسم فهرس محمد بن الحسين العرائشي، سابق الذكر عند رقم 1263.

خ. س 6/12573 : بخط المؤلف.

اقتبس منه محمد المنوني في شيوخ مؤلف الفهرس ومرويات المسندين منهم، حسب ترجمة المنوه به في مجلة «دعوة الحق» : السنة 11 ع 9 - 10 مزدوج، عام 1968/1388 : ص 108 - 115.

1326 - «المجد الشامخ فيمن اجتمعت به من أعيان المشايخ» للبناني : فتح الله بن أبي بكر بن محمد الرباطي، ت 1934/1353.

عرف به في «فهرس الفهارس» 27/2.

خ. ع. ص 915.

خ. ع. ص 916.

أدرج «المجد الشامخ» ضمن «الفتح الرباني...»، سابق الذكر عند رقم 1211.

1327 - «قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ» لأبي العباس أحمد سكيرج، سابق الذكر عند رقم 1284.

خ. ع. د 3844 : 109 ص على الآلة الكاتبة.

خ. ع 1708 : مصور على الشريط.

1328 - فهرس ابن الشريف : محمد بن أحمد بن إدريس، الإسماعيلي الحسني الزرهوني نزيل مكناس، ت 1947/1367.

خ. س 11980 : غير تام التأليف، ضمن مجموع.

ولنفس المؤلف «فهرست صعرى» برسم الإجازة بها، حيث سيرد ذكرها عند رقم 1339.

1329 ـ «الاتصال بالرجال» : اسم فهرس محمد بن عبد السلام السائح، سابق الذكر عند رقم 1241.

ذكر فيه أشياخه ومقروآته عليهم ونبذا من أخبار بعضهم، ومن أجازه منهم ومن غيرهم ممن لقيه، ونصوص إجازاتهم.

في حوزة أسرة المؤلف بخطه.

1330 ـ فهرس العمراني : أحمد بن محمد بن الخضر الحسني الفاسي، ت 1951/1370.

احتفظ المؤرخ عبد السلام ابن سودة بملخص لهذا الفهرس، وأثبته عند ترجمة مؤلفه من «سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال».

خ. ع 1759 مصور على الشريط : 105 لوحة.

1331 ـ «إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان» : اسم فهرس مزور : الحسن بن عمر بن الطيب الفاسي، ت 1957/1376.

مخطوط عند أسرة المؤلف ولدى بعض تلامذته.

1332 ـ «إتحاف ذوي العناية ببعض مالي من المشيخة والرواية» تأليف محمد العربي العزوزي، سابق الذكر عند رقم 1277.

عرض به أسماء أشياخه الفاسيين ومقروآته عليهم، وعقب بلائحة مطولة للأعلام الذين لقيهم ـ شيوخا وأقرانا ـ بالحرمين الشريفين ومصر وسوريا ولبنان، إلى لائحة موسعة للمؤلف المهمة التي قرأها بمفرده أو مع أحد رفقائه، ثم عدد الوظائف التي تقلدها بالمغرب ولبنان، مع الكتب التي ألفها، وانتقل إلى إثبات 15 نصا لإجازاته من شيوخه المغاربة والمشارقة، وختم بذكر بعض أسانيده.

منشور ـ في قطع قريب من الصغير ـ بمطبعة الإنصاف في بيروت 1950/1370 : 271 ص، فضلا عن مجموعة من التقاريظ تتصدر نص الفهرس.

1333 ـ «معجم الشيوخ» لعبد الحفيظ الفاسي، سابق الذكر عند رقم 1291.

ترجم فيه لأشياخه بالسماع والرواية والإجازة : مغاربة وأفريقيين ومشارقة،

حتى استوعب 114 ترجمة، خلل عددا منها بنصوص الإجازات، وبدأ بمن اسمه محمد فأحمد، ثم سار في باقي الأسماء على ترتيب المعجمية المغربية.

منشور في جزءين من حجم متوسط 1932/1350، وصدر الجزء الأول عن المطبعة الوطنية بالرباط. والثاني عن مطبعة فاس بالمدينة الجديدة : 198 × 176 : أصلا وفهرسة.

1334 - «فهرس النتيفي : عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم الجعفري نزيل الدار البيضاء، ت 1966/1385.

في حوزة أسرته.

1335 - «النعيم المقيم في ذكرى مدارس العلم ومجالس التعليم» : اسم فهرس المرير : محمد بن محمد التطواني، ت 1977/1398.

في حوزة أسرة المؤلف في سبعة أجزاء.

1336 - «فهرس» السكراتي : عمر بن محمد بن الحسن السوسي الجراري ثم المراكشي، تاريخ وفاته غير مذكور.

خ. ع. ج 1285 : جزءان بخطه في دفترين مدرسيين.

م - الإجازات

وتتميز بوفرتها في أعداد مرتفعة، ونختار نماذج منها موزعة بين صنفين :

أ - فهارس صغرى برسم الإحازة بها

1337 - «الفهرست الصغرى» لابن الخياط، سابق الذكر عند رقم 1322.

وهي التي ختمها بلائحة مؤلفاته، وقد ألم بالتعريف بها في «فهرس الفهارس» 289/1.

خ. س 1205 : أجاز بها الشيخ محمد بن الحسين العرائشي.

خ. س 11485 : أجاز بها المؤرخ ابن زيدان : أول مجموع.

1338 - «فهرست ابن زيدان» سابق الذكر عند رقم 1224.

ذكر به مشايخه المجيزين له بالمغرب وعند رحلته الحجازية الأولى، وأسانيدهم إلى مجموعة من الأثبات والفهارس وبعض المسلسلات...

محفوظ بخزانة خاصة في 13 ص من حجم متوسط، وبه خط المؤلف مجيزا به.

1339 ـ «الفهرست الصغرى» لابن الشريف، سابق الذكر عند رقم 1328.

منشورة عند محمد المنوني ضمن «وثائق ونصوص...» : المطبعة الملكية بالرباط 1976/1396 : ص 183 ـ 196.

ومنها مخطوطة خ. س 11980 : ضمن مجموع.

1340 ـ «مختصر العروة الوثقى» اسم الفهرست الصغرى لمحمد الحجوي، سابق الذكر عند رقم 1218.

مطبعة الثقافة بسلا 1938/1357 : 82 ص أصلا وفهرسة، في حجم متوسط.

1341 ـ «إحراز الفضل في فهرسة القاضي أبي الفضل»، تأليف العباس بن إبراهيم، سابق الذكر عند رقم 1273.

أثبت به نصوصا من إجازات شيوخه المغاربة وبعض المشارقة، مع أسانيده للمؤلفات المتداولة للدراسة آنذاك، وعين أشياخه الذين أخذها عنهم دراية، ثم ختم بتعداد مؤلفاته.

خ. س 9/10939 : مصور على الورق : 30 لوحة.

1342 ـ «فهرس لمحمد عبد الحي الكتاني سابق الذكر عند رقم 1254.

كتبه إجازة لقاضي مقصورة المواسين بمراكش أحمد بن محمد بن السعيدي العلوي : عام 1322 هـ.

خ. س 9983 : 16 ص بخط المجيز.

1343 ـ ولنفس المؤلف : «الفجر الصادق في إجازة الشيخ محمد الصادق».

اسم فهرس برسم إجازة قاضي المالكية بتونس : محمد الصادق بن محمد الطاهر النيفر التونسي : عام 1329 هـ.

فيقول المجيز في وصف الفهرس : «...عددت فيه مشايخي، ثم إسناد الست، والمسانيد الأربعة ونحوها من الكتب الرائجة، ثم إسناد الفقه المالكي، وإسناد كثير من الفهارس على حروف المعجم... وختمته ببعض الإنشادات المسندة والوصايا»، «فهرس الفهارس» 280/2.

خ. ع. ك 4/68، ص 48 ـ 144 : مبتور الأخير.

1344 ـ وللمؤلف نفسه : «بغية الراوي للفقيه أبي عبد الله محمد الصبيحي السلاوي».

أجاز بها باشا سلا محمد بن الطيب الصبيحي عام 1348 هـ.

خ. ع. ص 6/154. 12 ص بخط المجيز.

1345 ـ «الإسعاد بمهمات الإسناد» لعبد الحفيظ الفاسي، سابق الذكر عند رقم 1291.

لخص فيه أسانيده من طريق المغاربة، وخص بالذكر أسانيد حديث الأولية والموطأ والصحيحين والشمائل الترمذية والشفا.

منشور في المطبعة الوطنية بالرباط 1938/1357 : 64 ص في قطع صغير.

ب ـ مجموعات الإجازات لا على نسق الفهارس

1346 ـ «مجموعة إجازات» برسم المجاز بها محمد بن علي بن سليمان، الدمنتي البجمعوي المراكشي، المتوفى خلال عشرة الأربعين بعد ثلاثمائة وألف هـ.

خ. ع. ص 412 : 24 ص.

1347 ـ «مجموعة إجازات» صادرة لابن زيدان المتكرر الذكر.

تشتمل على 32 إجازة في أصولها بخطوط أو توقيعات المجيزين مغاربة ومشارقة[2].

ح. س 12562.

1348 ـ «مجموعة إجازات» باسم محمد عبد الحي الكتاني المتكرر الذكر :

80 إجازة صادرة عن عدة شيوخ من المشرق والمغرب وسائر شمال افريقيا : في نسخ من أصولها يضمها سفر.

خزانة خاصة بمراكش : 349 ص، في حجم وسط.

1349 ـ «مجموعة بها إجازات باسم عبد الحفيظ الفاسي المتكرر الذكر.

خ.ع 379 : مصورة على الشريط.

1350 ـ يلحق هنا «مجموعة من التراجم كتبها عبد الحفيظ الفاسي المشار له وشيكا.

عرف فيها بالشيوخ الذين أجازوا والده محمد الطاهر، وجده عبد الكبير الفاسي.

خ. ع. د 4413.

---

(2) يلحق بالمجموعة إجازة مفردة لابن زيدان من شيخه محمد المهدي الوزاني، حيث كتبها ـ بخطه ـ على أول فهرسه. خ.س 500 11 : ضمن مجموع.

ن - تاريخ الأنساب

1351 - «تأليف في الشعبة القادرية» لمحمد القادري، سابق الذكر عند رقم 1318.

خ. ع. ك 2854 : قطعة منه تتخللها إلحاقات وتشطيب بخط المؤلف.

وقارن مع «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» رقم 217.

1352 - «الجوهر النفيس...» : أرجوزة من نظم الكتاني : عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الحسني الفاسي، ت 1915/1333.

أرخ فيها للبيت الكتاني، فجاءت في نحو 500 بيت.

في خزانة خاصة بسلا.

1353 - «العمدة في ذكر من اشتهر نسبه الشريف بعمالة وجدة»، لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، سابق الذكر عند رقم 1221.

ذكر فيها الإمام عبد الله الكامل، وأبناءه الأئمة : محمد النفس الزكية، وإدريس الأول، وسليمان الداخل، وتوسع في عد فروع الأبناء الثلاثة، موزعا موضوعاته بين أربعة أبواب وخاتمة.

الموجود منها - في خزانة خاصة - ينتهي أثناء الباب الثالث، ويقع ضمن مجموع ص 444 - 463، في حجم وسط.

1354 - «الدرر السنية في أصل السلالة العمرانية : الشعروشنية والسبعية»، مؤلفه هو السبعي : أحمد بن محمد بن الحسن العمراني الحسني، من دويرة السبع بتافيلات، ت 17/1336 - 1918.

المطبعة العصرية بفاس دون تاريخ : 23 ص، في قطع متوسط.

1355 - «فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر»، تأليف حفيده المدغري : علي بن المصطفى بن محمد التهامي الحسني السجلماسي، كان حيا عام 18/1337 - 1919.

خ. س 12579 : 40 ورقة في حجم متوسط.

1356 - «النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة»، لمحمد بن جعفر الكتاني، سابق الذكر عند رقم 1262.

عرف فيها بالبيت الكتاني، وختم بترجمة موسعة لحياته إلى حين تأليف الكتاب، حيث فرغ منه عام 1338 هـ.

خ. ع. د 1846 : ووردت ترجمة المؤلف ص 211 ـ 275.

خ. ع 1324 : مصورة منها على الشريط.

1357 ـ «زهر الأس في بيوتات فاس» لعبد الكبير بن هاشم الكتاني، سابق الذكر عند رقم 1247.

صدره بمدخل مسهب تناول فيه تأسيس فاس وتقسيماتها وخزانة القرويين، وانتقل إلى التعريف بالعرب والبربر، مع العرب الداخلين إلى الشمال الافريقي من المائة الهجرية الخامسة، ثم حدد مدلول المغرب واقسامه، وترجم للإمامين الإدريسين، وعاد إلى ذكر فاس، فعدد خصوصياتها وفرق قبائلها، واستوعب هذا المدخل 66 ص، ليتخلص المؤلف ـ بعده ـ إلى موضوع الكتاب.

وقد هدف به إلى تاريخ بيوتات فاس القائمة والمنقرضة من غير الأشراف، مرتبا لألقابها على حروف المعجم، وهو يعتمد ـ في المعلومات عنها ـ على الوثائق العدلية القديمة وغيرها، وقد مر بيده منها أعداد كثيرة، مع ما اطلع عليه من نصوص المؤرخين، وبذلك فإن العائلات التي تتوفر لديه مستنداتها يتتبع أفرادها حتى يصل إلى عصره، وأحيانا : يضيف تراجم العلماء والصلحاء والنابهين من الأسر، مهما وجد ذكرها بالمصادر.

خ. ع. ك 1281 : السفر الأول إلى آخر حرف الجيم عند ص 568، في قطع متوسط.

خ. ع 1149 : مصور على الشريط.

خ. ع 2114 : مصور على الشريط.

1358 ـ «الأنباء المنشودة من شمائل رجال بيت بني سودة»، تأليف ابن سودة : محمد العابد بن أحمد بن الطالب المري الفاسي، ت 1940/1359.

محفوظ عند أسرته في مجلد ضخم.

1359 ـ «أنساب بعض شرفاء سوس» للباعقيلي : الحاج الأحسن بن محمد بن بوجمعة السوسي نزيل الدار البيضاء، ت 1949/1368.

المطبعة العربية بالدار البيضاء.

1360 ـ «المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية» لمحمد عبد الحي الكتاني، سابق الذكر عند رقم 1254.

خ. ع : 1990 مصورة على الشريط.

خ. ع. ص مصورة على الورق.

1361 ـ «أشهر مشاهير العائلات بالمغرب» لعبد الحفيظ الفاسي، سابق الذكر عند رقم 1291.

نشرت قطعة منه ـ تباعا ـ في جريدة «السعادة» عام 1917/1335.

1362 ـ «الدر اللألي في ثبوت الشرف البقالي» تأليف محمد بن محمد بن العياشي سكيرج، سابق الذكر عند رقم 1278.

منشور ـ في حجم صغير ـ بالمطبعة الحجرية الفاسية 1335 هـ : 75 ص عدا التقاريظ.

وأعيد طبعه ـ في حجم وسط ـ بمطبعة المضيق ش.م بطنجة 1987/1407 : 108 ص : نصا وتقديما عدا التقاريظ.

1363 ـ «الدفاع وقطع النزاع، عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع»، تأليف السباعي : عبد الله بن عبد المعطي بن أحمد الحسني ت.

المطبعة الاقتصادية بالرباط 1940/1359 : 168 ص عدا التقريظ والفهرس، في حجم صغير.

ص ـ محاولات في فلسفة تاريخ المغرب

عرفت هذه المرحلة تجاريب محدودة في هذا الاتجاه، وظهر ذلك ضمن بعض مؤلفات محمد السليماني ومحمد عبد الحي الكتاني، على أن مؤرخين عرضا هذا الموضوع في إطار بحث مستقل.

1364 ـ والقصد ـ أولا ـ إلى «الفتح العربي لافريقيا الشمالية» لمحمد الحجوي، سابق الذكر عند رقم 1218.

محاضرة ألقاها في المدرسة الخلدونية بتونس، يوم الأربعاء 12 شعبان 23/1350 دجنبر 1931.

نشرت ـ ومعها غيرها ـ في المطبعة الفنية بتونس دون تاريخ : ص 1 ـ 19، في قطع قريب من الكبير.

1365 ـ «فلسفة تاريخ دول المغرب»، لعبد الحفيظ الفاسي، سابق الذكر عند رقم 1291.

سلسلة محاضرات، ألقاها ـ سنة 1341 هـ ـ في نادي المسامرات في المدرسة العليا بالرباط.

مخطوطة عند أسرة المؤلف.

نشرت منها ثلاثة أقسام، موزعة بين ثلاثة أعداد ممتازة، من جريدة «المغرب» التي كان يصدرها المرحوم سعيد حجي :

- العدد الممتاز (2) بتاريخ 6 ذي الحجة 16/1358 يناير 1940.
- العدد الممتاز (3) بتاريخ 25 ذي الحجة 4/1358 فبراير 1940.
- العدد الممتاز (4) بتاريخ 18 محرم 27/1359 فبراير 1940.

ع ـ الرحلات

أ ـ رحلات حجازية

1366 ـ «رحلة» العلوي : إدريس بن عبد الهادي بن عبد الله الحسني الشاكري ثم الفاسي، ت 1913/1331.

وهي عن حجته الأولى عام 1871/1288.

خ. ع. د 1115 : في مجموع من ورقة 112/ب. إلى ورقة 123 ب.

خ. ع. ج 104.

خ. س 11509.

1367 ـ «رحلة» أحمد بن محمد بن الحسن السبعي، سابق الذكر عند رقم 1354.

كتبها عن حجته عام 1893/1310.

خ. ع. ك 2908 : 47 ورقة بخط المؤلف.

خ. ع 2196 : مصورة على الشريط.

1368 ـ «النحلة الموهوبة النجازية في الرحلة الميمونة الحجازية» : اسم رحلة المولى أحمد بن المامون بن الطيب العلوي البلغيثي الحسني الفاسي. سابق الذكر عند رقم 1081.

أرجوزة سجل فيها وقائع رحلته الحجازية عام 1927/1345 حتى استكمل 568 بيتا.

منشورة في المطبعة الجديدة بفاس 1346 هـ : 32 ص في قطع صغير.

1369 ـ ولهذه «الرحلة» شرح من تأليف ناظمها، غير أنه لم يكمل.

خ. ع. ص 367 : 176 ص.

1370 ـ «رحلة» بوشعرة : محمد حجي بن الهاشمي السلوي، كان بقيد الحياة عام 1930/1349.

دون بها ارتساماته عن حجته عام 1930/1348.

خ. ع. د 3259 : 108 ص.

خ. ع 2047 : مصورة على الشريط.

خ. ع 2198 : مصورة على الشريط.

1371 ـ «اللؤلؤة الفاسية في الرحلة الحجازية» : اسم رحلة السرغيني : عبد السلام بن محمد بن المعطي العمراني الحسني المراكشي، ت 1931/1350.

دونها عن وجهته للحج عام 1904/1321، وكان في رفقة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني.

خ. ع. ك 3/1012 : ص 111 ـ 212.

1372 ـ «الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية»، تأليف الحسن الغسال، سابق الذكر عند رقم 1236.

وصف فيها رحلته الحجازية عام 1898/1315.

خ. ع. د 1496 : في مجموع من ورقة 5 ب إلى ورقة 24 ب.

وللرحلة تحليل كتبه د عبد العزيز التمسماني خلوق، ونشره في «الملحق الثقافي» لجريدة العلم : عدد 27 نونبر 1981.

1373 ـ «رحلة» الجعيدي : إدريس بن محمد بن إدريس السلوي، ت 1941/1360.

وكان قد حج عام 1929/1347.

نشرت ـ تباعا ـ في جريدة «السعادة» عامي 1348، 1349 هـ.

ومنها مخطوطة خ. ع. ص 475 : 59 ص بخط المؤلف.

1374 ـ «الرحلة المكية» لأبي العباس أحمد سكيرج سابق الذكر عند رقم 1284.

كتبها عن رحلته عام 1916/1334، وكان ذهب ـ على رأس وفد من الحجاج ـ برسم النيابة عن العاهل المغربي مولاي يوسف، في تهنئة شريف مكة الحسين بن علي بالاستقلال، مع الإشراف على تأسيس رباطين مغربيين، بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

وقد بدأت الرحلة مساء السبت 20 شوال، فخرج المؤلف من فاس برفقة نواب عن تونس والجزائر والسنيغال، ومن فاس توجهوا ـ عبر مكناس فالرباط ـ إلى الدار

البيضاء، ومنها أبحروا إلى مرسيليا فباريس، وعادوا إلى مرسيليا فسافروا منها إلى الاسكندرية، ومنها إلى جدة فمكة المكرمة...

خ. س 12499 : 154 ورقة.

خ. ع مصورة على الشريط.

1375 ـ «الرحلة المغربية المكية» لأحمد الصبيحي، سابق الذكر عند رقم 1239.

وكان حج في نفس العام والمناسبة، بين مجموعة من أعيان العدوتين.

خ. ع. د 1/1850 : ص 1 ـ 35.

خ. ع 1216 : نسخة أخرى مصورة على الشريط.

نشرها في جريدة «السعادة» عام 1917/1335.

1376 ـ «رحلة» عبد الرحمن بن زيدان، سابق الذكر عند رقم 1224.

قطعة منها، بها بعض وقائع حجته الثانية عام 1938/1356، مع ارتساماته عن زيارته لمصر وسوريا ولبنان.

خ. س 12381.

وهناك أحاديث للمؤلف عن هذه الوجهة، منشورة في ستة أعداد من جريدة «السعادة» عام 1938/1357.

1377 ـ «الرحلة المكية» لأحمد بن محمد الرهوني، سابق الذكر عند رقم 1271.

وهي عن الرحلة التي قام بها رئيسا لوفد الحجاج من المغرب الشمالي عام 1937/1355.

منشورة في مطبعة الأحرار بتطوان 1941 : 247 ص نصا وفهرسة، في قطع متوسط.

1378 ـ «الرحلة المَعَيْنية المحررة إلى مكة والمدينة المنورة»، مؤلفها هو الشنجيطي : محمد ماء العينين بن محمد العتيق، ت 1956/1376.

دونها عن رحلته الحجازية عام 1939/1357.

خ. ع 80 : مصورة على الشريط من أصلها في سفر مقسم إلى جزءين.

خ. س 10922 : مصورة منها على الورق.

1379 ـ «الرحلة الميمونة الغرا، في بعض ما شاهدته برا وبحرا»، مؤلفها هو ابن سودة : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر المري الفاسي، ت 1969/1389، وهي عن حجته عام 1910/1328.

ظهر منها الجزء الأول منشورا في مطبعة فاس 1350 هـ : 65 ص عدا التقاريظ، في قطع وسط.

ملاحظة : للرحلة اسم ثان أثبته المؤلف على غلافها : «الرحلة الكبرى في أخبار هذا العالم برا وبحرا».

1380 ـ «رحلة» عواد : أبي بكر بن علي السلوي، ت 1971/1391.

منشورة ـ تباعا ـ في جريدة «السعادة» ابتداء من عام 1931/1350، وكانت عن حجته عام 1348 هـ.

1381 ـ «الرحلة العلوية للديار المصطفوية» من تأليف العلوي : محمد بن الطيب بن الحسين الحسني الاسماعيلي السلوي القائم الحياة.

كتبها عن حجته عام 1951/1370.

خ. س 10972 : 26 ص مرقونة.

ب ـ رحلات داخل المغرب
وإلى البلاد الإسلامية

1382 ـ «الرحلة الشرقية» تأليف الصقلي : محمد بن يحيى بن الرشيد الحسيني الفاسي نزيل الدار البيضاء، ت 1935/1354.

وكان قام برحلة إلى مصر وسوريا وفلسطين وتركيا خلال عام 1928/1347، ونشر من رحلته قسم تركيا، رغبة منه في تعريف المغاربة بواقع الأتراك المسلمين، بعد قيام الجمهورية التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك سنة 1923.

جريدة «السعادة»، بدءا من عدد الخميس 17 جمادى الأولى 1347/ 1 نونبر 1928، ثم انتهاء عند عدد السبت 13 رمضان 1347 / 23 فبراير 1929.

1383 ـ «الرحلة الزيدانية» لأبي العباس أحمد سكيرج، سابق الذكر عند رقم 1284.

كتبها عن زيارته لمكناس، استجابة لدعوة من جهة صديقه المؤرخ ابن زيدان، بمناسبة عيد المولد النبوي عام 1908/1326.

وقد ملأ الرحلة بأدبيات أكثرها شعرا، في مساجلات دارت بينه وبين الذين اجتمع بهم من علماء وأدباء مكناس وفاس، وبينهم مضيفه...

خ. ع 1030 : مصورة على الشريط : 150 لوحة.

1384 ـ ولنفس المؤلف : «الرحلة الحبيبية الوهرانية...».

وهي عن رحلته للجزائر عام 1911/1329، حيث زار وهران ومستغانم وتلمسان وبلعباس، فيذكر الذين لقيهم من تجار المغاربة، ثم من أعيان الجزائر الذين قدم نبذا من حياتهم، كما اهتم بذكر المباحثات العلمية المنوعة، وقد كانت مع الذين اتصل بهم : مغاربة وجزائريين.

منشورة في المطبعة الحجرية الفاسية بخط المؤلف دون تاريخ، وفي حجم وسط : 139 ص عدا الفهرس.

1385 ـ وللمؤلف نفسه : «غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود».

وهي الرحلة التي قام بها ـ بعد سابقتها ـ عام 1911/1329، وقد كان في صحبة الشيخ محمود بن البشير بن محمد الحبيب بن الشيخ أحمد التجاني، فرافقه في جولته من فاس إلى مكناس فزرهون حتى انتهى إلى الرباط، ثم لم يسر معه إلى بقية جهات المغرب.

فيعاود فيها الحديث عن علماء وأدباء مكناس، مع ما زاره من مئاثر المدينة، على أن أهمية الرحلة تكمن في الارتسامات التي يدونها المؤلف، عن واقع الطريق الرابطة بين مكناس وسلا والرباط، فيقدم معلومات مهمة ـ وحينا نادرة ـ عن هذه المنطقة، قبيل أن يطل المغرب على طوره الجديد، وهكذاتكشف الرحلة عن المعالم الأثرية عبر الطريق، وخصوصا ما يبدو للعيان من ءاثار مدينة وليلي وما جاورها، مع وصف المستنقعات التي كانت تعطى مساحة كبرى من بسيط «بني حسن»، إلى ما يشاهد بجهاتها من أصناف الدواب المتوحشة، فضلا عن ذكر القبائل والعادات...

خ. ع 1029 : مصورة على الشريط : 202 لوحة.

1386 ـ «الرحيلة الثانية» لأحمد الصبيحي، سابق الذكر عند رقم 1239.

وكانت إلى مصر عام 1934/1353، فيقول في افتتاحيتها : «أما بعد : فقد سلفت لي رحلة إلى مصر مع فلسطين ولبنان عام 1929/1348، قيدت فيها كليمة في مشاهداتي الخفيفة التي كانت أثرية ووصفا في الغالب.

وهذه الرحلة الثانية إلى مصر، قصدت فيها - أولا - الاطلاع على عدة كتب فوق العشرة، موجودة في الدارج - بمصر والشام - بدار الكتب المصرية، مع الاجتماع ببعض علماء جلة لهم إطلاع واسع في الموضوع...»».

منشورة في المطبعة الوطنية بالرباط دون تاريخ، في قطع وسط : 24 ص.

1387 - «العقوذ الزبرجدية في جيد الرحلة السلطانية المحمدية» تأليف عبد الرحمن ابن زيدان، سابق الذكر عند رقم 1224.

أرخ فيها لرحلة السلطان محمد الخامس في ربوع المغرب السلطاني أواسط عام 1941/1360، وتوسع - كثيرا - في تاريخ سجلماسة.

في خزانة خاصة بالرباط.

1388 - «خطوات وخطرات» لعبد الحفيظ الفاسي، سابق الذكر عند رقم 1291.

وهي رحلته التي دون بها ارتساماته عن بعض مدن المغرب الساحلية، بعدما تجول بها عام 1910/1328.

خ. ع. د 1/4401 : طرف منها بخط المؤلف.

ونشر منها فصلين في «مجلة الثقافة» التي كانت تصدر بسلا :

الفصل الأول : بالعدد 2. شتنبر 1941 : ص 71 - 75.

الفصل الثاني : بالعدد 4 - 5 (مزدوج). نونبر - دجنبر 1941 : ص 177 - 181.

1389 - «المقالة المرومة في الرحلة إلى تلمسان وندرومة»، مؤلفها هو السناني : محمد الرضي بن ادريس بن علي، المالكي البكري ثم الفاسي، نزيل الدار البيضاء فأزمور، ت 1965/1385.

وهي عن رحلته - عام 1922/1341 - في اتجاه المدينتين المشار لهما في عنوان المقالة، وقد مر في طريقه بمدينتي تازا ووجدة، فينوه بالمدن الأربع، ويدون ارتساماته عن معالمها وأعلامها، ويتوسع - أكثر - في حديثه عن تلمسان، وعن حي العباد منها حيث مشهد الشيخ أبي مدين.

خ. س 12236 : 48 ورقة من قطع وسط.

ج - رحلات إلى فرنسا وانكلترا

1390 - «رحلة الوفد الميمون إلى مدينة ليون»، لأحمد الشرايبي الفاسي نزيل مدينة الجديدة، كان حيا عام 1919/1337.

جمعها عن رحلته مع وفد مغربي إلى المعرض التجاري بمدينة ليون، وقد دام خمسة عشر يوما ابتداء من فاتح مارس 1919 (28 جمادى الأولى 1337)، فعينت الإقامة العامة لزيارته ثمانية من التجار المغاربة من سبع مدن : الجديدة التي ينوب عنها المؤلف، مع فاس والرباط ومكناس والدار البيضاء وأسفي ومراكش.

وإلى معرض ليون، زار الوفد أهم مدن فرنسا، ووقف على المعامل الصناعية وديار التجارة، فضلا عن المتاحف والمئاثر والمتنزهات.

مخطوطة في خزانة خاصة، ويتخللها تصحيح ـ بخط ولون مغاير ـ لتقويم بعض تعابيرها : 58 ورقة في حجم صغير.

1391 ـ «حديقة التعريس في بعض وصف ضخامة باريس» للفاسي : عبد الله بن عبد السلام بن علال الفهري، ت 1929/1348.

ضمنها بعض مشاهداته في باريس سنة 1909، وسامر بها في المدرسة الثانوية بفاس عام 1915/1334.

منشورة في نفس العام في قطع قريب من الصغير، وصدرت عن مطبعة المكينة المخزنية بفاس : 32 ص عدا التقاريظ.

1392 ـ «تقييد الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الانجليزية»، تأليف الحسن الغسال، سابق الذكر عند رقم 1236.

وصف فيها الرحلة التي رافق فيها قائد طنجة عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي الطنجي، وكان هذا ذهب سفيرا عن السلطان العزيز إلى عاهل بريطانيا إدوارد السابع، لحضور حفلات تتويجه عام 1902/1320.

خ. ع. د 3/1496.

وعن هذه المخطوطة كان نشر الرحلة بمبادرة د عبد الهادي التازي : مجلة «البحث العلمي» بالعدد 29 ـ 30 «مزدوج» 1879/1399 : 191 ـ 208.

1393 ـ ولنفس المؤلف : «رحلة إلى جبل طارق».

تقييد وجيز سجل فيه مسار الرحلة التي رشح لها القائد ابن عبد الصادق المذكور وشيكا، لينوب عن السلطان العزيز في تحية العاهل البريطاني إدوارد السابع، بمناسبة زيارته لجبل طارق في محرم 1321/ أبريل 1903، وكان المؤلف عضوا في هذه السفارة.

نشرت الرحلة في «مجلة دار النيابة» بطنجة، عدد 18. خريف 1986 : ص 49 - 50.

1394 - «الرحلة الأولى إلى فرنسا» لأحمد الصبيحي، سابق الذكر عند رقم 1239.

بدأ نشرها في جريدة «السعادة» من عدد 3089، سنة 23، بتاريخ 13 شوال 16/1345 أبريل 1927 : نفس السنة التي سافر فيها.

1395 - وللمؤلف نفسه : «الرحلة الثانية إلى فرنسا».
بدأ نشرها في جريدة «السعادة» من عدد 3744، سنة28.

1396 - وقد وصلت رحلات المنوه به في هذا الاتجاه إلى «الرحلة السادسة إلى فرنسا»، وكانت عام 1939/1358، قصدا للاستشفاء بماء فيشي.
خ. ع. ص 510 : 28 ص.

1397 - «أسبوع في باريز» لمحمد بن عبد السلام السائح، سابق الذكر عند رقم 1241.

رحلة عن سفره إلى فرنسا عام 1922/1340، بعدما استدعي هو ورفيقه للمساهمة في تحديد السمت لقبلة المعهد الإسلامي بباريس، وحضر للغرض ذاته وفد من الجزائر وثان من تونس.

فيشرح المؤلف مسار مباشرتهم للمهمة التي انتدبوا لها، ويفيض في ارتساماته عما شاهده في كل من بوردو وباريس، فضلا عن المباحثات العلمية المنوعة مع الذين اجتمع بهم من أهل العلم...

خ. س 161 : 70 ص في حجم متوسط.
خ. ع 1739 : مصورة على الشريط.

1398 - «رحلة إلى فرنسا وانكلترا» لمحمد الحجوي، سابق الذكر عند رقم 1218.
خ. ع. حـ 3/115.
خ. ع 926 : مصورة على الشريط.

د ـ رحلتان إلى المغرب

تعددت الرحلات من خارج المغرب إليه، ونذكر هنا رحلتين من تأليف كاتبين مغربيين، بينما نرجئ الرحلات التي دونها مؤلفون من خارج المغرب إلى مكانها من هذه المحاضرة.

1399 ـ «الكلمات الذهبية في أخبار الرحلة المغربية...»، لمحمد بوجندار، سابق الذكر عند رقم 1235.

كتبها عن الرحلة التي قام بها إلى المغرب، ميلران رئيس الجمهورية الفرنسية عام 1922/1340.

المطبعة الرسمية بالرباط 1922/1340 : 110 ص في حجم متوسط.

1400 ـ وفي مناسبة مماثلة نشير إلى «رحلة» من عمل الأوراوي : مَحمد بن محمد الرباطي، ت 1934/1353.

جمعها عن الرحلة التي قام بها إلى المغرب غاستون دوميرك رئيس الجمهورية الفرنسية عام 1931/1349.

المطبعة الرسمية بالرباط 1932 : 227 ص في قطع وسط.

ف ـ مصادر من خارج المغرب

أ ـ تاريخ

1401 ـ «حقائق الأخبار. عن دول البحار»، تأليف المير ألاي : اسماعيل باشا بن سَرْهَنْك بن عبد الله الكريدي نزيل مصر، ت 1925/1343.

هدف به إلى التعريف بأهم الدول البحرية : القديمة والحديثة، حتى يسد الفراغ البادي بالمصادر العصرية المدونة باللغة العربية، ووزع موضوعاته بين مجلدين وجزء صغير، فجاء الباب العاشر يتناول تاريخ المغرب إلى نهاية ق 19 : 269/1 ـ 354.

المطبعة الأميرية بمصر : الأول والثاني 1314 ـ 1316 هـ، والثالث 1923/1341 : 772 × 584 × 128 ص، ولم يتم طبع الجزء الأخير.

1402 ـ «تاريخ الصحافة العربية» تأليف دي طرّازي : الفيكونت فيليب اللبناني، ت «1375» / 1956.

دليل للتعريف بالجرائد والمجلات العربية مشرقا ومغربا، من تاريخ ظهورها حتى نهاية 1929، وجاء حديث الصحافة المغربية : 266/4 ـ 269.

الأجزاء 1 ـ 3 بالمطبعة الأدبية، بيروت 1913 ـ 1914 : 160 × 336 × 96 ص.

الجزء 4 : المطبعة الأميركية، بيروت 1933 : 544 ص.

1403 ـ «الدولة العربية المتحدة» لأمين سعيد السوري نزيل القاهرة، ت 1967.

ثلاثة أجزاء، الثاني : تاريخ الاستعمارين الفرنسوي والإيطالي في بلاد العرب.

الثالث : تاريخ اليقظة القومية، فيأتي بين موضوعات هذا الجزء، تفاصيل مهمة عن الحرب الريفية، وزعيمها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي.

مطبعة عيسى الحلبي وشركائه بمصر 1936 ـ 1938.

1404 ـ «موجز التاريخ العام للجزائر»، تأليف عثمان الكعاك التونسي، ت 1976/1396.

أو جزفيه تاريخ الجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، وبحكم التاريخ المشترك مع المغرب، يتوفر هذا المصدر على معلومات كثيرة عن هذه المنطقة.

مطبعة العرب بتونس 1344 هـ : 482 ص في قطع الجيب.

1405 ـ وللكعاك «مراكز الثقافة في المغرب».

محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافية، في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة.

فيستوعب أصناف المدارس القديمة بشمال افريقية من القرن العاشر إلى التاسع عشر، بدءا من المغرب فالجزائر فتونس فليبيا.

وعند كل منطقة يبرز مراكز التعليم، من الكُتّاب إلى الأماكن الأخرى للدراسات المتدرجة، ويهتم برصد جهاز هذه المراكز، من التلاميذ والطلبة والمعلمين والأساتذة ومواد الدراسة والكتب والمساكن والنفقات... فضلا عن تتبعه للرباطات بهذه المناطق، وإلمامه بالمستوى الثقافي لكل من البلدان المغاربية عبر العصور القديمة.

وإلى الكتب 300 التي يذكر المؤلف أنه رجع إليها، يضيف لذلك ـ من جهته ـ مشاهدات وتجارب وتفكير... غير أنه يوخذ عليه إسرافه في التعميم في عدد من أحكامه، أو التخصيص مكان التعميم في أحكام أخرى.

والمحاضرات منشورة بمبادرة معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة، وصدرت عن المطبعة الكمالية بالقاهرة 1958 : 134 ص في قطع متوسط.

1406 ـ ولنفس المؤلفات رسالة باسم «البربر».

وفيها يلقي نظرات معمقة عن مئاثر هذا الجيل بشمال افريقية، إنطلاقا من العصور القديمة، ثم عصر الإسلام، وفي الفصلين الخامس والسادس : الآداب البربرية والفن البربري، وأخيرا : الوحدة البربرية، وخلال تفاصيل الموضوع تأتي معلومات جد مهمة، يستقيها المؤلف من منوعات المصادر عربية وأجنبية.

مطبعة الترقي بتونس دون تاريخ، وصدر ضمن سلسلة «كتاب البعث» : 141 ص في حجم صغير.

ب ـ تراجم الجماعات

1407 ـ «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» تأليف محمد بن محمد مخلوف المنستيري التونسي ت 1941/1360.

استوعب 1719 ترجمة للمالكية مشرقا ومغربا، وضمنهم جماعات من المغاربة.

المطبعة السلفية بالقاهرة 1350 هـ، 438 ص في قطع كبير، فضلا عن الملاحق والفهرس.

1408 ـ تعريف الخلف برجال السلف» للحفناوي : أبي القاسم محمد بن الشيخ بن «أبي القاسم الديسي الهاملي نزيل مدينة الجزائر، ت 1942/1361.

مجموعة تراجم تزيد على 400 ترجمة للعلماء ومن إليهم : من أهل الجزائر والنازحين إليها : مغاربة وسواهم، إلى عصر المؤلف عند بداية ق 20.

مطبعة فونتانة بالجزائر 1325 ـ 1907/1327 ـ 1909، في سفرين من قطع متوسط : 207 × 624.

1409 ـ «إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان، في أسانيد الشيخ عمر حمدان»، تأليف الفاداني : محمد ياسين بن محمد عيسى المكي القائم الحياة.

اختصر به تأليفه «مطمح الإخوان» مرتبا له في قسمين، وجاء الفصل الأول من القسم الأول، يعرف بأربعين اسما من مشايخ محدث الحرمين الشيخ عمر حمدان ت 1949/1368، فيرد بين شيوخه عدد من المغاربة.

نشر منه القسم الأول، وصدرت الطبعة الثانية عن دار البصائر 1985/1406 : 272 ص : نصا ومقدمات وفهرسة، في قطع متوسط.

ج - تراجم الأفراد

1410 - «تحفة الزائر في مئاثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر»، تأليف ابنه محمد باشا بن الأمير عبد القادر بن محيي الدين الحسني الجزائري نزيل دمشق، ت 1913/1331.

ترجمة موسعة لحياة الأمير المجاهد، وخصوصا أعماله البطولية، وسيرته العلمية، فضلا عن أخبار منوعة عن المغرب، وعلاقته بالجزائر أواسط ق 19.

المطبعة التجارية بالاسكندرية في جزءين من قطع متوسط 1903 : الأول : في جهاد المترجم ضد فرنسا : 332 ص أصلا وفهرسة.

والثاني : في سيرته العلمية : 314 ص أصلا وفهرسة.

وعن دار اليقظة العربية - بيروت صدرت الطبعة الثانية 1964/1384، جزءان من نفس القطع : 938 ص متسلسلة عدا التقديم والفهرس، بتعليق د ممدوح حقي.

1411 - «تاريخ الأمير علي الجزائري»، أشرف على تأليفه نجله الأكبر الأمير سعيد، ت 1970/1390.

من مغربياته كتاب للسلطان عبد الحفيظ، جوابا عن رسالة من المترجم.

مطبعة الترقي - دمشق 1918 في حجم صغير.

1412 - «جمال الدين القاسمي»، هو عنوان الترجمة الوافية التي كتبها ظافر القاسمي (القائم الحياة)، لوالده محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، القاسمي الدمشقي.

به ثلاث مراسلات بين المترجم وعالمين من فاس : ص 561 - 571، مع ص 629 - 631، إلى إشارات أخرى مغربية قليلة.

المطبعة الهاشمية بدمشق 1966/1385 : 702 ص في قطع وسط.

د ـ رحلات

1413 ـ «عقود الجواهر، في حلول الوفد المغربي بالجزائر»، تأليف الكمال ابن الخوجة : محمد بن مصطفى الجزائري، ت 1915/1333.

رسالة صغيرة، كتبها بمناسبة وصول بعثة مغربية للجزائر، موفدة من وزارة الخارجية المغربية برئاسة محمد الجباص، فيصف مافوبل به الوفد المغربي من ترحيب رسمي، وعلى مستوى نخب من أعيان ونزلاء الجزائر، وقد امتدت إقامة الوفد من 22 شعبان إلى 9 شوال 1902/1319.

ومن الجدير بالإشارة أن مهمة هذه البعثة، كانت للعمل على تطبيق مقتضيات الوفق الفرنسي المغربي (المشئوم)، المنعقد في باريس 1901/1320.

مطبعة فونتانة بالجزائر 1902/1319 : 25 ص من قطع صغير.

1414 ـ «من مصر إلى مصر» لمحمد بك فريد بن أحمد فريد باشا القاهري، رئيس الحزب الوطني بمصر، ت 1919/1338.

والقصد إلى رحلة سجل بها ارتساماته عن زيارته لإسبانيا، والمغرب : (طنجة)، والجزائر، سنة 1901.

مطبعة الموسوعات بمصر 1319 هـ : 84 ص في قطع متوسط.

1415 ـ «رحلة السلطان مولاي يوسف إلى فرنسا»، دون أعمالها كاتب فرنسي في أسلوب تطغى عليه الرسميات، ثم عربها عبد السلام بن يوسف المترجم الممتاز حسب تعبيره.

وكان القصد من هذه الرحلة، إلى رئاسة عاهل المغرب لحفل الافتتاح الرسمي للمعهد الإسلامي ومسجد باريس، خلال شهر يوليوز 1926 «محرم 1345».

وقع الفراغ من الترجمة وتصحيحها، يوم 20 ربيع الثاني 17/1346 اكتوبر 1927، وفي نفس السنة نشرت ـ موضحة بالصور ـ في المطبعة الدولية بباريس : 145 ص من حجم كبير عريض.

1416 ـ «رحلتي إلى بلاد المغرب والأندلس»، هكذا يسميها يوسف أسعد داغر، وهي من تأليف الخالدي : خليل جواد بن بدر بن مصطفى، المخزومي الديري ثم المقدسي، ت 1941/1360.

دخل المغرب عامي 21 ـ 1322/ «1904»، وزار مدن فاس ومكناس، ثم طنجة ومنها أبحر إلى الأندلس، واهتم في رحلته بالبحث عن الكتب، ويضيف عبد الحفيظ

الفاسي : «وعهدي به أنه يكتب رحلته إلى بلاد المغرب»، غير أن الجهة التي تحفظ بها هذه الرحلة لا تزال غير واضحة.

1417 ـ «رحلة» الجودي : محمد بن محمد بن صالح التميمي القيرواني التونسي، ت 1943/1362.

وكانت عن وجهته الحجازية عام 1913/1331، وهي السنة التي حج فيها السلطان عبد الحفيظ وابن جعفر الكتاني وابن زيدان، فيرد عند الرحالة ذكرهم.

نشرت ملخصات منها متسلسلة في مجلة «العرب» السعودية التي تصدرها دار اليمامة، والإشارة هنا إلى ثلاثة أعداد :

- ج 3 ـ 4 (مزدوج) سنة 16 : ص 255.
- ج 9 ـ 10 (مزدوج) سنة 16 : ص 763.
- ج 3 ـ 4 (مزدوج) سنة 17 : ص 257.

هـ ـ منوعات

1418 ـ «مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة».

اشتمل على قوانين الإدارة الجزائرية المدنية والعسكرية، مضافا لها بعض التنظيمات التونسية، ومجموعها مترجم إلى العربية بمبادرة الوالي العام للجزائر.

ثم قام بمراجعتها والإضافة لها الكمال ابن الخوجة، سابق الذكر عند رقم 1413، فجاءت تشتمل على جزءين : الأول المدني، والثاني العسكري.

مطبعة فونتانة بالجزائر 1902/1320 : 248 ص أصلا وتقديما وفهرسة : الجزء الأول.

1419 ـ «بيوتات سلا»، ألفه ـ بالفرنسية ـ رئيس بلديتها جان كوستي، وعربه ترجمان نفس الإدارة عشاش : بلقاسم بن العربي الجزائري عام 1926/1344.

أوجز في الباب الأول التعريف بسلا، ليتخلص إلى الموضوع الرئيسي : العائلات المرموقة بهذه المدينة، وبعدما أفاض في عروضها، ذيل بالإشارة إلى الأسر المنقرضة أو التي على وشك الانقراض.

وفي الباب الثالث ألقى نظرة عمومية على بعض أشغال العائلات السلوية واهتمامها، وأخيرا : الحالة السياسية للسكان.

خ. ع. ص 2/146 : 76 ص بخط المترجم.

خ. ع. 1004 : مصورة على الشريط من نسخة بخط محمد بن عبد القادر فرفرة الرباطي.

1420 ـ «التجارة العصرية» لابن وطاف : عبد الحق بن صالح القسنطيني، مدير المدرسة الفرنسية بفاس، توفي نحو 1957/1376.

ألفه تعريفا بقواعد التجارة العصرية، وهدف به إلى توعية تجار الجزائر والمغرب بالأساليب الجديدة في المعاملات التجارية، وصنفه في مقدمة وثلاثة أقسام رئيسية :

ـ القسم الأول : في الفقه التجاري الفرنسي.

ـ القسم الثاني : في مسك الدفاتر.

المطبعة الحفيظية السلكية بفاس.

ـ القسم الثالث : في المراسلات التجارية العصرية.

1329/«1911» : 351 ص عدا التقاريظ، في حجم صغير.

1421 ـ «حسن الوفاء لأل البيت النبوي، في مئاتر ملوك العرش العلوي»، اسم ديوان معمري : محمد بن محمد بن محمد (ثلاثا) بن علي الزواوي نزيل المغرب، ت 1392 / 1972.

المطبعة الملكية بالرباط 1964/1384 : 230 ص : نصا وفهرسة عدا التقديم، في قطع قريب من الكبير.

قائمة الرسائل والأطروحات الجامعية
المناقشة والمسجلة بكلية الآداب بالرباط
(القسم الخامس)

إعداد : مصلحة النشر

نشرت مجلة الكلية الأقسام السابقة من هذه القائمة في أعدادها الماضية كما يلي:

القسم الأول : عن الفترة مابين 1963 و 1980، في العدد السابع، صفحات: 289 ـ 305.

القسم الثاني : عن الفترة مابين اكتوبر 1980 واكتوبر 1985 في العدد الثاني عشر، صفحات : 221 ـ 241.

القسم الثالث : عن الفترة مابين اكتوبر 1985 واكتوبر 1986 في العدد الثالث عشر، صفحات: 291 ـ 307.

القسم الرابع : عن الفترة مابين اكتوبر 1986 ودجنبر 1987 في العدد الرابع عشر صفحات: 231 ـ 249،

وتنشر في هذا العدد القسم الخامس للفترة مابين يناير 1988 ودجنبر 1989. وذلك حسب التصنيف التالي:

أولا : قائمة الأطروحات والرسائل التي وقعت مناقشتها لنيل:

1 ـ دكتوراه الدولة.

2 ـ دبلوم الدراسات العليا.

ثانيا : قائمة الأطروحات والرسائل المسجلة لنيل :

1 ـ دكتوراه الدولة.

2 ـ دبلوم الدراسات العليا.

وقد تم ترتيب ذلك حسب تخصصات الشعب.

أولا : الأطروحات والرسائل التي نوقشت لنيل دكتوراه الدولة ودبلوم الدراسات العليا

1) دكتوراة الدولة :

شعبة اللغة العربية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
1988/6/10	أ. عباس الجراري	المراني الحسن	ـ المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين . . . .
88/10/17	أ. جمال الدين بن الشيخ	بنيس محمد	ـ الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها . . . .
88/10/31	أ. عباس الجراري	خليل فاطمة	ـ الرحلة في الأدب المغربي . . . .
1989/2/20	أ. محمد مفتاح	العمري محمد	ـ «الموازنات الصوتية في لغة الشعر» . . . .
89/4/5	أ. أمجد الطرابلسي	فخر الدين محمد يوسف عامر	ـ مدرسة الثعالبي في التراجم والدراسات الأدبية . . . . .
89/7/19	أ. عباس الجراري	المراكشي عمر	ـ البطل في الرواية الفلسطينية ـ دراسة في أعمال جبرا إبراهيم جبرا ـ غسان كنفاني ـ إميل حبيبي . . . .
89/7/31	أ. محمد بنشريفة	التازي سعود عبد الوهاب	ـ كتاب النصوص لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي ـ دراسة وتحقيق ـ . . . .
89/9/22	أ. محمد الكتاني	لحمداني حميد	ـ النقد الروائي العربي بين النظرية والتطبيق . . . . .

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
88/7/4	أ. رشدي فكار	ربيع مبارك	ـ مخاوف الأطفال وعلاقتها بالوسط الاجتماعي : دراسة ميدانية على أطفال المرحلة الابتدائية في المدينة (الرباط) . . . .
88/11/29	أ. محمد عزيز الحبابي	وعزيز الطاهر	«المنهاج في التأريخ للفلسفة، دراسة تحليلية ونقدية» .
89/11/1	أ. محمد عابد الجابري	بنسعيد العلوي سعيد	ـ الخطاب الأشعري ـ مكوناته وآلياته المعرفية . . . . .

شعبة الإسبانية وآدابها

89/9/22	M. Marc Contard	صابر أحمد	– Estratégios linguisticas del hunor (Quevedo) -

شعبة اللغة الفرنسية وآدابها

89/12/17	M.C. Allaigne	ميمس عبد الله	Signifiance et interculturalité (dans les textes de khatibi, Meddeb et benjelloun) -

2) دبلوم الدراسات العليا (السلك الثالث) :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«أصول الإبداع الأدبي في العصر السعدي»	لغزالي سالم	أ. عباس الجراري	88/1/8
«جوانب فلسطينية في أدب الرحلات المغربية من أواخر القرن السابع إلى أواسط القرن الثاني عشر الهجريين» . .	سليمان خليل العطاونة	أ. عباس الجراري	88/1/22
«الخطاب النقدي بالمغرب حول موضوع الشعر 1930 ـ 1980»	ناظم عبد الجليل	أ. أحمد اليبوري	88/2/11
«تعلم اللغة في الفكر العربي القديم تطبيق على القصر» .	أوراغي محمد	أ. أحمد المتوكل	88/4/4
«تكنيك الخطاب الروائي في أعمال الطيب صالح» . . .	تراوري عمر	أ. أحمد اليبوري	88/4/11
«شعر كعب بن مالك الأنصاري دراسة إحصائية»	وهوب أحمد	أ. أمجد الطرابلسي	88/5/25
«بنية اللغة الشعرية في القصيدة العربية المعاصرة» . . .	وهب عبد العزيز	أ. أحمد المعداوي	88/5/26
«العلة النحوية عند ابن جني من خلال الخصائص» . .	البسيري عبد الكريم	أ. أحمد العلوي	88/5/27
«في البنية الإيقاعية للشعر الجاهلي (علاقة البحر بالغرض) دراسة إحصائية»	لمومني المصطفى	أ. أمجد الطرابلسي	88/5/31
«شعر الرثاء في السيرة النبوية لابن هشام ـ جمع المتن الشعري وتحقيقه ودراسته»	أزوكاي صالح	أ. أمجد الطرابلسي	88/6/9
«بنية الشكل في الخطاب الروائي ـ محاولة اقتراب بنيوية من الرواية المغربية»	بحراوي حسن	أ. أحمد اليابوري	88/6/10
«القصيدة العربية القديمة بين الوحدة والتفكك من خلال أشهر كتب المختارات الشعرية القديمة»	طالبي عبد الرحمان	أ. أمجد الطرابلسي	88/6/13
«الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب، تأليف عبد القادر بن عبد الرحمن السلوي . .	الياسمي عبد الله	أ. عزة حسن	88/6/14
«شعر عبد الله القباج : دراسة»	فراجي عبد القادر	أ. عباس الجراري	88/6/15
«بنية الطموح والفشل في أعمال زفزاف الروائية، مقاربة بنيوية تكوينية»	بوطيب عبد العالي	أ. عباس الجراري	88/6/22
«نص الرواية العربي ـ مدخل إلى سوسيولوجيا النص الأدبي»	يقطين سعيد	أ. أحمد اليبوري	88/6/24
«مظاهر انسجام الخطاب»	خطابي محمد	أ. محمد مفتاح	88/6/27
«الشعر العربي في المغرب في عصر الموحدين، الأطر التاريخية والثقافية»	جاري محمد	أ. أحمد الطريسي	88/6/28
«الشعر الملحون في آسفي»	البصكري منير	أ.عباس الجراري	88/7/6
«بنية القصيدة الغزالية في شعر أبي الربيع سليمان الموحدي»	بوشامة عبد الإله	أ. عباس الجراري	88/7/13
«بنية العطف في اللغة العربية»	بوشايد ميلود	أ. أحمد العلوي	88/7/18
«تقنيتا الزيادة والحذف في النحو العربي : نموذج سيبويه»	العمري محمد	أ. أحمد العلوي	88/7/19
«أسس الخلاف النحوي ـ نموذج كتاب الأنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري»	الهاشمي أحمد	أ. أحمد العلوي	88/7/20

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«القصـة في الشعر العربي القـديم (من العصر الجـاهلي إلى نهاية العصر الأموي)»	كُنون الحسني محمد	أ. جعفر الكتاني	88/12/14
«الشعر المغربي الحديث بين الإيديولوجيا ومفهوم الحداثة (1960 ـ 1980)»	الحجاج أحمد	أ. عباس الجراري	88/12/21
ـ الرجز في العصر الجاهلي وفترة البعثة النبـويـة (جمع ودراسة)	دحاني عبد الهادي	أ. أمجد الطرابلسي	89/1/19
ـ قضايا النقد الأدبي عند حازم القرطاجني من خلال كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) ـ دراسة تحليلية مقارنة بين القديم والحديث ـ	أديوان محمد	أ. أمجد الطرابلسي	89/3/15
ـ ديوان الروض الأريض في بـديـع التـوشيـح ومنتقى القريض لأبي عبـــد اللـــه محمـــد بن زاكّـور الفـــاسي (1120 هـ/1708م تحقيق وتقديم)	بن الصغير محمد	أ. علال الغازي	89/4/12
ـ الشعر السيـاسي في الحجـاز من الجاهليـة إلى آخر القرن الأول من الهجرة	البضري عزيزة	أ. عزة حسن	89/4/17
ـ حركة النقد الأدبي في قرطبـة عصري الحجابـة والفتنـة أبو عامر ابن شهيد نموذجاً	حدوش العياشي	أ. حسن الوراكلي	89/5/11
ـ بناء النص الشعري دراسة في شعر محمود درويش . . .	القرشي علي	أ. أحمد اليبوري	89/5/18
ـ أدب الشايات في موريتانيا	محمد محمود ولد سيدي المختار	أ. أحمد الطريسي	89/5/22
ـ المعلقات العشر ـ دراسة أُسلوبية ـ	لزركَ لطيفة	أ. أمجد الطرابلسي	89/6/2
ـ ظـاهرة الثوريـة في الشعر المغربي والأنـدلسي في القرنين 7 و 8 الهجريين	رحمون الحسين	أ. محمد بنشريفة	89/6/12
ـ تـوظيف التراث في شعر أمـل دنقـل (دراســـة سوسيوبنائية)	التخيسي عبد الله	أ. أحمد الطريسي	89/6/13
ـ الإفـــادة في أُصـول الفقـــه بحث في الإعراب الأُصــولي ومسلماته	الحداد مصطفى	أ. أحمد العلوي	89/6/14
ـ ريحان الألباب وريعـان الشبـاب في مراتب الآداب لابن خيرة المواعيني الأشهبي (564 هـ) تحقيق وتقديم	الحيا مصطفى	أ. محمد بنشريفة	89/6/15
ـ مجموع الطرف وجامع الظرف لأبي مـدين محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفـاسي الفهري (1112 ـ 1181 هـ 1701 ـ 1768م)	مني نعيمة	أ. محمد الكنوني	89/6/17
ـ الاتجاه القومي في الشعر المغربي الحديث من سنـة 1917 إلى سنة 1984	أو عزوز شعيب	أ. عباس الجراري	89/6/27
ـ ديـوان عرائس الأفكار وريـاض الأزهـار لأحمـد الحلبي (1120 هـ) تحقيق وتقديم	بن عتو عبد الله	أ. محمد الكنوني	89/6/28
ـ القضايا الفكرية والأدبية بالمغرب من خلال المقالة بدءاً من 1912 إلى حدود 1930	عينية عبد المجيد	أ. عباس الجراري	89/6/29
ـ حروف الجر في اللغـة العربيـة بعض قضـايـا التركيب والدلالة	حجفة عبد المجيد	أ.ع. القادر الفاسي الفهري	89/6/30

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
89/7/3	أ. عباس الجراري	تزوت عبد الإله	ـ المقالة الأدبية في المغرب من سنة 1956 إلى سنة 1980
89/7/5	أ.ع. القادر الفاسي الفهري	حدوش محمد	ـ المعجم الفني في كتاب سيبويه . . . .
89/7/6	أ.ع. القادر الفاسي الفهري	الباهي أحمد	ـ معجم المصطلحات الفنية عند ابن هشام . . . .
89/7/7	أ. أحمد اليبوري	الحجام علال	ـ قراءة في الخطاب الميتا لغوي عند أدونيس . . . . . .
89/7/7	أ.ع. عبد القادر الفاسي الفهري	الرحالي محمد	ـ ظاهرة العطف في اللغة العربية قضايا تركيبية ودلالية
89/7/11	أ. محمد الكنوني	شايب أحمد	ـ الدراسة الأدبية بالمغرب ـ الأستاذ عبد الله كنون نموذجاً . . . .
89/7/11	أ. أحمد الطريسي	بغداد مصطفى	ـ المسرح المغربي قبل الاستقلال دراسة وتحليل . . . . .
89/7/12	أ. عباس الجراري	أكومي خديجة	ـ الثورة الجزائرية في الشعر العربي بالمغرب . . . .
89/7/20	أ. أحمد الطريسي	هدى أبو غنيمة	ـ مظاهر التراث في شعر بدوي الجبل . . . .
89/9/16	أ. جعفر الكتاني	عزيزي السعدية	ـ تطور نظرية الإعجاز حتى عبد القاهر الجرجاني . . .
89/10/5	أ. أحمد اليبوري	العماري عبد الرحيم	ـ سيميائيات الخطاب : السنن الرمزي في (سداسية الأيام الستة) لإميل حبيبي . . . .
89/11/17	أ. محمد بنتاويت	زيادي أحمد	ـ الوطنية في النثر المغربي الحديث في عهد الحماية (1912 ـ 1956) . . . .
89/12/14	أ. حسن الوراكلي	الشكريوي عبد السلام	ـ شعر المغازي من خلال سيرة ابن هشام ـ (دراسة وتقديم) . . . .

شعبة التاريخ

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
88/1/20	أ. ابراهيم حركات	كريمي ماجدة	«العلاقات التجارية بين المغرب والسودان في العصر المريني (668 ـ 759 هـ / 1265 ـ 1358 م)» . . . .
88/2/29	أ. أحمد التوفيق	كفناني مولاي حسن	«قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر» . . . . .
88/4/20	أ. عبد الله العروي	واحي العربي	«المجتمع السلاوي في ظل الحماية» . . . .
88/5/13	أ. محمد حجي	مرزاق محمد	«الشيخ محمد بن أبي زيان وزاويته بالقنادسة (الدور الديني والثقافي والسياسي)» . . . .
88/5/26	أ. ابراهيم بوطالب	الفاسي عبد الإله	«أعيان مدينة الرباط في القرن 19 وبداية القرن 20 (1830 ـ 1912) نموذج من التاريخ الاجتماعي» . . . . .
88/6/21	أ. ابراهيم بوطالب	عمراني محمد	«جامعة القرويين فيما بين (1914 ـ 1934)» . . . .
88/6/21	أ. محمد زنيبر	الطويل محمد	«الفلاحة المغربية في العصر الوسيط» . . . .
88/6/22	أ. ابراهيم بوطالب	فنيتر المصطفى	«قواد الجنوب الكبار نموذج القائد عيسى بن عمر العبدي (1879 ـ 1914)» . . . .

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
88/6/27	أ. محمد زنيبر	إسكان الحسين	«جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7 هـ 13 م إلى القرن 9 هـ ـ 15 م» . . . .
88/6/30	أ. محمد زنيبر	قدور أحمد	«المدن الموحدية وعلاقتها بالإقليم : دراسة اجتماعية اقتصادية» . . . .
88/7/1	أ. أحمد التوفيق	البوزيدي أحمد	«التاريخ الاجتماعي لدرعة، مطلع القرن 17 ـ مطلع القرن 20 ـ دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية» . . . .
88/7/5	أ. محمد زنيبر	ناصح محمد	«جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في العصر الوسيط، ق 6 هـ / 12 م نموذجا» . . . .
88/7/13	أ. محمد زنيبر	صدقي علي	«رحلة الوافد، تقديم وتحقيق» . . . .
88/7/21	أ. محمد حجي	نوحي محمد الحبيب	«الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لمحمد المكي الناصري المتوفي حوالي 1170 ـ 1757» . . . .
89/6/2	أ. إبراهيم بوطالب	رويان بوجمعة	ـ أوجه الاستغلال الاستعمارية للمغرب خلال الهدنة الفرنسية الألمانية يونيو 1940 نونبر 1942 . . . . . .
89/6/7	أ. ابراهيم بوطالب	الصديقي عبد الرزاق	ـ الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن في النصف الثاني من القرن 19 . . . .
89/6/15	أ. محمد حجي	البوعناني المصطفى	ـ رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح فهرس أحمد بن القاضي (960 ـ 1005 هـ / 1552 ـ 1616م) دراسة وتحقيق . . . .
89/6/20	أ. محمد حجي	أميلي حسن	ـ الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر . . . .
89/6/22	أ. ابراهيم حركات	صقلي حسين خالد	ـ تحقيق ودراسة كتاب غاية الأمنية وارتقاء الرتب العلية في ذكر الأنساب الصقلية ذات الأنوار البهية السنية لعبد الواحد الفاسي . . . .
89/6/23	أ. جرمان عياش	بداري محمد	ـ الحسبة 1850 ـ 1912 مساهمة في التمهيد لدراسة التحول الطارئ على الجهاز المخزني المغربي . . . .
89/6/26	أ. ابراهيم بوطالب	العيساوي فاطمة	ـ جوانب من علاقة المخزن بالحرف 1822 ـ 1892 . . .
89/6/27	أ. أحمد التوفيق	أنوش حمدي	ـ روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان لمحمد بن أحمد السوسي الاكراوي (دراسة وتحقيق) . . . .
89/6/28	أ. ابراهيم بوطالب	المعروف الدفالي سيدي محمد	ـ حزب الشورى والاستقلال ودوره في الحركة الوطنية، 1946 ـ 1959 . . . .
89/6/21	أ. محمد زنيبر	بنميرة عمر	ـ النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط (القرنان الثامن والتاسع 14و15 . . .
89/6/30	أ. محمد المنصور	بن الصغير خالد	ـ العلاقات المغربية البريطانية، خلال القرن التاسع عشر (1856 ـ 1886) . . . .
89/6/30	أ. محمد حجي	صالح الصادق السباني	ـ مملكة كامن برنو وعلاقتها بأقطار الشمال الأفريقي من القرن الثالث إلى العاشر الهجري ـ القرن التاسع إلى السادس عشر الميلادي) . . . .
89/7/4	أ. محمد زنيبر	السلامي رشيد	ـ وثائق مرينية (مراسلات ـ معاهدات ـ ظهائر) . . . .

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
89/7/5	أ. محمد حجي	الطبايلي عبد الحفيظ	ـ العلاقات المغربية العثمانية خلال القرن السادس عشر
89/7/7	أ. أحمد التوفيق	بنعدادة آسية	ـ جـزء من زهر الأكم (الحـاج عبـد الكريم بن مـوسى الريفي) (دراسة وتحقيق) ....
89/7/11	أ. محمد حجي	النظام زهراء	ـ الروض العطر الأنفاس بأخبـار الصـالحين من أهل فـاس لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط (دراسة وتحقيق)
89/7/13	أ. محمد حجي	نعلة مصطفى	ـ مجموعة وافية الرسائل السعدية ـ (دراسة وتحقيق) ..
89/9/13	أ. ابراهيم بوطالب	بوهادي بوبكر	ـ المغرب والحرب الأهلية الإسبانية ....
89/9/14	أ. محمد زنيبر	الجاوي علي	ـ كتاب المعزى في منـاقب الشيـخ أبي يعزى لأبي العبـاس أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي ....
89/9/29	أ. جرمان عياش	الخمليشي عبد العزيز	ـ جوانب من الحياة التجـاريـة بـالمغرب في القرن التـاسع عشر (1856 ـ 1896) المخـزن والضرائب المفروضـة على التجارة الداخلية مكوس الحواضر ....

شعبة الجغرافية

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
88/4/15	أ. عبد الله العوينة	العثماني عبد الرحمان	«هضبـة ابن سليمـان وسـاحـل ابـو زنيقـة دراسـة جيومرفلوجية للتطور والتشكيلات الرباعية» ....
88/6/6	أ. عبد الله العوينة	بحار نعيمة	«هضبة المحمدية : دراسة جيومرفلوجية» ....
88/6/7	أ. أحمد الغرباوي	الحداد الحسن	«حوض زمرين : دراسة جيومرفلوجية» ....
88/6/13	أ. أحمد الغرباوي	حدوش نبية	«دراسة جيومرفلوجية لمنطقة الخميسات» ....
88/6/14	أ. أحمد الغرباوي	مبسوط زينب	«دراسـة جيـومرفلـوجيـة للحـوض الأسفـل لأم الربيـع منطقة بولعوان» ....
88/6/29	أ. اسماعيل العلوي	الكيحل أحمد	«الصنـاعـة الفـلاحيـة الغـذائيـة بـاللكـوس وانعكـاسـاتهـا الاقتصادية والمجالية» ....
88/7/4	اسماعيل العلوي	عاقل فاطمة	«ظهور قطاع مسقي عصري بسهل تادلة وتحول البنيـات الفلاحية والمجال الريفي : حالة قطاع بني موسى» ...
88/7/5	أ. محمد بلفقيه	الشيخي نور الدين	«ظاهرة التعمير الذاتي في مدينة تطوان» ....
88/7/5	أ. اسماعيل العلوي	المباركي حسن	«الري وندرة الماء ـ مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش ـ مثال حوض نفيس الأسفل» ....
88/7/6	أ. ع. اللطيف فضل الله	أزريز الحسين	«أثر السقي العصري على التمدين بسهـل تـادلـة ـ حـالـة الفقيه بن صالح» ....
88/7/7	أ. اسماعيل العلوي	خياطي اسماعيل	«تحول البنيات الفلاحية في القطاعـات المسقيـة ـ نظام الاكارة في سهل دكالة المسقي» ....
88/9/14	أ. ع اللطيف فضل الله	والزويت مولاي الحسن	«أشكال العمران الذاتي بمدينة مكناس» ....

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ـ التحديث الفلاحي ونمو المراكز الحضرية مثال الدائرة السقوية لدكالة	بلعسري أحمد	أ. محمد بلفقيه	89/10/5
ـ دراسة جيومرفلوجية لمنطقة يفرن	سبتي عبد العالي	أ. أحمد الغرباوي	89/7/3
ـ التجديدات الفلاحية وتكثيف أنظمة تربية الماشية بسهل تادلة حالة قطاع بني عمير	مدينة محمد	أ.ع. اللطيف فضل الله	89/7/3
ـ دور المدن الصغرى في تنظيم المجال : مثال سيدي بنور	الحلايسي أحمد	أ. اسماعيل العلوي	89/7/4
ـ دراسة جيومرفلوجية لمنطقة تامست سافلة واد تانسيفت	وادريم مصطفى	أ. أحمد الغرباوي	89/7/4
ـ دراسة جيومرفلوجية لمنطقة سيدي لعروسي الهامش الغربي للحوض الأوسط لواد تانسيفت	ملين أحمد محيي الدين	أ. أحمد الغرباوي	89/7/5
ـ ساحل تطوان دينامية مجال متعدد الوظائف	لناوي أحمد	أ.ع. اللطيف فضل الله	89/7/5
ـ دراسة جيومرفلوجية للنهاية الشرقية للحوز	الأكلع محمد	أ. أحمد الغرباوي	89/7/7
ـ السقي ومظاهر التحول بمجال بطيط	بوريال محمد	أ. اسماعيل العلوي	89/7/7
ـ تدبير المجال الريفي بكتلة زرهون ـ دراسة في العلاقة بين الضغط السكاني والتحول الزراعي	جمال عبد اللطيف	أ. اسماعيل العلوي	89/7/8
ـ Le Plateau de Rabat – Témara Géomorphologie «et Formation Superficielles».	بن سعد نجية	أ. عبد الله العوينة	89/7/10
ـ دراسة جيومرفلوجية لحوض واد غزاق (أطلس دمنات)	آيت تري المصطفى	أ. أحمد الغرباوي	89/7/11
ـ دراسة جيومرفلوجية لجزء من الهضاب الجنوبية الغربية لمنطقة عبدة	حميلي عبد الغني	أ. أحمد الغرباوي	89/7/12

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«التأويل العقلاني للفكر العلمي المعاصر»	أقلعي بو بكر	أ. الجابري	88/2/25
«المنهجية الأصولية والمنطق اليوناني من خلال أبي حامد الغزالي وتقي الدين بن تيمية»	النقاري حمو	أ. طه عبد الرحمان	88/5/30
«العلاقات بين المدينة والبادية بحوز الرباط»	الزين عبد الفتاح	أ. المكي بنطاهر	88/6/16
«تطور علاقة مدينة تطوان بقبيلة الحوز من 1900 إلى 1956 نحو مقاربة سوسيولوجية لآليات الاستمرار والتغير في النسق المجتمعي بشمال المغرب»	المرجان محمد	أ. محمد جسوس	88/10/5
ـ نظرية المعرفة في فلسفة ميرلوبونتي	اليعقوبي عبد الرحمن	أ. سبيلا محمد	89/2/17
ـ أثر تربية مؤسسات التعليم الأولي على تكافؤ فرص التوافق الدراسي في المرحلة الابتدائية	طوفين محمد	أ. أحمد أوزي	89/1/4

شعبة الدراسات الإسلامية

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«إشكالية التقدم والتخلف الحضاري (دراسة مقارنة بين التصور الإسلامي وآراء الغربيين»	بوسلهام العربي	أ. محمد بلبشير	88/3/11
«خصائص الدراسات النفسية والأخلاقية عند المسلمين في القرن الخامس الهجري»	بنيعيش محمد	أ. فاروق حمادة	88/4/28
«القراءة الجديدة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير»	هرماس عبد الرزاق	أ. فاروق حمادة	88/5/9
الاتجاه الباطني وأثره في التفسير»	السعيدي جمال	أ. التهامي الراجي	88/5/12
«ابن حزم الأندلسي وأثره في الدراسات الحديثة»	اقلاينة المكي	أ. فاروق حمادة	88/11/17
«أسس التربيـة في القرآن الكريم والفكر الغربي المعـاصر دراسة مقارنة»	غياثي بن زياد بهيجة	أ. فاروق حمادة	88/11/29
«صحيح مسلم في الدراسات المغربية رواية ودراية» . .	الجابي عبد الرزاق	أ. فاروق حمادة	88/12/21
ـ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي	الريسوني أحمد	أ. محمد بلبشير	89/1/6
ـ الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي وجهوده في علم الجرح والتعديل	فارح عبد العزيز	أ. فاروق حمادة	89/2/22
ـ موقع الخطاب الإلهي من المنظومة الإسلامية في نظر بعض المفكرين المعاصرين	بنهروال عبد السلام	أ. محمد بلبشير	89/3/14
ـ قواعد الفقه المالكي من خلال كتاب الاشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي . .	الروكي محمد	أ. فاروق حمادة	89/4/10
ـ ابن حزم الأصولي	آل عبد الجيد	أ. التهامي الراجي	89/9/11
ـ الإمام محمد بن علي الشوكاني وأثره في الدراسات الإسلامية (1173 هـ / 1250م)	أبو لغيال أمينة	أ. فاروق حمادة	89/4/20
ـ علم الجرح والتعديل في تقويم التاريخ الإسلامي . . .	العلمي الحسن	أ. فاروق حمادة	89/4/21
ـ المصطلح الحضاري والخلفيات الإيديولوجية	أوغانم محمد	أ. محمد بلبشير	89/5/10
ـ الحقيقة القرآنية في أصل النوع البشري والنظريات العلمية الحديثة	الناصري محمد سعيد	أ. محمد بلبشير	89/5/12
ـ تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية	عقلي إبراهيم	أ. فاروق حمادة	89/5/15
ـ مناهج مؤرخي السيرة النبوية إلى غاية القرن الخامس الهجري	أمسوح السعدية	أ. فاروق حمادة	89/5/30
ـ الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع الهجري .	الوافي ابراهيم	أ. التهامي الراجي	89/5/31
ـ الدين في أثره النفسي وبعده الاجتماعي	مصلي ادريس	أ. محمد بلبشير	89/6/2
ـ المرأة من منظور القرآن الكريم وقصصه	أشماعو الفهري بشرى	أ. التهامي الراجي	89/6/6
ـ ظاهرة التدافع والتنافي في علم أصول الفقه بالأندلس (القرن الخامس الهجري نموذجاً)	الوضيفي المصطفى	أ. التهامي الراجي	89/6/13
ـ أسباب اختلاف الحفاظ في تصحيح الأخبار وأثره على الفقهاء	أزرال حسن	أ. فاروق حمادة	89/6/14
ـ حركة النقد الحديثي في البصرة خلال القرن الثاني الهجري	العمراني عبد الرحمان	أ. فاروق حمادة	89/6/15
ـ أبو محمد عبد المنعم ابن الفرس وكتابه (أحكام القرآن)	ألحيان محمد الحسين	التهامي الراجي	89/6/16

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
89/6/19	أ. التهامي الراجي	بوعمري كريمة	- صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الأعلام والتكميل لأبي عبد الله محمد بن علي البلشي (الربع الأول من القرآن تقديم وتحقيق) ....
89/6/19	أ. فاروق حمادة	خرشفي ادريس	- سنن أبي داود في الدراسات المغربية رواية ودراية ...
89/6/22	أ. الشاهد البوشيخي	الميلالي عائشة	- تفسير الصحابة في جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري ....
89/6/26	أ. محمد حجي	الصمدي محمد	- الشيخ أحمد زروق وطريقة الزروقية بالمغرب ....
89/6/28	أ. فاروق حمادة	الدروي نور الدين	- فقه الحديث عند أبي عبيد وأثره في مسالك المجتهدين
89/7/4	أ. التهامي الراجي	حمان محمد	- بشائر الفتوحات والسعود في أحكام التعزيرات والحدود لابن أبي البركات النالي دراسة وتحقيق ....
89/7/6	أ. فاروق حمادة	صقلي حسين محمد	- جامع الترمذي في الدراسات المغربية رواية ودراية ..
89/7/11	أ. فاروق حمادة	الباز الحسن	- دراسة نقدية في الجرح والتعديل لتاريخ الطبري (السيرة النبوية وعصر الخلفاء الراشدين) ....
89/11/9	أ. عمر الجيدي	طحطح محمد	- نظرية القياس (دراسة منطقية أصولية نقدية مقارنة)
89/12/20	أ. التهامي الراجي	تيلاني سلمى	- النزعة الإصلاحية الحديثة وأثرها في التفسير - دراسة في الاتجاه الاجتماعي للتفسير ....

شعبة الفرنسية

التاريخ	الاستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
25/5/88	M.A. Boukous	Jebbour Abdelkrim	«Processus de formation du pluriel nominal en Tamazight (Tachelhit de Tiznit) : approche non-concatenative.
27/5/88	M.A. Boukous	Aït Hammou Youssf	«Syllabe et processus phonologiques en arabe marocaine (parler de Marrakech).»
31/5/88	M.A. Boukous	Marsil Ouafa	« La structure syllabique en arabe marocaine (parler de Rabat) ».
6/6/88	M.A Moutawakil	Belhaj Abdelhanine	« Le sujet prototypique en Français »
27/6/88	M. A. Bendaoud	Dakkach Abdelcharaf	« Récit et discours d'idée dans Jean-Christophe de Romain Rolland».
29/6/88	M. B. Meyer	Benabou Lotfi	« Lecture de SaintJohn Perse-Essai d'interprétation d'exil».
30/6/88	M. A. Moutawakil	Sbihi Hanane	«Les constructions clivées et pseudo-Clivées en français contemporain».

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
5/7/88	M. A. Bendaoud	Mastfi Mohamed	« L'objet dans le para-texte du théâtre de la révolution de Romain Rolland».
7/7/88	M. A. Badry	Oufrid Benhamou	«Le référent pictural dans le théâtre de Michel de Ghelderode».
15/12/88	M. Bellamine	Hachmi Abdellillah	«Fonction et signification du mythe dans l'Itineraire Poétique d'Yves Bonnefoy».
9/1/89	M.A. Moutaouaki'	Dioubate Saïdou	«Les fonctions thématiques en parler : vers une Analyse Fonctionnelle».
16/6/89	M.A. Badry	Jaïdi My Driss	«Esquisse d'une sociologie du cinéma au Maroc de 1956 à 1986».
20/6/89	M. Kilito	Setti Bouchta	«La question du personnage dans le Roman de Raymond Queneau».

شعبة الإسبانيـــة

التـاريخ	الاستاذ المشرف	اسـم البـاحـث	موضـــوع البحـــث
28/6/88	Mme Nadine Ly	Benlabbah Fatiha	«La expresion de la existencia en Vicente Alexandre».
12/7/88	M. Loupias ·	Ben Abdellatif	«La tecnica dramatica de A. Garcia Gutierres».
14/7/88	M. Loupias et Bennani	El Hakim Ahmed	«Las acotaciones en el Teatro de Alejandro Casona».
15/7/88	Mme Bennani	Hamzaoui Mostapha	«Testimonio y Fabula en la Guerra Silenciosa de Manuel Scorza».
26/6/89	Mme Bennani	El.Abkari Boujemaa	«Ideologia y Ficcion en la Narrativa de Augusto Boa Bastos».
29/6/89	Mme Bennani	Gharrafi Rachida	«Estudio comparativo entre palicaresca Española E Hispanoamericana».

شعبة الإنجليزيــة

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
4/7/88	M. Jilali Saïb	El Casmi Lalla Mina	Code-Switching the case of Moroccan Science Majors».
15/7/88	Mme Fouzia Rhissassi	El Almi Youssef Amine	«The erotic dimension in the style of D.R. Lawrence's. The rainbow women in love and Lady Chatterly's Loven».
16/6/89	M.A. Kriem	Abou Abdelkader	«The Discourse of lower in king Lear and the tempest : A post Modernist Reading».
23/6/89	M.M. Dahbi	Oumazane Lahoussaine	«A study of conversational mitigation Moroccan Arabic».
26/6/89	M.A. Halla	Benabbou Fatiha	«The Metamorphosis of the Detective Genre : From the classical through the Hand-Boiled to the Post-Modern Formula».
28/6/89	M.A. Halla	Sifer Mohamed	«Joseph Conrad's Weltanshaung a study of Relatroush pas of whites and Natives and their Representation in of Dank ness and lord Jim»..
30/6/89	Mme V. Kennedy	Baraka Moufdi	«the Narrative Depiction of the Problem of the Psychological Development of the Protagonists in fictional works».
30/6/89	M. J. Saïb	Moktadir Khalid	«The passive From in Tashlhiyt Berber A Prosodic A Preach».
3/7/89	M. V. Kennedy	Belhabib Telemsani Soumiya	«The exploitation of the Unreliability language in Laurence sterne **Tristram Shandy**».
5/7/89	M.V. Kennedy	Mouhib Fares	«Virginia woolf's concept of Reality : Moments of vision and Metaphor in **Mrs Dalloway, to the Linghthouse** and the waves».
5/7/89	M. M. Dahbi	Bouzzroud Abdelhafid	«Am Analysis of Repair in classroom Discourse».
6/7/89	M. M. Dahbi	Tamek Mohamed Salah	«Some Aspects of orality in Moroccan University students Written English».
6/7/89	M. M. Dahbi	Hmama Abdellah	«Astudy of Linguistic and congnitive constraints in learner's written Discourse».
11/7/89	Mme F. Rhissassi	Graiouid Saïd	«Gabriel Garcia Marquez's **one Hundred years of solitude** and **The Autumn of the Patriach** as Realist Texts».

ثانيا : قائمة الأطروحات والرسائل التي سجلت لنيل
دكتوراة الدولة ودبلوم الدراسات العليا (السلك الثالث)

1) دكتوراة الدولة :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«نقد النقد في الأدب العربي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى سنة 1987»	الدغمومي محمد	أ. محمد مفتاح	88/1/22
«تشكلات المبنى والمعنى في الخطاب السردي العربي القديم (بحث تكويني في أصول الحكي والامتدادات) محاولة في التنظير والتحليل»	قمري البشير	أ. أمجد الطرابلسي	88/1/22
«جيل الستينات في الشعر العراقي المعاصر حسب الشيخ جعفر نموذجا»	أبو حمالة بنعيسى	أ. أمجد الطرابلسي	88/2/18
«الرؤية البروميثية في الشعر العربي المعاصر»	راجع عبد الله	أ. محمد السرغيني	88/4/15
«النثر الفني وطبائعه في آثار لسان الدين بن الخطيب» .	محمد مسعود جبران	أ. عباس الجراري	88/4/20
«مستويات السرد في الرحلة المغربية القرن 19»	مودن عبد الرحيم	أ. أحمد الطريسي	88/4/27
«علم البديع في دراسات القدامى والمحدثين، دراسة تحليلية وتقويمية»	الحجوي محمد	أ. أمجد الطرابلسي	88/5/16
«المدرسة البلسنية في الشعر (مقاربة سيميو لسانية)» . .	بنصبيح عبد الواحد	أ. محمد مفتاح	88/5/31
«الأدب الصوفي بالمغرب في القرن التاسع الهجري موضوعاته وخصائصه»	شاهدي الحسن	أ. محمد بنشريفة	88/6/16
«الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي دراسة للمؤلف والكتاب وأثره في الأعمال اللغوية والأدبية مع تحقيق متن الكتاب»	محمد الحاج خلف محمد	أ. محمد بنشريفة و أ. عزة حسن	88/6/17
«الواقعية في القصة القصيرة المغربية (1985 ـ 1960)» .	غارثيا كستنيون لوث ماريا	أ. عباس الجراري	88/6/23
«القصيدة الأندلسية في القرن الثامن الهجري (خصائصها واتجاهاتها)	عبد الحميد عبد الله الهدامة	أ. حسن الوراكلي	88/9/27
«الأدب الصوفي في عصر الموحدين»	الشريف الكتاني نور الهدى	أ. محمد بنشريفة	88/10/13
«النظم النحوي العربي، أصوله وجوامعه ـ مساهمة في استخراج ضوابط التأمل اللغوي عند النحاة»	بودرع عبد الرحمان	أ. أحمد العلوي	88/11/2
«النقد الأدبي المعاصر في المغرب، أصوله وآفاقه»	أقضاض محمد	أ. أحمد الطريسي	88/12/5
ـ التأثير الإسلامي في الأدب الأمازيغي بسوس من 1123 إلى 1381 هـ / 1710 ـ 1964م	أمرير عمر	أ. عباس الجراري	89/1/25

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ـ الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربيـة (من بداية القرن 19 إلى منتصف القرن 20)	الظريف محمد	أ. عباس الجراري	89/2/24
ـ السيرة الشعبية العربية (البنيات والوظائف)	يقطين سعيد	أ. محمد مفتاح	89/4/21
ـ علماء العربية في مواجهة (أغاليـط الشعراء) حتى نهاية القرن 7 الهجري (دراسة وصفية ونقدية)	الأجراوي عبد الصمد	أ. أمجد الطرابلسي	89/6/16
ـ المناهج النقدية في الدراسات الحديثة بمصر (حول الشعر العباسي)	ـ البوري محمد	أ. أحمد الطريسي	89/10/31
ـ الشروح الأدبيـة المغربيـة ومنـاهـج مـؤلفيهـا في العصر العلوي الأول (1075 ـ 1171 هـ)	السكيوي بوشتى	أ. أحمد الطريسي	89/11/1
ـ الكتابـة الإصلاحيـة بـالمغرب خلال القرن التـاسـع عشر قضاياها وخصائصها الفنية	احميدة محمد	أ. عباس الجراري	89/12/21
ـ القصيـدة المـادحـة بين المـوحـدين والمرينيين ـ دراسـة تحليلية للصورة والبناء	سلاوي عز الدين	أ. عباس الجراري	89/12/21
ـ الحركـة الأدبيـة في شرق الأندلس خلال القرن السـابـع الهجري مـع تحقيـق(زواهر الفكر وجـواهر الفقـه) لابن المرابط	المصباحي أحمد	أ. محمد بنشريفة	89/12/21
ـ عقدة حمو أونامير في الخطاب الأدبي العربي المعاصر ..	أبزيكا محمد	أ. أحمد الطريسي	89/12/21

شعبة التاريخ

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«المجتمع المغربي في عصر الموحدين»	زنيبر محمد	أ. محمد حجي	88/1/19
«المدن والتجارة والسلطة السياسية بالمغرب الوسيط» .	بزاوي الكبير	أ. محمد القبلي	88/1/19
«التنظيم العسكري في الغرب الإسـلامي والغرب المسيحي ما بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر دراسة مقارنة»	حناوي محمد	أ. ابراهيم حركات	88/6/26
«الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد المرابطين» ...	غازي سعيد جرادة	أ. محمد حجي	88/7/13
ـ الطائفة الجزولية 9 ـ 11 هـ / 15 ـ 17م	نجمي عبد الله	أ. ع. اللطيف الشاذلي	89/11/30
ـ المغرب الإسلامي فيما بين القرنين الرابع والثامن للهجرة دراسة تاريخية لرسائله	عزاوي أحمد	أ. ابراهيم حركات وأ. محمد المنوني	89/2/22
ـ بدايات الإسلام بالمغرب (62 ـ 462 هـ)	التوفيق أحمد	أ. محمد القبلي	89/4/20
ـ النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط	الطويل محمد	أ. محمد زنيبر	89/6/2
ـ المغرب وبريطانيا العظمى مابين 1886 ـ 1912 ...	بن الصغير خالد	أ. جرمان عياش	89/10/4
ـ فاس وقبائل سايس والمخزن في القرن 19	كنينح العربي	أ. محمد المنصور	89/10/17

شعبة الجغرافية

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«دينامية الوسط الطبيعي في هضبة المعمورة وهوامشها»	نافع رشيدة	أ. عبد الله العوينة	88/3/15
«التكوينات السطحية في هضبة المعمورة وهوامشها الجنوبية»	وطفة عبد الرحيم	أ. عبد الله العوينة	88/3/15
«الصناعة العصرية في المغرب نحو تعميق التفاوت البنيوي والمجالي»	السباعي فاطمة	أ. أحمد الغرباوي	88/4/8
«النمو العشوائي للمدينة الموريتانية، نواكشوط كنموذج»	محمد بباه ولد محمد ناصر	أ. أحمد الغرباوي و أ. اسماعيل العلوي	88/6/28
«دراسة جيومرفلوجية لهضاب وسهول الضفة اليمنى لملوية الوسطى الداخلية (ممر كرسيف ـ العيون) المغرب الشرقي»	شاكر الميلود	أ. عبد الله العوينة	88/7/15
ـ الماء في حوض سوس : دراسة جغرافية لأحد عناصر الوسط الطبيعي	الحداد الحسن	أ. أحمد الغرباوي	89/2/28
ـ عدانة التكوينات السطحية والتطور المورفلوجي في هضاب زعير السفلى	الطيلسان محمد	أ. عبد الله العوينة	89/9/28
ـ التطورات المورفلوجية والتكوينات السطحية في هضاب بن سليمان الحمدية	الناصري الغماري ربيعة	أ. أحمد الغرباوي	89/11/21
ـ دراسة جغرافية للمجموعة الحضرية التطوانية	الشيخي نور الدين	أ. محمد بلفقيه	89/11/29
ـ دراسة المجال الريفي لجنوب الأطلس الكبير الأوسط والشرقي	آيت حمزة محمد	أ. أحمد الغرباوي	89/12/4

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«آليات تطور التفكير الإحيائي عند الطفل دراسة ميدانية مقارنة بين أطفال الرباط والقاهرة»	الحضري بوشعيب	أ. رشدي فكار	88/3/28
«النخب المحلية في إقليم الخميسات مكانتها ودورها» . . .	أقفلي حماني	أ. محمد جسوس	88/4/12
«قضايا في موضوع ومناهج علم النفس المعاصر، تطبيق على دراسة مفهوم الزمن	السباعي عبد الناصر	أ. المهدي بنعبود	88/11/28
ـ المرأة القروية في دكالة بين التوابث والمتغيرات ـ دراسة سوسيو أنتروبولوجية	المسدالي خديجة	أ. رشدي فكار	89/7/12

شعبة الدراسات الإسلامية

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«علم النفس والبديل الإسلامي»	توفيق محمد عز الدين	أ. المهدي بنعبود	88/2/4
«منهاج الإصلاح في التصور الإسلامي»	سدرة محمد	أ. المهدي بنعبود	88/2/25
«التدابير الوقائية في الشريعة الإسلامية وأثرها في حياة الإنسان»	بوسلهام العربي	أ. المهدي بنعبود	88/7/13
«مالك بن نبي آثاره العلمية ومصادر فكره»	محمد عبد السلام الجفائري	أ. عبد السلام الهراس	88/12/14
ـ المقارنة بين منهج ابن عطية الأندلسي وابن كثير في تفسيرهما	أحمد بن عبده بن هادي الأزيبي	أ. التهامي الراجي	89/1/19
ـ طبق الأرطاب فيما اقتطفناه من مسانـد الأئمة وكتب مشاهير المالكية والإمام الحطاب للسلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي ـ دراسة وتحقيق	عبد الله ادريس أبو بكر ميغا	أ. الإسماعيلي	89/1/25
ـ كتاب (الفروق) في أصول الفقه وقواعده للإمام أبي العباس أحمد بن ادريس الصنهاجي القرافي دراسة تحليلية لموضوع الكتاب وتحقيقاً علمياً له ج 1	التائب محمد	أ. الإسماعيلي	89/2/15
ـ نظرية أصول الفقه عند ابن القيم من خلال أعلام الموقعين	لخضر عبد الله	أ. التهامي الراجي	89/2/15
ـ الشيخ عبد الرحمن الخضري البوصيري (حياته وفكره)	جمعي مصطفى عمر الفيتوري	أ. الإسماعيلي	89/2/15
ـ الحسن البصري قارئاً	أحمد اسماعيل محمد البسيط	أ. التهامي الراجي	89/2/25
ـ نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية	الريسوني أحمد	أ. فاروق حمادة	89/2/28
ـ نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء . .	الرمكي محمد	أ. فاروق حمادة	89/5/30
ـ كنز المعاني في شرح حرز الأماني للإمام الجعيدي (دراسة وتحقيق)	اليزيدي أحمد	أ. التهامي الراجي	89/10/17
ـ المنهج العقدي ودوره في استنباط الأحكام التشريعية الدولية في الإسلام	الفرجاني عمر أحمد	أ. محمد أمين الإسماعيلي	89/10/18
ـ المنهجية الأصولية في الأندلس من خلال تاريخها السياسي والثقافي	نكروم سعيد	أ. التهامي الراجي	89/10/24
ـ (التذكرة في القراءات الثمان) لطاهر بن عبد المنعم بن غلبون الحلبي ثم المصري (399 هـ) دراسة وتحقيق . . .	زارة صالح	أ. التهامي الراجي	89/12/20
ـ الحركة الحديثية وعلاقتها بالفقه في القرن السابع الهجري ابن دقيق العيد (ت 702 هـ) نموذجاً	الجاني عبد الرزاق	أ. فاروق حمادة	89/12/20

شعبة الفرنسيــة

التاريخ	الاستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
10/2/88	Mme Jacqueline Gueron	Boukhris Fatima	«Les critiques en tamazight parler des Zemmour (Maroc Central)».
12/5/88	M. Bekkali	El Yamlahi Sidi Mohamed	«L'image du père à travers l'œuvre romanesque de l'Abbé Prévost».
12/5/88	M. Jacques Viard	Zemmouri Mohamed Saâd	«Pierre Leroux Engène Fournière Chartes Leguy et la tradition du socialisme français».
16/11/88	M. M'daghri Alaoui	Chami Salah	«Réel et fiction dans la représentation de l'enfant dans le Roman Maghrébin d'expression française».
22/2/89	M. Badry	Massaia Ahmed	«Ambivalence dialectique – Essai d'interprétation philosophique du théâtre des années cinquante».
31/10/89	M. Badry	Oufrid Ben Hamou	« L'Esthétique théatrale de Michel de Gheldere de »
31/10/89	M. A Boukous	Jebbour Abdelkarim	«La dérivation Nominal en Berbère (dialecte Tachlhit, parler de Tiznit) Approche non-concatenative».

شعبــة الإنجليـزيــة

2/6/89	Mme Geneviève Fabre	Tahiri Joti El hassani Nadia	«Images of Black Nomen in black Women's Novels 1890s – 1980s».

شعبــة الإسبــانيــة

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
24/5/89	Mme Bennani	Azim Allal	«Historia, mito y literatura en discurso narrativo de Gabriel Garcia Meirquez».

2) دبلوم الدراسات العليا :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«الخطاب التكويني، محاولة في تأسيس نظرية لما قبل النص»	لكراري عبد البصاط	أ. أحمد الطريسي	87/12/17
«الفاعل في اللغة العربية»	يوسفي محمد	أ. ع. ق. الفاسي الفهري	87/12/17
«الترجمة الأدبية نظرياتها مناهجها مشكلاتها»	بوطالب سيدي عمر	أ. محمد مفتاح	87/12/17
«الوظيفة اللغوية في الكتب الصوفية»	المعتضد بالله مولاي العباس	أ. جعفر الكتاني	87/12/18
«شعر الصعاليك في الأدب العربي، موضوعه وفنيته» . .	الرضواني الرحالي	أ. جعفر الكتاني	87/12/18
«الصورة الفنية في شعر المدح حتى نهاية القرن الرابع الهجري»	بن سترة عبد الحق	أ. جعفر الكتاني	87/12/18
«بوادر النهضة الثقافية في الرباط (1880 ـ 1930)» . .	بن طوجة عبد الحق	أ. عباس الجراي	87/12/24
«الحياة الأدبية في المغرب (1330 ـ 1345 هـ / 1912 ـ 1927 م)»	التروكي خالد	أ. عباس الجراري	87/12/24
«أحمد الحلبي شاعرا»	بنقدور يوسف	أ. محمد الكنوني	87/12/24
«موقع النقد المغربي المعاصر بين النظرية والتطبيق».	الداودي مولاي شرف العرب	أ. محمد مفتاح	87/12/24
«محفل السارد في نماذج من الرواية العربية»	العلام عبد الرحيم	أ. أحمد اليابوري	87/12/24
ظاهرة الغموض في الشعر المغربي المعاصر بين سنة 1970 وسنة 1986»	بن مينة محمد	أ. عباس الجراري	87/12/24
الشكل الفني والحواري في المولديات الحديثة (1912 إلى 1956)»	دهري أمينة	أ. عباس الجراري	87/12/24
«الثورة الجزائرية في الشعر المغربي»	أكومي خديجة	أ. عباس الجراري	87/12/24
«ظاهرة توظيف عناصر التراث في النص المسرحي العربي الحديث»	بكار عبد اللطيف	أ. جعفر الكتاني	87/12/24
«قضية الوزن والمعنى في الشعر العربي بالأندلس»	كنفاوي عبد الإله	أ. أحمد يزن	88/1/5
«عن النقد والبلاغة في العقد الفريد»	الحسني عبد الله	أ. أحمد الطريسي	88/1/18
«المسرح المغربي قبل الاستقلال، دراسة وتحليل»	بغداد مصطفى	أ. أحمد الطريسي	88/1/18
«المنهج العلمي الرياضي في النقد الأدبي العربي»	مصطفى غريب محمد أحمد	أ. أحمد يزن	88/1/19
«الاستعارة وبناء الخطاب»	الحنصالي سعيد	أ. محمد مفتاح	88/1/19
«ديوان مولاي الطيب العلوي ـ تحقيق ودراسة»	منصوري محمد	أ. أحمد الطريسي	88/1/22
«الضمائر في اللغة العربية، الربط الاحالي ومفهوم العمل»	آيت بنشقرون بهيجة	أ. الفاسي الفهري،	88/1/29
«المحاورات السياسية في الجاهلية إلى نهاية القرن الأول للهجرة»	السعيدي عبد الرحيم	أ. عزة حسن	88/1/29
«بنية الخطاب السردي والخطاب الشعري في الرواية العربية، حكاية بحار ورامة والتنين نموذجا»	بانوار عبد العاطي	أ. سعيد علوش	88/2/3

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«الواقع والمتخيل من خلال نماذج في الكتابة الروائية العربية»	لحجمري عبد الفتاح	أ. محمد برادة	88/2/10
«القصيدة المديحية عند لسان الدين بن الخطيب، دراسة وتحليل»	بن شليخة محمد	أ. أحمد الطريسي	88/2/18
«البنية الإيقاعية في شعر السبعينات بالمغرب»	أزناك عبد الرحيم	أ. أحمد الطريسي	88/2/18
«تحقيق كتاب (الوسيط في أدباء شنقيط) لأحمد بن الأمين الشنقيطي»	محمد عبد الله ماء العينين	أ. عباس الجراري	88/3/18
«عبد الله العتيق لغويا وأدبيا»	محمد الأمين ولد محمد صهيب	أ. عباس الجراري	88/3/18
«شعر داود الرسموكي، جمع وتحقيق ودراسة»	الراضي البزيد	أ. عباس الجراري	88/3/29
«صورة الغد في الشعر العربي الحديث بالمغرب (1947 - 1987)»	رابح التيجاني	أ. عباس الجراري	88/3/29
«دراسة الأثر الشعري الصوفي للزاوية الحراقية من خلال ديوان محمد الحراق»	المنصوري الخوداري محمد	أ. علال الغازي	88/3/29
«فن شعرية قصيدة الحداثة العربية، القصيدة المغربية نموذجا»	بنداود عبد اللطيف	أ. أحمد الطريسي	88/4/12
«الحياة العقلية في مدينة شنقيط القرنين 17 و18» . .	محمد الأمين ولد الناتي الحضرمي	أ. محمد مفتاح	88/4/15
«الغزل في الشعر الشنقيطي القديم»	محمد الأمجد ولد محمدن	أ. محمد مفتاح	88/4/15
«أشكال البرد عند التهامي الوزاني»	البريري محمد	أ. أحمد اليابوري	88/4/15
«بنية القصيدة الغزلية عند مسلم بن الوليد»	أعمار زهير	أ. أحمد الطريسي	88/4/15
«تجربة الشعر الموريتاني الحديث والمعاصر بين التأسيس والتأصيل»	بنت البرا امباركة	أ. علال الغازي	88/4/15
«تحقيق كتاب «فتح المربي على صلاة ربي» لمحمد اليدالي»	محمد ن بابا ولد التفغ	أ. أحمد الطريسي	88/4/15
«الأدب المغربي في البحث الجامعي بالمغرب»	فونتير عبد الإله	أ. علال الغازي	88/4/15
«أطر الشعر الشنقيطي»	محمد المختار بن سيدينا	أ. محمد مفتاح	88/4/15
«صورة الشرق في آثار الكتاب الذين تحدث عنهم هنري بوردو في كتابه الرحالة إلى المشرق»	ملوكي عبد الحفيظ	أ. أمجد الطرابلسي	88/4/20
«ظاهرة البحث في موسيقى القرآن بين القدماء والمحدثين»	ناجي ابراهيم	أ. أحمد يزن	88/4/20
«تحقيق وتقديم السفر الثاني من ديوان مظهر النور الباصر في أمداح مولانا أبي الحجاج الملك الناصر لأبي الحصين بن فركون»	الركلاوي أحمد	أ. محمد الكنوني	88/4/27
«اللغة والدلالة في شعر امل دنقل (مقاربة أسلوبية سيميائية»	السهلي سعيد	أ. أحمد الطريسي	88/4/27
«تحقيق كتاب شعر القصيدة الشمقمقية من تأليف الأديب سيدي عبد العزيز الأدوزي»	عطفاي محمد علي	أ. علال الغازي	88/5/6
«الفضاء الروائي في الأعمال الروائية لغسان كنفاني» . .	تاكات ابراهيم	أ. أحمد اليابوري	88/5/20
«علي بن سعيد المغربي شاعرا»	لمرابطي سعيد	أ. محمد بنشريفة	88/6/16
«الثيمات المشتركة في الرواية المغربية ذات التعبير الفرنسي والعربي»	العزري صفية	أ. سعيد علوش	88/6/30

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«أفعال المراقبة»	القبابي حليمة	أ. ع. القادر الفاسي الفهري	88/6/30
«التفكير السيميائي العربي ضمن المباحث البلاغية وعناصر التفجر والتطوير (دراسة تاريخية مقارنة)»	السايح زهور	أ. محمد مفتاح	88/6/30
«تحقيق وتقديم ديوان شعر عبد الكريم بن عبد السلام بن زاكور»	الوهابي محمد	أ. محمد الكنوني	88/7/4
«استراتيجية الفضاء في شعر سعد يوسف»	ناجم حسن	أ. أحمد اليابوري	88/9/23
«بنية الشكل في شعر ابن شهيد الأندلسي خطاب التوتر، التناص جماليات المكان»	فارس عبد العزيز	أ. أحمد الطريسي	88/10/3
«تحقيق ديوان عبد الرحمان الفاسي ودراسته»	بن لحبيب فاطمة	أ. محمد الحمار الكنوني	88/10/11
«شعر الأعراب في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة»	لحبابي عبد الرفيع	أ. جعفر الكتاني	88/10/18
«عبيد الشعر في الجاهلية»	جزولية محمد المختار	أ. عزة حسن	88/10/19
«ظاهرة المعارضة في الشعر المويطاني ـ مدخل لدراسة الاحتذاء عند شاعر القرن 13 هـ»	عبد الله ولد محمد سالم	أ. علال الغازي	88/11/2
«من شعراء المغرب الأقصى وأدباءه المعاصرين لعبد الله الجراري، تقديم وتحقيق»	الفاضلي سعيد	أ. علال الغازي	88/11/2
«عـوامـل استخراج المعين من نمـــاذج من كتب التفسير (إعراب القرآن، ابن التجاني)»	بودلال عبد الرحيم	أ. أحمد العلوي	88/11/2
«شعر النفي والسجن في المغرب العربي الحديث، ظواهره الموضوعية والفنية»	سيد محمد ولد محمد سيدنا	أ. أحمد يزن	88/11/2
«تحقيق مخطوطة مختار الأخيار في فوائد معيار النظار في المعاني والبيان والبديع والقوافي لعبد القاهر الجرجاني» .	عمر عسو	أ. جعفر الكتاني	88/11/8
«القصاه والمذكرون إسهام في تفسير منزلة السرد والتمثيل من الثقافة العربية الإسلامية من ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الرابع الهجري»	محمد ولد أحمد ولد تتا	أ. جعفر الكتاني	88/11/8
«بنية القصيدة عند الشاعر الموريطاني أحمد ولد عبد القادر في ضوء المناهج النقدية المعاصرة»	أحمد ولد الكبيد	أ. علال الغازي	88/11/8
«البناء الفني في ديوان السوانح لادريس الجاي»	الكطبي عبد الله	أ. أحمد الطريسي	88/11/16
«الزمن في المتخيل الروائي الغربي (تحليل نماذج)» . . .	علولا محمد	أ. محمد برادة	88/11/16
«الشعر الشنقيطي في فترة الاحتلال الفرنسي»	سيدي محمد ولد أبو	أ. علال الغازي	88/11/21
«البعد الشعري في الرواية العربية، إلياس الديري نموذجا»	أدادا محمد	أ. أحمد الطريسي	88/12/5
«الشكل والدلالة في رواية (بيروت... بيروت) لصنع الله ابراهيم»	الأجديري علي	أ. أحمد اليابوري	88/12/5
«النقد الأدبي في تقويم النقاد المحدثين»	تاكفراش بشرى	أ. جعفر الكتاني	88/12/5
«الإبداع الأدبي في المغرب المريني ـ مالك بن المرحل نموذجا»	رزقي جميلة	أ. محمد بنشريفة	88/12/6
«منهج ابن عبد الملك في كتابه التراجم ـ دراسة مقارنة»	الشعدي عائشة	أ. محمد بنشريفة	88/12/6
«الصفة المشبهة ـ دراسة صرفية تركيبية ودلالية» . . .	البوفتحية	أ. الفاسي الفهري	88/12/6
«الشعر الموريتاني والدرس النقدي»	ولد ابياه محمد	أ. محمد مفتاح	88/12/7
«ديوان الشاعر ابن حربون ـ جمع ودراسة ومقارنة» . .	بنعمر سليمة	أ. محمد بنشريفة	88/12/8

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«شعر أبي عبد الله بن خميس ـ جمع وتحقيق ودراسة» .	هريشي نور الدين	أ. محمد بنشريفة	88/12/8
«الدراسة الأدبية في الغرب ـ ابن تاويت نموذجا»	أزناك عبد الرحيم	أ. الطريسي	88/12/12
«قضية الابداع من خلال الشعر العربي بالمغرب في أواخر العشرينات إلى حدود السبعينات»	فارضي محمد	أ. الطريسي	88/12/12
«أمثال الخواص في الأندلس لأبي يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي، تقديم وتحقيق»	عفوان نعيمة	أ. محمد بنشريفة	88/12/12
«اشتغال المتخيل في الخطاب الشعري ـ محاولة تركيبية»	الذهبي العربي	أ. الطريسي	88/12/12
«ترجمة الكتب الأدبية في المغرب (1960 ـ 1990)» . . .	الطايب فاتحة	أ. علوش	88/12/13
«دراسة تحليلية للمكونات الروائية في ملحمة الحرافيش»	أعراش حدو	أ. سعيد علوش	88/12/19
«ديوان أبي عبد الله محمد بن علي الرافعي التطواني تقديم وتحقيق»	الركلاوي أحمد	أ. محمد الكنوني	88/12/19
«ظاهرة الغموض في الشعر المعاصر»	ناوري يوسف	أ. أحمد الطريسي	88/12/19
«الحيوان في الشعر الأندلسي»	التقيفي السعيد	أ. محمد بنشريفة	88/12/19
«شعر التصوف بالمغرب خلال القرن التاسع عشر ـ دراسة تحليلية»	الفيلالي عبد الوهاب	أ. أحمد الطريسي	88/12/19
«الشعر الحر بين الإبداع والنقد دراسة وتحليل نازك الملائكة كنموذج»	عمراوي حسن	أ. أحمد انطريسي	88/12/19
«مناهج التجديد والتأجيل عند النقاد المحدثين (أمين الخولي ـ أحمد أمين ـ أحمد حسن الزيات ـ أحمد الشايب ـ زكي مبارك)»	بديع محمد	أ. جعفر الكتاني	88/12/19
«الممارسة الثقافية للزاوية ـ الوزانية معالجة في التركيب»	لغزاوي عبد الإله	أ. أحمد الطريسي	88/12/19
ـ عروض الموشحات الأندلسية بين التأسيس والاستدراك	الزناتي المحجوب	أ. أحمد يزن	89/1/25
ـ الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع لمحمد بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي ـ تقديم وتحقيق	البداوي بشرى	أ. علال الغازي	89/1/25
ـ القصيدة الشعرية في مجلة الوحدة	المتقي علي	أ. أحمد المعداوي	89/1/25
ـ الحكاية الشعبية (في موريتانيا) أنواعها : ودلالاتها الاجتماعية والثقافية	محمد عبد الله ولد الدداه	أ. محمد مفتاح	89/1/25
ـ الحكاية والرمز في كليلة ودمنة	المسكيني نادية	أ. عباس الجراري	89/1/25
ـ بناء القصيدة عند الشاعر السري الرفاء من خلال ديوانه	الراشدي فاطمة	أ. محمد بنشريفة	89/1/25
ـ البنيـــة التركيبيـــة ووظـــائف الحكي، في (الحقـــائـــق القـــديـــة قـــابلـــة لـلإثـــارة الـــذهنيـــة)	غزالة خالد	أ. أحمد اليابوري	89/1/25
ـ تحقيق كتاب (اختصار وفيات الأعيان في أنباء الزمان) تـأليف أبي القـاسم بن محمـد بن طركاط العكي ـ تحقيـق ودراسة	أبو رحيم نادية	أ.ح. الكتاني	89/1/25
ـ الأدب الصوفي بالزاوية الشرقاوية خلال القرن 12 هـ	بوكاري عبد المجيد	أ. أحمد شوقي بينبين	89/1/25
ـ تقديم وتحقيق الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة لمالك ابن المرحل	بنويس ربيعة	أ. علال الغازي	89/1/25
ـ العرشيات (في عهد الحماية)	بمنصر عادل	أ. عباس الجراري	89/1/25
ـ الثابت والمتغير في القصيدة العربية المعاصرة	بن بايا محمد	أ. أحمد الطريسي	89/1/25

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ـ أفعال الشروع دراسة مقارنة بين العربية الفصحى والعامية المغربية	بريسول أحمد	أ. عبد القادر الفاسي الفهري	89/1/25
ـ العقلانية اللغوية إسهام في دراسة أسسها ومراجعها . .	وهابي محمد	أ. أحمد العلوي	89/1/25
ـ التنوين ومقولة الاسم في اللغة دراسة صرفية تركيبة	الرقاق محمد	أ. أحمد الإدريسي	89/1/25
ـ مستويات الرصد والتنظير للنص الشعري في تراثنا النقدي (محاولة في التركيب)	حرصي محمد	أ. علال الغازي	89/1/25
ـ الاتجاه السيميائي في النقد الأدبي المعاصر بالمغرب (مقارنة وصفية تقويمية)	السالكي عبد الحق	أ. علال الغازي	89/1/25
ـ الخطاب الروائي المغربي	غانمي عبد الرحمان	أ. أحمد اليابوري	89/1/25
ـ أدب الموالد في المغرب خلال القرن التاسع عشر	اليعقوبي خالد	أ. محمد الكنوني	89/1/25
ـ أنماط السرد الأدبي في القصة القصيرة	المصباحي محمد	أ. أحمد اليابوري	89/1/25
ـ الشاهد الشعري في كتب النقد الأدبي خلال القرن السادس الهجري	موحتات ادريس	أ. الغازي علال	89/1/25
ـ البناء الهيكلي لقصيدة المدح في الشعر الأندلسي من خلال ديواني ابن دراج القسطلي وابن خفاجة	فنشار عبد الخالق	أ. محمد بنشريفة	89/1/25
ـ صيغ الثلاثي المجرد في العربية	الحدوني عبد الحق	أ. الفاسي الفهري	89/1/25
ـ النعت وبنية الكلمة العربية	الإسماعيلي عبد الإله	أ. الفاسي الفهري	89/1/25
ـ الازدواجية والثنائية في الوضع اللغوي بالمغرب . . .	واحي ادريس	أ. الفاسي الفهري	89/1/25
ـ الإعراب في اللغة العربية	الهامي توفيق	أ. الفاسي الفهري	89/1/25
ـ البنية الشعرية في مقامات الحريري	إبلاغ محمد عبد الجليل	أ. المعداوي	89/1/25
ـ مفهوم الواقعية في النقد الروائي بالمغرب	التامري عز الدين	أ. عباس الجراري	89/1/25
ـ النص الروائي والإيديولوجيا نموذج (لأعشاب البحر)	الأزدي عبد الجليل	أ. أحمد اليابوري	89/1/25
ـ مكونات الخطاب الفانطاستيكي رواية (فقهاء الظلام) نموذجاً	خليفي بوشعيب	أ. محمد برادة	89/1/25
ـ شعر ابن الحاج النميري جمع وتحقيق ودراسة	بويزان بنعيسى	أ. محمد بنشريفة	89/1/25
ـ شعر النقائض في الجاهلية وفترة البعثة النبوية جمع ودراسة	جباري محمد	أ. ج الكتاني	89/1/25
ـ الشعرية التوليدية : حدود النظرية وآفاق التوسيع .	عثماني الميلود	أ. محمد برادة	89/1/25
ـ تقديم وتحقيق لكتاب شرح ما في صدر المقامات من المعاني واللغات للشريشي	الحلوي بشرى	أ. محمد بنشريفة	89/2/24
ـ تقديم وتحقيق مخطوط (اقتطاف الزهر واجتناء الثمر) لأبي الحسن علي بن محمد بن علي التازي المعروف بابن بري	حسناوي لطيفة	أ. محمد بنشريفة	89/2/24
ـ محاولة في دراسة بعض مكونات الإيقاع في شعر البحتري	لكرد عبد الفتاح	أ. أمجد الطرابلسي	89/2/24
ـ شعر أبي تمام في دراسات المحدثين ـ دراسة وصفية ونقدية	الواجدي نعيمة	أ. أمجد الطرابلسي	89/2/24
ـ النقد والبلاغة عند السيوطي	بن قدور علي	أ. علال الغازي	89/3/6
ـ الأبواب الدلالية والمنطقية في النحو العربي وعباراتها العاملية	بوزيان رشيد	أ. أحمد العلوي	89/3/6

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ـ الجمل الموصولة في الدراسات اللغوية وصف وتقديم . .	بوغابة عبد الإله	أ. أحمد الإدريسي وأ. أحمد المتوكل	89/3/6
ـ تاريخ اللغة العربية (ظاهرتا النفي والتطابق)	المراني فتيحة	أ. الفاسي الفهري	89/3/6
ـ اللغة النحوية في كتابات ابن مالك	الدرويش محمد	أ. أحمد العلوي	89/3/6
ـ اكتساب اللغة عند الطفل ـ الطفل العربي نموذجاً . . .	الفكيكي بشرى	أ. الفاسي الفهري	89/3/6
ـ تأثير اللغة العربية في لغات شبه القارة الهندية نموذج اللغة البنغالية	محمد أحسن الله هلال	أ. الودغيري	89/3/9
ـ الاتساق في اللغة العربية	الكحالي ابراهيم	أ. الإدريسي	89/3/9
ـ الذات والآخر في الشعر العربي الحديث	عبد الرحمان ولد محمد سيدنا	أ. الطريسي	89/3/14
ـ مرحلة النهضة في الشعر بين المشرق والمغرب من 1930 إلى 1950	المنصوري وفاء	أ. الطريسي	89/3/14
ـ فهرسة العميري تقديم وتحقيق	دجوع أحمد	أ. محمد الكنوني	89/3/14
ـ النقد التطبيقي للشعر بالمغرب خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين	ابراهيم عزيز	أ. الغازي علال	89/4/21
ـ الشاعر الجاهلي صاحب موقف نموذجان عنتر بن شداد وعروة بن الورد	الشهابي رقية	أ. أمجد الطرابلسي	89/4/21
ـ الجمالية في الرواية العربية الجديدة من خلال نموذج .	بعادا بنعيسى	أ. سعيد علوش	89/5/10
ـ الموضوع ودوره في بناء الرؤيا الشعرية (دراسة تحليلية لشعر صلاح عبد الصبور)	مسعودي سميرة	أ. أحمد المعداوي	89/10/31
ـ موضوع الحرب في الأدب العربي القديم شعر الفترة الجاهلية صدر الإسلام ـ مقاربة انتربولوجية سيميائية .	مفكر سعيد	أ. محمد مفتاح	89/5/24
ـ كتاب أزهار الأغصان المهصورة من رياض أفنان المقصورة لأبي حامد المكي بن محمد بن علي البطاوري الرباطي (تقديم وتحقيق)	الكملاني لطيفة	أ. محمد الكنوني	89/11/1
ـ الخطاب في روايات سحر خليفة	جبار سعيد	أ. محمد برادة	89/11/1
ـ البنيوية التكوينية في نغمة الشعر المغربي قضايا سوسيولوجيا النص الشعري	جباري المصطفى	أ. أحمد اليابوري	89/11/1
ـ تحقيق ودراسة : لديوان الشنتوفي	أبرام عفيفة	أ. علال الغازي	89/11/1
ـ ثمرة أنسي في التعريف بنفسي لسليمان الحوات ـ تقديم وتحقيق	شداد جهيد	أ. محمد الكنوني	89/11/1
ـ النقد الأدبي عند محمد المختار السوسي	الوناسي سمير	أ. علال الغازي	89/11/1

شعبة التاريخ

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«تاريخ الزلازل بالمغرب»	المرابط زروال ثريا	أ. بن صاري أ. التوفيق	88/1/19
«مملكة كانم وعلاقتها بالشمال الإفريقي خلال القرن الثامن الميلادي وحتى القرن الرابع عشر منه»	صالح الصادق السباني	أ. محمد حجي	88/2/25
«فهرس أحمد بن عاشر الحافي السلوي ـ دراسة وتحقيق» .	سعديين محمد	أ. محمد حجي	88/2/25
«التسرب الاسباني إلى شواطئ الصحراء المغربية (1860 ـ 1934)»	بلحداد نور الدين	أ. ابراهيم بوطالب	88/3/7
«المدارس المرينية نشأتها ودورها»	سموش المصطفى	أ. ابراهيم حركات	88/3/14
«الغرب ومدينة مكناس في العصر الوطاسي»	المسطاسي بهيجة	أ. محمد القبلي	88/3/14
«دراسة وتحقيق مخطوط الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرقي»	بوهليلة ادريس	أ. ابراهيم حركات	88/4/15
«دراسة وتحقيق مخطوطة ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجدوب لعبد الرحمن الفاسي بن عبد القادر»	الداري حفيظة	أ. محمد حجي	88/4/15
«التاريخ الدبلوماسي للعلاقات الليبية المغربية في ظل التعاون والعلاقات الدولية من القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر»	الدهماني سالم الدهماني	أ. عبد الهادي التازي	88/7/21
«رقصة أحيدوس أصلها وتطورها ـ دراسة تاريخية واجتماعية مع التطرق للباس الحلي»	ادريسي سباعي أمينة	أ. محمد زنيبر	88/7/22
«كتاب ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع لأبي عبد الله محمد المهدي الفاسي دراسة وتحقيق»	البركة عبد اللطيف	أ. محمد القبلي	88/10/7
«شعراء الملثمين ودورهم في العلاقات بين شمال وغرب افريقيا خلال العصر الوسيط»	الناني ولد الحسين	أ. محمد زنيبر	88/11/22
«استعانة المغرب بالأجانب في الميدان العسكري 1844 ـ 1894»	ازعيتي مصطفى	أ. أحمد التوفيق	88/11/28
«المدن الإفريقية خلال العصر الكلاسيكي ـ القرن الخامس والرابع قبل الميلاد»	المغبر محمد	أ. المصطفى مولاي رشيد	88/11/30
«انتقال العلوم القديمة إلى المراكز الحضارية بالمغرب الأقصى والأندلس»	بنميمون فاطمة	أ. م مولاي رشيد	88/12/12
Les emprunts Marocaines 1902-1904 **Pierre Guillen** ترجمة وتعليق	برنوسي المصطفى	أ. ابراهيم بوطالب	88/12/21
«دور المغرب والجاليات الأندلسية المغربية في التأثير الحضاري بغرب افريقيا خلال القرنين 16 و17 الجانب الفكري والاجتماعي»	حراش سعيد	أ. عبد الهادي التازي	88/12/21

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ـ المدن الإدريسية ـ دراسة وتحليل	أسليد محمد	أ. ابراهيم حركات	89/2/9
ـ الجهـاد البحري في دول المغرب العربي ليبيـا ـ المغرب ـ تونس ـ الجزائر خلال القرن السابع عشر الميلادي . . .	مصطفى فرح حسين أبو حلالة	أ. ابراهيم حركات	89/2/9
ـ الزاوية التيجانية بفاس	بن الأحمر ادريس	أ. ابراهيم حركات	89/2/9
ـ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان 1859 ـ 1873م / 1276 ـ 1290 هـ	موطن ابراهيم	أ. ابراهيم بوطالب	89/2/9
Le Gharb : Fellahs et colons Jean Le Coz Tome - I	بنعلوان بوشتى	أ. ابراهيم بوطالب	89/3/9
«J. Le Coz : Le Gharb Fellah et Colons» Etude - de Géographie Générale Tome I (ترجمة وتعليق)	الفغلومي أحمد	أ. ابراهيم بوطالب	89/3/9
ـ الموارد المالية في عهد الأمويين	البناي مليكة	أ. ابراهيم حركات	89/3/9
ـ الموحدون بإفريقيا إلى سنة 610	عبد القادر عثمان محمد	أ. ابراهيم حركات	89/3/9
Agadir 1911 : Crise Imperialiste en Europe - pour la Conquete du Maroc – Jean Claude ALLAIN (ترجمة وتعليق)	بلقاسم حميد	أ. ابراهيم بوطالب	89/4/5
ـ المـوحـدون في المغربين الأدنى والأوسـط بين سنتي 515 ـ 610 هـ	الغرسلي جلول	أ. ابراهيم حركات	89/4/5
ـ الإسلام والمجتمع السوداني أمبراطورية مالي 1230 ـ 430 هـ	الشكري أحمد	أ. محمد حجي	89/5/3
ـ تقديم وتحقيق (الطرائف والتلائد من كرامة الشيخين الوالدة والوالد) لمحمد بن المختار الكنتي	أرفاك شفيق	أ. أحمد التوفيق	89/5/3
ـ بني عمير من 1844م ـ 1912م	رواضي صالح	أ. ابراهيم بوطالب	89/6/6
ـ الدور التاريخي لمضيق جبل طارق خلال العصر الوسيط	الوكار محمد	أ. ابراهيم حركات	89/9/26
ـ أهل الذمة بالمغرب الإسلامي من بداية القرن السادس هـ إلى القرن 8 هـ	حواش عبد الرزاق	أ. محمد زنيبر	89/10/20

شعبة الجغرافية

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«دراسة جيومرفلوجية لجزء من ساحل دكالة انطلاقا من خريطتي الواليدية رأس بدوزة واثنين الغربية 1/50000»	محي الدين محمد	أ. احمد الغرباوي	88/1/14
«دراسة جيومرفلوجية لمنطقة أمطل جزء من مجال اتصال الرحامنة ودكالة»	أقضان محمد	أ. أحمد الغرباوي	88/1/19

موضـــوع البحـــث	اسمُ الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«تكثيف أنظمة تربية الماشية مثال قطاع السقي الحديث بتملالت»	الغاجو حسن	أ. ع. اللطيف بنشريفة	88/1/20
«دراسة جيومرفلوجية لمنطقة الحاجب»	حافض عبد اللطيف	أ. أحمد الغرباوي	88/1/20
«دراسة جيومرفلوجية لدير أطلس بني ملال (المجال المحصور ما بين أولاد عياد وأنزو)»	بنعلي عبد الرحيم	أ. أحمد الغرباوي	88/1/20
«الشبكة الحضرية بتادلة ـ المراكز الحضرية الناشئة» ..	أحبشان محمد	أ. بلفقيه وأ. فضل الله وأ. برادة	88/1/25
«الشبكة الحضرية بتادلة ـ مراكز تقليدية في تحول» ..	ميوسي محمد	// // //	88/1/25
«الشبكة الحضرية بتادلة ـ المراكز الحضرية المتفجرة (الدينامية)»	مداد محمد	// // //	88/1/25
«الشبكة الحضرية بتادلة ـ مدينة بني ملال قطب جهوي»	أبو العز عبد الفتاح	// // //	88/1/25
«التفاعلات بين الديمغرافيا، العوامل البيئية، والأنظمة الرعيزراعية حالة الأطلس المتوسط الغربي»	لحرار فتيحة	أ. ع. اللطيف بنشريفة	88/1/27
«دراسة جيومرفلوجية لحوض مارتيل (تطوان)»	الوهابي عبد السلام	أ. أحمد الغرباوي	88/2/10
«دراسة جيومرفلوجية لمنطقة أعونات»	ريباع محمد	أ. أحمد الغرباوي	88/2/10
«المجال الحضري بمدينة متوسطة متأزمة حالة وزان» ..	اليزيدي المصطفى	أ. بلفقيه وأ. فضل الله وأ. برادة	88/2/11
«المشكلات الأساسية لزراعة واحات أدرار الموريتانية»	ولد الشيخ محمد ع. القادر	أ. اسماعيل العلوي	88/2/25
«دراسة جيومرفلوجية لخريطة تحناوت»	السعيدي محمد	أ. أحمد الغرباوي	88/2/25
«تطور المجال الريفي للسراغنة وزمران (حوز مراكش)»	فكاوي محمد	أ. اسماعيل العلوي	88/2/29
«تأثير الظاهرة الدينية على مجال منطقتي زرهون ووزان محاولة في الجغرافيا الثقافية»	السعيدي محمد	أ. اسماعيل العلوي	88/3/7
«تحول البنيات الزراعية تحت تأثير مقربة المدينة مثال للمجال الريفي بين البيضاء والمحمدية»	الزكاري محمد	أ. ع. اللطيف بنشريفة	88/4/15
«البحث الجغرافي بالمغرب ـ حصيلة نقدية للدراسة الريفية»	الصاوي عبد اللطيف	أ. اسماعيل العلوي	88/4/19
«حوض تيداس ـ لمعازيز ـ دراسة جيومرفلوجية» ...	بلهلالي المصطفى	أ. ع. الله العوينة	88/12/5
«دراسة جيومرفلوجية ـ لهضبة عين اللوح»	الحارث خديجة	أ. أحمد الغرباوي	88/12/19
ـ مدينة ورزازات دراسة حضرية	أقيوح الحسين	أ.ع. اللطيف فضل الله	89/1/9
ـ ظاهرة التصحر بالجنوب الشرقي المغربي وانعكاساتها على الأرض والإنسان	سعيدي يوسف	أ. ع. اللطيف بنشريفة	89/2/13
ـ انشيري : دراسة جيومرفلوجية	محمد الأمين ابن الحسن	أ. أحمد الغرباوي	89/10/27
صقية أزرو دراسة جيومرفلوجية	الكتمور حسن	أ.أحمد الغرباوي	89/11/21
ـ دراسة جيومرفلوجية لمجال الاتصال بين جزء منخفضي ورزازات والكتلة القديمة للأطلس الصغير (منطقة ورزازات)	آيت الحاج يوسف	أ. أحمد الغرباوي	89/10/21
ـ الأسس الاقتصادية وانعكاساتها السوسيومجالية في المناطق السقوية حالة سيدي سليمان	العويرة جعفر	أ. محمد بلفقيه	89/11/21

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ـ الوضعات الساحلية لمنطقة تغازوت ـ تامري دراسة جيومرفلوجية	الفبلكي حسن	أ. أحمد الغرباوي	89/11/21
ـ اتصال السفح الجنوبي للأطلس الكبير بجهادة مسكي (منطقة كَلمية تادغوست) دراسة جيومرفلوجية ...	خرمو عبد القادر		
ـ دراسة جيومرفلوجية للنهاية الشمالية الغربية للأطلس الكبير الكلسي الأوسط	البودالي عبد الرزاق	أ. أحمد الغرباوي	89/11/24
ـ ظاهرة المبقلات بضاحية مدينة مراكش	أوسديد مبارك	أ. محمد بلفقيه	89/11/24
ـ التوضعات السطحية لمنطقة ماسة ـ دراسة جيومرفلوجية	الفجراني أحمد	أ. أحمد الغرباوي	89/11/27
ـ أشكال التوسع الحضري بالشاوية الداخلية	طوكي المصطفى	أ. ع. اللطيف فضل الله	89/11/28
ـ مقومات وأشكال حركة التمدين لمنطقة الدير بالسفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط : قطاع دمنات واويزغت	موسىء عبد العزيز	أ. ع. اللطيف فضل الله	89/11/28
ـ أشكال التوسع الحضري لمدينة الجديدة	مرسي عبد العزيز	أ. ع. اللطيف فضل الله	89/11/28
ـ حوض نفيس ـ دراسة جيومرفلوجية	الكريفة عبد الجليل	أ. عبد الله العوينة	89/12/4
ـ الأنشطة والخدمات بمدينة القنيطرة ين التنظير والتهيئة	كنجي بلال نور	أ. محمد بلفقيه	89/12/15

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«تأثير المنظور القرآني في الرؤية الفلسفية في الإسلام ابن البناء المراكشي»	الناصري محمد العربي	أ. سالم يفوت	88/1/22
«المنطق عند ابن الحزم الأندلسي»	الفراس مليكة	أ. م عابد الجابري أ. سالم يفوت	
«تطور المذهب الأشعري بالمغرب»	احنانة يوسف	أ. م عابد الجابري	88/2/16
«المعتزلة والديانات غير الإسلامية بحث في مفهوم الاختلاف في الفكر العربي الإسلامي»	السباعي أحمد	أ. علي أو مليل	88/2/16
«المنهجية الأصولية عند الشاطبي»	أبكير محمد	أ. سالم يفوت	88/2/25
«النقد المعرفي والنقد الإديولوجي عند ابن تومرت من خلال كتاب أعز ما يطلب»	اقويريرة محمد	أ. سالم يفوت	88/4/15
«العلم والميتافيزيقا بين ابن رشد وابن سينا»	مزوز محمد	أ. م. عابد الجابري	88/6/7
«الدلالة النفسية لتمثل الواقع في رسوم الأطفال»	بيدادة محمد	أ. ربيع مبارك	88/6/7
«عوامل التفوق والتأخر الدراسي وعلاقتها بتمثل التلاميذ بشخصية المدرس ـ دراسة سيكولو اجتماعية بالمدرسة الابتدائية»	لعمش أحمد	أ. مصطفى حدية	88/6/7

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«الخيال الرمزي في الفلسفة الإسلامية من خلال بن سينا وابن طفيل»	كاك المصطفى	أ. سالم يفوت	88/10/26
«قبيلة هوارة في ليبيا : الجذور والامتدادات المعاصرة، دراسة ميدانية مقارنة مع المغرب»	عمر هيبة عمر القدافي	أ. رشدي فكار	88/10/26
«العقل بين الحقيقة الدينية والسلطة السياسية ـ قراءة في مؤلفات الغزالي»	الانتصار عبد المجيد	أ. محمد عابد الجابري	88/11/21
«سلطة العلماء والمتصوفة بالمغرب الفترة الرابطية» . . .	الساخي عبد الرحيم	أ. علي أو مليل	88/11/21
«الهجرة والتحولات الاجتماعية في الجنوب الشرقي نموذج مركز فجيج من 1900 إلى الثمانينات»	ساعة عبد الكريم	أ. محمد جسوس	88/12/1
«القيادات السياسية والتراتبات الاجتماعية بموريتانيا منذ نهاية الخمسينات ـ ثوابت ومتغيرات»	سيدي محمد ولد عبد الدايم	أ. محمد جسوس	88/12/1
«الأسماء والرسوم (الأوصاف) دراسة منطقية لسانية» .	السياوي يوسف	أ. طه عبد الرحمن	88/12/1
«المعنى والتأويل عند بول ريكور»	منصف عبد الحق	أ. الوقيدي وأ. الدواي	88/12/19
«مفهوم السببة عند ابن رشد»	شخن عبد الوهاب	أ. سالم يفوت	88/12/20
ـ جدل الحداثة والتاريخ في الفكر القومي العربي الحديث (نموذج قسطنطينة زرق)	تفنوت عبد الرحيم	أ. محمد سبيلا	89/1/17
ـ أبعاد وحدود النظرية النقدية عند جورج لوكاتش وارنست بلوخ	لمريني الوهابي فريد	أ. محمد سبيلا	89/1/17
ـ استراتيجيات المهاجرات في مواجهة سياسة التهميش .	السعدي السعدية	أ. فاطمة المرنيسي	89/1/17
ـ المشكلة الديمغرافية والتنمية الاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة معيارية	عبيد خلفان محمد الروم	أ. رشدي فكار	89/2/7
ـ مارتين هايدجر والميتافيزيقا : مسألة المجاوزة ومشكل اللغة	طواع محمد	أ. سالم يفوت	89/2/9
ـ بنية العلاقات العاطفية داخل دينامية جماعة القسم وأثرها على التحصيل الدراسي لدى المراهقين المتمدرسين : دراسة سيكوسوسيولوجية لجماعة القسم	مرسين عمر	أ. المصطفى حدية	89/3/7
ـ تمثلات الأدوار لدى المتزوجين من الشباب وعلاقتها بالتفكك الأسري	سيك مامباي	أ. المصطفى حدية	89/5/8
ـ اللعب والتكيف المكاني عند الطفل	التازي نادية	أ. مبارك ربيع	89/6/29
ـ دراسة سوسيوغرافية للرحلة المشرقية للعلامة الوزير سيدي محمد بن عثمان المكناسي تحت عنوان (إحراز المعلى) تحليل ومقارنة	أمناي ابراهيم	أ. رشدي فكار	89/6/29
ـ العلاقات بين المدينة والبادية نموذج فاس وقبائل الحياينة	بخاري زينب	أ. المكي بنطاهر	89/6/29
ـ بنية الأسرة الحضرية بين الواقع المعيش والتطلعات (دراسة نفسية اجتماعية للأسرة الحضرية المتمدنة بالدار البيضاء	شكري عبد الجبار	أ. محمد شقرون	89/6/29
ـ القبيلة ـ الزاوية ـ المخزن	بكاج رشيد	أ. المكي بنطاهر	89/6/29
ـ وظائف منهاج اللغة الفرنسية في المجتمع المغربي خلال الحماية الفرنسية وغداة الاستقلال	بلكبير محمد	أ. محمد شقرون	89/7/20

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ـ اتجاهات الشباب المتمدرس نحو المخدرات وعلاقاتها باندماجه الاجتماعي دراسة نفسية ـ اجتماعية	أكناو نعيمة	أ. مبارك ربيع	89/7/20
ـ السينوية والرشدية الاتصال والانفصال	مخلوفي محمد	أ. محمد عابد الجابري	89/11/14
ـ محاولة لوضع معجم الألفاظ (مقدمة) ابن خلدون	بن الهاشمي أنيسة	أ. محمد عابد الجابري	89/11/14
ـ الاتصال عند ابن باجة	المسنيري محمد	أ. محمد عابد الجابري	89/11/20
ـ مقالة اللام بين ابن سينا وابن رشد	أشماعو العربي	أ. محمد عابد الجابري	89/11/20
ـ إشكاليـة التحـديث في الفكر الاجتماعي المغربي من 1844 ـ 1912م	حيمر عبد السلام	أ. محمد سبيلا	89/11/21
ـ اتجاهات المراهقين المتمدرسين نحو المكانة الاجتماعية للمرأة وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي	الكثير محمد	أ. ربيع مبارك	89/11/21
ـ الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب	يادو عبد الجليل	أ. سعيد بنسعيد العلوي	89/11/27
ـ الإشكاليات الأساسية في الفكر السياسي العربي المعاصر	زوين مراد	أ. محمد سبيلا	89/12/12

شعبة الدراسات الإسلامية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«المنظومة الحضارية عند مالك بن نبي»	رضا ابراهيم	أ. محمد بلبشير	87/12/2
«الفقه الإسلامي ومدى استجابة علماء المسلمين في تطبيقه على ما استجد من أحداث ووقائع»	برحيلي محمد عز العرب	أ. محمد بلبشير	87/12/9
«حركـة النقـد الحـديثي في العصر خـلال القرن الثـاني للهجرة»	العمراني عبد الرحمان	أ. فاروق حمادة	87/12/10
«قواعد الفقه المالكي من خلال كتاب الاشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي»	الروكي محمد	أ. فاروق حمادة	87/12/11
«سنن أبي داود في الدراسات المغربية رواية ودراية»	خرشفي ادريس	أ. فاروق حمادة	87/12/14
«كتاب علم النصرة في تحقيق قراءة عالم البصرة لأبي زيد عبد الرحمن بن القاضي ـ دراسة وتحقيق»	كارتي عبد العزيز	أ. التهامي الراجي	87/12/22
«علم الجرح والتعديل وأثره في تقويم التاريخ الإسلامي»	العلمي الحسن	أ. فاروق حمادة	87/12/22
«جامع الترميدي في الدراسات المغربية رواية ودراية»	صقلي حسني محمد	أ. فاروق حمادة	87/12/24
«سنة الخلفاء الراشدين بحث في المفهوم والحجية»	بوشعراء زيد	أ. الشاهد البوشيخي	88/2/1
«اشكالية العقل والنقل عند الغزالي»	تازي محمد	أ. ع. السلام الهراس	88/2/1
«الابتداع وموقف المحدثين منه حتى سنة 300 هـ»	ادريسي ودغيري م. ادريس	أ. فاروق حمادة	88/3/10

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
«كتاب اللباب في مشكلات الكتاب لمحمد بن علي الشطيبي الأندلسي ـ دراسة وتحقيق»	بوطربوش محمد	أ. التهامي الراجي	88/7/22
«دراسة وتحقيق لكتاب النظر في أحكام النظر لابن قطان الفاسي»	الصمدي ادريس	أ. فاروق حمادة	88/7/22
«كتاب الوسيلة إلى كشف العقيلة لعلم الدين علي بن محمد السنحاوي (ت 643 هـ) دراسة وتحقيق»	الإدريسي الطاهري محمد	أ. التهامي الراجي	88/9/21
«الحافظ ابن حجر وجهوده في علم الجرح والتعديل» . .	آيت سعيد الحسين	أ. فاروق حمادة	88/9/21
«بشائر الفتوحات والسعود في أحكام التعزيرات والحدود لابن أبي البركات (دراسة وتحقيق)»	حمان محمد	أ. التهامي الراجي	88/9/21
«منهج النقد الحديث عند ابن عبد الله القرطبي» . . .	محتريم محمد	أ. فاروق حمادة	88/9/21
«الغيب في القرآن الكريم»	العلمي محمد	أ. محمد أمين الاسماعيلي	88/10/13
«منظومة العلامة الشيخ محنض بابه الديماني المسماة سلم الوصول إلى علم الأصول ؟»	محمد الحنفي ولد محمد المختار	أ. عقى النجاري	88/11/21
«الإمام ابن ماجة وكتابه السنن دراسة وتقويم»	الفقير التمساني محمد	أ. فاروق حمادة	88/11/22
«دلالة الالتزام وأثرها في الأحكام»	أبوه ولد اطراح	أ. عقى النجاري	88/11/24
«النص الديني في الفكر العربي المعاصر»	شبار سعيد	أ. محمد أمين الاسماعيلي	88/11/24
«المناهج الأصولية ـ دراسة»	العروسي محمد	أ. عقى النجاري	88/11/24
«مشروع رؤية عقدية لقيام وحدة مغربية»	بنداي سيدي أحمد المختار	أ. أمين الاسماعيلي	88/11/24
«المنهج العقدي في القرآن»	داود موسى	أ. أمين الاسماعيلي	88/11/24
«العقائد الاسرائيلية وأثرها في توجيه التفسير»	يوهندي مصطفى	أ. محمد أمين الاسماعيلي	88/11/30
«الزمخشري ومنهجه في توظيف القراءات القرآنية» . .	مرزوق عبد الرحيم	أ. التهامي الراجي	88/12/13
«فهرسة أحمد بن العربي بن الحاج ـ دراسة وتحقيق» . .	حالي الحسان	أ. محمد يسف	88/12/14
ـ الحافظ ابن حيان وقواعده في القبول والرد للحديث .	المحرزي علوي أحمد	أ. فاروق حمادة	89/1/4
ـ الصحابة والمؤلفات فيهم	يديد عبد الحق	أ. ابراهيم بن الصديق	89/1/5
ـ الإمام النووي محدثاً	الداودي محميد	أ. ابراهيم بن الصديق	89/1/5
ـ أسباب الاختلاف العقائدية في أصول الفقه	خيري مليكة	أ. عقى النجاري	89/1/5
ـ ابن عطية الأندلسي مقرئاً	غنام نعيمة	أ. التهامي الراجي	89/1/18
ـ عكرمة مولى ابن عباس محدثاً ومفسراً	أميزميز محمد	أ. التهامي الراجي	89/1/18
ـ البعثات النبوية والأهداف المتوخاة منها	معلومي عبد المجيد	أ. محمد بلبشير	89/1/19
ـ أبو عمرو عثمان الشلاجي ـ دراسة فكره العقدي	علال البختي جمال	أ. محمد أمين الإسماعيلي	89/1/23
ـ فهرس الحافظ أبي العلاء العراقي الفاسي تـ 1183 هـ ـ دراسة وتحقيق	التواج خالد	أ. ابراهيم بن الصديق	89/1/30
ـ الإمام الدارمي مرتبة سننه ومنهجه فيها	ابن الضاوية ادريس	أ. ابراهيم بن الصديق	89/1/30
ـ حق الملكية بين الشريعة الإسلامية والقانون المغربي .	زريق محمد	أ. محمد بلبشير	89/2/15
ـ الليث بن سعد ومدرسته في الحديث والفقه	المرابط الحسين	أ. فاروق حمادة	89/2/15
ـ الخطيب البغدادي ومنهجه في علم مصطلح الحديث من خلال كتابه : «الكفاية في علم الرواية»	بيهي سعيد	أ. فاروق حمادة	89/3/7

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ـ عبد الله بن وهب وأثره في الفقه والحديث	الحلو نور الدين	أ. فاروق حمادة	89/3/7
ـ كتاب هدى الأسر على طلعة الأنوار للعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي، دراسة وتحقيق .	أسلمو ولد سيدي المصطفى	أ. التهامي الراجي	89/3/7
ـ تفسير سورة يوسف لأبي القاسم السهيلي دراسة وتحقيق	جابري بوشعيب	أ. التهامي الراجي	89/3/7
ـ حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس أبو محمد عبد الرحمان بن عتاب نموذجاً	الصمدي خالد	أ. فاروق حمادة	89/4/6
ـ أبو عمر الطلمنكي وأثره في الدراسات الإسلامية بالأندلس	آيت عمي عبد اللطيف	أ. التهامي الراجي	89/4/21
ـ معجم غريب ما في تفسير الجواهر الحسان للشيخ أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي	بنيطوا محمد	أ. التهامي الراجي	89/5/30
ـ الصحابة وأصول الفقه	اسطيري محمد فتح الله	أ. عقى النازي	89/7/12
ـ قراءات الصحابة رضوان الله عليهم	لحدودي بنيونس	أ. التهامي الراجي	89/7/12
ـ الحركات السرية وموقفها من تفسير القرآن الكريم نموذج الإسماعيلية والبابية والبهائية	السقاط حنان	أ. التهامي الراجي	89/7/18
ـ ابن العربي المعافري ومنهجه في التفسير دراسة وتحقيق	جابري بوشعيب	أ. التهامي الراجي	89/10/6
ـ منهج السلف في الأسماء والصفات القرن الثاني نموذجاً	الزيادي أحمد	أ. محمد أمين الإسماعيلي	89/10/18
ـ المدرسة القرآنية بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري	عزوزي حسن	أ. التهامي الراجي	89/11/23
ـ الإمام شعبة بن الحجاج ومنهجه في الحديث	ابن عزوز محمد	أ. فاروق حمادة	89/11/23
ـ علم مختلف الحديث عند الفقهاء والمحدثين	بن زاكور يوسف	أ. فاروق حمادة	89/11/23
ـ الإمام البغوي ودوره في دراسة الحديث النبوي وفقهه	الفلبزوري توفيق	أ. فاروق حمادة	89/11/23
ـ الإمام المزي ومدرسته في الحديث والرجال	مشان محمد	أ. فاروق حمادة	89/11/23
ـ النبوة بين القرآن والعهد القديم	محمد فال ولداها	أ. محمد أمين الإسماعيلي	89/11/23
ـ تقييم تعليم المواد الإسلامية بالمؤسسات التعليمية بالمغرب بعد الاستقلال	الهند مولاي مصطفى	أ. محمد بلبشير	89/12/20
ـ اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر للإمام المناوي دراسة وتحقيق	رستم محمد	أ. فاروق حمادة	89/12/20
ـ الحركة الحديثية بالمغرب في عهد السعديين	الباشا سالم	أ. فاروق حمادة	89/12/20
ـ الإسلام والديانات الوضعية في آسيا ـ دراسة مقارنة .	ون سام لي	أ. المهدي بنعبود	89/12/20
ـ الرازي أصولياً من خلال تفسيره الكبير	زحوط لخضر	أ. التهامي الراجي	89/12/20
ـ سنن التغيير التاريخي في القرآن الكريم	الشاكر أحمد	أ. التهامي الراجي	89/12/20
ـ المنهج المتدارك في شرح دالية ابن مبارك للسيد أبي العلاء بن ادريس المنجرة الحسني ـ دراسة وتحقيق . . .	الخامر العربي	أ. التهامي الراجي	89/12/24
ـ أساليب الحوار في القرآن الكريم	وي كاب هوانج	أ. التهامي الراجي	89/12/24
ـ العقوبة المالية في الشريعة الإسلامية	الطالبي أخيار ولد اعمر سيدي	أ. التهامي الراجي	89/12/24
ـ إيضاح الأسرار والبدائع وتهذيب الغرر والمنافع في شرح الدرر اللوامع لمحمد بن محمد المعروف بابن [illegible] .	وخيتي يوسف	أ. التهامي الراجي	89/12/24
ـ سنن النسائي في الدراسات المغربية ـ رواية ودراية . .	بربور مريم	أ. فاروق حمادة	89/12/24

موضـــوع البحـــث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ـ ابن محيصن المكي قارئاً	المختار ولد سيدي الأمين ولد حسن	أ. التهامي الراجي	89/12/24
ـ قراء القرنين الرابع والخامس الهجري بالمغرب والأندلس	العمريش الحسن	أ. التهامي الراجي	89/12/24
ـ الدرة الصقيلة في شرح العقيلة لأبي بكر عبد الغني اللبيبي تقديم وتحقيق	آيت زعبول عبد العلي	أ. التهامي الراجي	89/12/24
ـ تقديم وتحقيق للجزء الأول من كتاب (عيون الأدلة) مخطوط لأبي الحسن علي بن القصار المالكي المتوفى سنة 398 هـ	بن مغار جواد	أ. التهامي الراجي	89/12/24
ـ نظرية الشبهة في الحدود في الفقه الإسلامي	بخيم ادريس	أ. التهامي الراجي	89/12/24
ـ الإمام الزيلعي ومدرسته في تخريج النصوص الحديثية	بصير يوسف	أ. فاروق حمادة	89/12/24
ـ أبو العباس الإشبيلي وجهوده في علوم الحديث	بنعيسى المختار	أ. فاروق حمادة	89/12/24

شعبة الفرنسية

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
14/1/88	M.D. Bellamine	El Fassi Amina	«L'image dans l'œuvre de Jacques Brel».
14/1/88	M. M'daghri Alaoui Abdellah	El Makhfi Jaouad Maria	«Mythes et symboles dans l'œuvre romanesque de Mohamed Dib».
14/1/88	M. B. Elakhdar	El Hadri Rachid	«Structure prédicative et organisation du lexique».
10/2/88	M. M'Daghri	Zerouali Hayat	«Métaphore et Fiction».
10/2/88	M. Kilito	Aït Rami Mohamm».	« Systeme de seduction et strategie romanesque dans l'ouvre de Crebillon fils ».
10/2/88	M. Boukous	Oussikoun Bennasser	«L'état d'annexion en Tamazight (le parler des Aït wirra.Approche non linéaire».
17/3/88	M. Kilito	Sbihi Touria	«Simulation et dissimulation dans l'œuvre de Valery Larbaud».
17/3/88	M. Kilito	Kharbouch Mohamed Amine	«Désir et imitation dans l'œuvre de Flaubert».
17/3/88	M. Bakkali	Benbouajli Chouaïb	«Esai de critique psychanalytique : La castration dans les cartes du Maupassant».
17/3/88	M. Bendaoud	Bennis Ahmed	«Analyse de l'espace dans le théâtre de la révolution de R. Rolland».
25/4/88	A. Moutawakil	El Baaj Laïla	«La négation en Arabe : Approche Fonctionnelle».
25/4/88	M.D. Bellamine	Ami Chama	«Modernité et tradition dans l'œuvre poétique d'Ives Bonnefoy».
12/5/88	M. B. Meyer	Bouachrine Zouhir	«Procédés poétique de Michel Leiris».
25/5/88	M.D. Bellamine	Atita Omar	«Poésie et transcendance dans l'œuvre poétique de Saint Jopers».
25/5/88	M. B. Meyer	Berrouho Ahmed	«Une Tentative de lecture de **retour amond** de René Char...».
25/5/88	M.A. Moutawakil	El Hamraoui Ahmed	«Les constructions passives : pour une approche fonctionnelle».
28/6/88	M. M'Daghri Alaoui	Aidouni Hamid	«Aspects enonciatifs du paratexte dans le rouge et le noir».
28/6/88	M. Boukkous	Fehri Noureddine	«La Morphologie des noms verbeaux en Tamazight (parler Rifain de Nador».
13/10/88	M. Moutawakil	yamani Awatif	«Les Constructions corsatifes en Français Syntaxe en Lexique».
31/10/88	M. Man Goutard	Sawaf Fatima	«Analyse Sémiotique des contes populaires Marocains».
31/10/88	M.Moutawakil	Kettani Omama	«L'Interrogation en Egyptien Moderne forme et fonction».

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
15/11/88	M. Meyer	Chikh My Ijou	«La poétique et la stylistique de Théophile de Vincin».
12/1/89	M. Kilito	Najjar Najlae	«Le jen dans le roman de Bons Vian»,
12/1/89	M. Kilito	Benamrhar Abdelkrin	«Le thème du double dans l'œuvre romanesque de Guy de Maupassant».
12/1/89	M. Meyer	El Bousidi Mokhtar	« Douve d'ives Bonnefoy Hermétisme et Interprétation».
12/1/89	M. M'Dachri	Benabbou Amina	«Analyse énonciative d'essais philosophiques de Denis Diderot».
24/1/89	M. Bakkali	Saoud Imane	«La présence du Maroc dsans la Provence de Henri Bosco».
24/1/89	M. Boukous	Wane Mohamedoune dit Doudou	«La structure et Processus Phonologiques en parler de Boshé, Mamitanie».
8/2/89	M. Boukous	Fennich Bouchra	«La formation du féminin nominal en Arabe Marocain (Approche non-concatenative)».
24/2/89	M. El Akhdar	Belhaj Laïla	«La dérivation suffircale en Français».
11/5/89	M. M'Daghri	Belabdi Mustapha	«Aspect de la Modernité dans la Littérature Maghrébine : l'Exemple de Talismane de Meddeb».
18/5/89	M. Bakkali	Neiri Zineb	«Le thème des lieux clés dans le rouge et le noir et la chartieuse de Parme de Stendhal».
26/6/89	M. M'Daghri	Raouki Taoufik	« Le point de vue chez k. Boudjedra, problème de la distance narrative ».
31/10/89	M. Boukous	Lazzi El Mehdi	«La dérivation verbale en Tamazight : forme en SS. parler d'Aït Attad-Azilal».
31/10/89	M. Bendaoud	El Manira Rochdi	«Analyse dramaturgique du Théâtre de Samuel Beckett».
31/10/89	M. Boukous	El Himer Mohamed	«La morphologie Dérivationnelle verbale de l'Arabe Marocain : Verbes simples».

شعبـــة الإسبـــانيـــة

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
5/2/89	M. B. Loupias	Karim Mohamed	«La Dramaturgia de Antonio Gal en las obras de tema contemporaneo anteriores a Petra Regalada».
5/2/88	M. B. Loupias	El Harti El Arbi	«Las figuras de repeticion en las letrillas remances y las soledades de Luis de Gongora».

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
23/3/89	M. Okab et Mme Aouad Omama	Darbal M'Hamed	«Sémantica del espacio y del tiempo en la poésia de octavio Paz».
24/5/89	Mme Aouad Omama	Jamil Abdellatif	«Imagen del mundo y creación artistica en la obra narrativo de Juan Carlos Quetti».
27/11/89	Mme Aouad Omama	Gnaoui Younes	«El terma del Exilio J su Expresión Literaria Y en la Narrativa de Julio Cortazar».

شعبة الإنجليزيـة

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحـــث
13/1/88	M.A. Dhaidan	Ben Abou Fatiha	«The detective novel a genre subverted in Lynchon's crying lot 49».
9/2/88	M. J. Saïb	El Aissati Abderrahmane	«Study of the phonotactics of asht touzine tarifiyt dialect».
14/3/88	M. Benhallam	Al Rhadi Abdellatif	«Pluralization and the organization of lexicon in Moroccan Arabic».
8/4/88	Mme Kennedy	Mouhib Fares	«Virginia Woolf's concept of reality : moments of vision and metaphor in Mrs dalloway, to the lightouse and the waves».
8/4/88	M. A. Daidan	Sifer Mohamed	«Joseph Conrad's weltanschauung : A study of the relation hips of whites natives and their representation in heart of darkness and Lord Jim».
11/7/88	Mme F. Rhissassi	Graiouid Saïd	«On hundred years of solitude and the autumn of the patriarch as realist texts».
12/7/88	Mme Kennedy	Chafi Mohamed Nabyle	«Rereading Verginia Woolf as a feminist : A Room of one's oun and thee Guineas».
12/7/88	M. Halla	Auaakarrouch Aomar	«The teaching of Literature in english in Morocco towards a methodology».
19/7/88	Mme Rhissassi	Benzidane Mohamed	«Beyand the fictive : astudy of the ar-life relationship in Barth's the floating opera and sterne's tristran».
21/7/88	M. Saïb	Moktadir khalid	«The passive form in tashlhiyt morphology a non-concatenative approch».
10/10/88	M. Dahbi	Fatihi Saïd	«Spesch differences between males and females in Morrocan Arabic».
21/11/88	M. Dahbi	Mohy Zahra	«A sociolinguistic study of Doctor Latie interaction in two Moroccan Hospitals».
30/11/88	M. Dahbi	Oulima Jamila	«Foedback in Ege classroam discourse in Moroccan secondary schools advelopmental study».
8/12/88	M. Dahbi	Oufkir Amina	«Furmlaic aspects of Egl Pearmen's discourse».

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضـــوع البحــث
8/12/88	M. kriem	Karimi 'Aohamed	«Style as discourse in hemingway's **the sun aiso** rises and Carms's **l'étranger** : a comparative study».
8/12/88	M. Benhallam	Rokbi Samira	«A lexial phonology of Moroccan Arabic
22/2/89	Mme V. Kennedy	Zrizi Hassan	«Character Presentation and it Ideological Implications in Implication in Virginia Woolf's **to the Light house, Mrs Dalloway** and **The Waves**».
13/3/89	M. A. Kriem	Sarroukh Abdenbi	«Language, Being and signifier in Frang Kafka's. **The Castle**»
8/6/89	M. A. Mekouar	Sbihi Jalila	«Farlk ner's Yorknapatanpha fiction and the nature of Historical knowledge»,
19/6/89	Mme Rhissassi	Sajid Ahmed	«A Feminist Reading of Joyee's Dublinets, **A Portrait and Ulysses**».
23/10/89	M. A. Halla	Touzani Ilham	«Towards a Poetics of Modern Tragedy : A Reading of Arthur Miller's Tragedies».
15/11/89	M. Dahbi	Moumine Mohamed El Amine	«Sociolinguistic variation in Casablanca Moroccan Arabic».
29/11/89	Mme Kennedy	Ifrane Omar	«Challenging Realism from within : Astindy of larody and Magic Realism in from Novels by Angela Carter».

اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ
(من قضايا المصطلح)

محمد عبد الجليل الهجراوي

المتحف التاريخي - الرباط

تعترض الباحث العربي صعوبات كثيرة عندما يسعى لإيجاد البديل الملائم للمصطلحات العلمية والتقنية السائدة في اللغات الأجنبية. ويعاني المتخصصون في فترة ما قبل التاريخ من نفس الأمر. فعندما يقتصرون على الترجمة الحرفية للمصطلح الأجنبي قد لا تؤدي هذه الترجمة في جميع الحالات إلى المعنى المطلوب. وكمثال مصطلح Biface فهذه الكلمة مركبة من شطرين هما : Bi وتعني مزدوج وFace وتعني وجه. لذلك سماها بعض الباحثين «ذو الوجهين» إلا أن هذه الكلمة لها دلالة أخرى في اللغة العربية. ولافتقادها مصداقية المضمون لا يمكن الاحتفاظ بها. لكن المشكل المطروح هو كيف نجد مصطلحا مطابقا ؟ وما هي المعايير التي يمكن أن نعتمد عليها ؟ كل هذه الدوافع جعلتنا نفكر مليا في الموضوع ونقترح من خلال هذا المقال أسماء نضعها بين أيدي الباحثين لنفتح بها باب النقاش.

المعايير :

لإيجاد الأسماء المطابقة، اعتمدنا على نفس المعايير التي وظفها جميع الباحثين غير العرب لنفس الغرض، وبالتالي لم نكتف كما كان الأمر من قبل بالترجمة الحرفية للكلمة، وإنما نبحث عن اسم يعبر عن مضمون الأداة.

وقبل عرض الأسماء المقترحة سنذكر أولا بأهم هذه المعايير :

- وصف الأداة : Biface أي أداة منحوتة من جهتين.
- شكل الأداة : Biface cordiforme أي أداة منحوتة من جهتين قلبية الشكل.
- الموقع الذي وجدت فيه لأول مرة : éclat levallois شظايا موقع لوفالوا.

ـ الحضـــارة التي تنتمي لهـــا : pointe aterienne أدوات تنتمي إلى الحضـــارة العتيرية.

ـ تقنية النحت : technique levallois تقنية لوفالوا.

ـ وظيفة الأداة : Racloir أدوات استعملت لحك الجلود.

ـ تشابهها مع شكل الأدوات الحالية couteau سكين.

الأسماء المقترحة :

والآن نضع بين أيدي الباحثين بعض الأسماء التي مما لا شك فيه ستحل بعض المشاكل، إلا أنها سوف لن ترضي ولن تستجيب لمتطلبات الجميع، ولكن المراد منها، هو إيجاد كلمات مبنية على أسس صحيحة وبالتالي فتح باب المناقشة وإبداء الاقتراحات. ومما يجب التذكير به، هو أن المصطلحات الفرنسية نفسها، عرفت نقاشا حادا في البداية، ولم يتفق عليها إلاّ خلال الخمسينات. ولنأخذ كمثال للخلاف المتباين بين اسم الأداة ومضمونها. المنقاش الصغير microburin فحسب الباحثين الأوائل الذين عثروا عليه، اعتقدوا أنه استعمل كمنقاش، ولذلك أطلقوا عليه هذا الاسم، لكن من بعد، تبين أن هذه البقية الأثرية لم تستعمل قط، وإنها مجرد مخلفة من مخلفات عملية النحت، ورغم ذلك لم يتردد الباحثون في الاحتفاظ بالاسم الأول، لا لشيء، إلا لتفادي المناقشات الجانبية.

أما الأدوات التي سنقترح لها مصطلحات باللغة العربية ضمن هذا المقال هي :

Racloir; chopping-tool, chopper, Hachereau, Biface, Grattoir

أ ـ Biface : مما لاشك فيه أن من بين الأغراض التي صنع من أجلها هذا النوع من الأدوات، الحفر واقتلاع جذور الأغصان... لذلك نقترح اسم «محفر حجري» أي آلة للحفر من حجر.

ب ـ Hachereau : استعملت هـذه الأداة في بعض الأحيـان لنفس أغراض المحفر الحجري، وكذلك لقطع الأغصان. ولتشابهه مع الفأس الحالي، يمكن تسميته «بالفأس» وللتفريق بينهما، يمكن أن نزيد كلمة «حجر» أي الفأس الحجري.

ج ـ Chopper : هو عبارة عن حصى أو حجر منحوت من جهة واحدة وبصفة غير كاملة، لذلك يمكننا أن نطلق عليه اسم «الحجر المعدل».

د ـ Chopping-tool : على عكس الحجر المعـــدل، النحت يكـون من جهتين وبصفة غير كاملـة، وذلـك قصـد التوصل إلى جهـة حـادة وقـاطعـة، لـذلـك نقترح اسم «الحجر القاطع».

هـ ـ Racloir, grattoir : حينمـا نبحث عن ترجمـة الكلمتين في بعض المعـاجم، نجد لكليهما المرادفات التـاليـة، معـك ومكشـط. ونظرا لشكل Racloir وحجمـه، لقـد استعمل مما لاشك فيـه لحـك الجلود، لـذلـك اقترح بـأن نطلق عليـه اسم محـك، أمـا Grattoir فشكله وكذا كون التهـذيب لا يتعـدى مقـدمـة الشفرة، واستعمـالـه لتشـذيب الأغصان، يمكن إذا أن يخصص له اسم مكشط.

هذه محاولة أولى لإيجاد مصطلحات عربيـة مبنيـة على معـايير علميـة وتقنيـة، أضعها بين أيدي الباحثين للمناقشـة وتبـادل الآراء سعيـا منـا للتوصل إلى أسماء سليمـة يتفق عليها الجميع.

جدول للأسماء المقترحة والمعايير المعتمد عليها

اسم الأداة بالفرنسية	الاسم المقترح	المعيار المعتمد عليه
Biface	محفر حجري	وظيفة الأداة
Chopping-tool	حجر قاطع	وظيفة الأداة
Racloir	محك	وظيفة الأداة
grattoir	مكشط	وظيفة الأداة
Chopper	حجر معدل	وصف الأداة
Hachereau	فأس حجري	تشابهه مع أداة حالية

معرفة أربينوس وخوليوس بالعالم المسلم
أحمد بن قاسم الأندلسي
والدراسات العربية في هولندا (*)

قاسم السامرائي

لايدن - هولندا

لعل هذا الكتاب الصغير يمثل أول دراسة علمية موضوعية تاريخية جادة يكتبها مستشرق هولندي شاب من الجيل المعاصر حول العلاقة العلمية التي كانت قائمة بين المبعوث المغربي أحمد بن قاسم الأندلسي الحجري وبين مستشرقين هولنديين هما : أربينوس وخوليوس في القرن السابع عشر (الحادي عشر للهجرة) واللذين يعدان من أعمدة الاستشراق الهولندي حتى اليوم. فألغى في بحثه هذا ما قاله الباحث الاسترالي أوتس : «ان عيب الهولنديين يكمن في أنهم يقرأون قليلا جدا ويكتبون كثيرا»[1] لأن خيرارد فيخرز قد قرأ حول بحثه هذا كثيرا بيد أنه كتب قليلا جدا. وهذا يظهر واضحا جليا في عدد المصادر الكثيرة التي أشار إليها بلغاتها المختلفة سواء في الكتاب نفسه أو في جريدة المصادر التي احتوت على 81 كتابا ومخطوطا (بالعربية والاسبانية) ومقالة ووثيقة فأوفى في بحثه هذا على كل باحث قبله واستوفى كل ما قاله دون تمحّل المفترض أو تعمّل المغرض.

الحق أن هذا الباحث لم يكن أول من ذكر هذه العلاقة فقد أشار إليها بعض المستشرقين الهولنديين أيضا اعتمادا على رسالة بعث بها أربينوس من باريس مؤرخة في 28 سبتمبر 1611 (1020 هـ) إلى المستشرق إسحاق كازابون باللغة اللاتينية قال

*) A Learned Muslim Acquaitance of Erpenius and Golius :
Ahmad b. Kasim al-Andalusi and
Arabic Studies in The Netherlands, by G.A. Wiegers,
Dokumaentatiebureau Islam – Christendom, U.L. 1988, pp. 98.

1) Oates J.C.T., The Manuscripts of Thomas Erpenius, in : The Bibliographical Society of Ausralia and New Zealand, Malbourne, 1974, p. 7.

«ووراء كل ما كنت أتوقع فقد وصل إلى زيارتي تاجر مغربي مسلم اسمه أحمد وهو رجل متحضر وذكي وقد كان قد درس الأدب في شبابه ويتكلم العربية الفصحى بصورة جيدة ولكن متواضعة... لقد كنا نتكلم بالعربية لأن الاسبانية التي يعرفها إضافة إلى العربية مما يتعذر عليّ فهمها... وقد تناقشنا دائما في الدين، وصدقني فإن بعض «ضلالاتهم» لا يمكن دحضها بسهولة كما يتصور كثير من الناس. فهم يمقتون مسألة ألوهية المسيح...» وقد أورد المؤلف قسما كبيرا منها باللاتينية وترجمها إلى الإنجليزية ليخلص منها إلى تصحيح الخطأ الذي وقع فيه بعض المستشرقين حين وصفوا أحمد بن قاسم الأندلسي الحجري بالتاجر ولهذا فإنه لم يستطع مساعدة أربينوس في دراسته فأورد آراء السيدة يانبول وفوك في قولهما : إن مناقشة أحمد بن قاسم الأندلسي مع أربينوس قد غيرت آراء أربينوس عن الإسلام. ونعى المؤلف على كل من ذكر علاقة أحمد بن قاسم الأندلسي مع أربينوس نقص دراستهم وذلك «لأنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن هذه العلاقة دامت أطول من الشهور الثلاثة التي قضاها في باريس» (صفحة 54). فقد سافر أحمد بن قاسم من باريس إلى هولندا وزار صديقه أربينوس في لايدن وحل ضيفا عليه في بيته (صفحة 57).

والآن : من هو أحمد بن قاسم الأندلسي الحجري ؟ لقد ظهر حديثا (سنة 1407 هـ / 1987) بالدار البيضاء ـ المغرب كتاب : «ناصر الدين على القوم الكافرين» لأحمد بن قاسم الحجري الأندلسي المعروف بـ «أفوقاي»[2] من تحقيق الأستاذ محمد رزوق (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية) وهو كتارب رحلة أحمد بن قاسم إلى فرنسا وهولندا وصف فيه أولا شيئا من حياته في الأندلس وحياة الأندلسيين بعد أكثر من مئة سنة من سقوط غرناطة (في سنة 898 هـ / 1492) فرأى الأندلسيين يعبدون دينين : دين النصارى جهرا ودين الإسلام في السر، «وإذا ظهر على أحد شيء من عمل المسلمين يحكمون فيهم الكفار الحكم القوي، يحرقون بعضهم، كما شاهدت حالهم أكثر من عشرين سنة قبل خروجي منها» (ناصر الدين : 18). وأن النصارى «تقتل وتحرق كل من يجدون عنده كتابا عربيا أو يعرفون أنه يقرأ بالعربية» (ناصر الدين : 25). و«كان الأندلس يخاف بعضهم من بعض ولا يتكلمون في أمور الدين إلا مع من كان ذمة، معناه : ذو أمنة» (ناصر الدين : 29).

2) أفوقاي : تمريض اسباني لـ «أبو القاسم» فان كل من كان اسمه أحمد في الأندلس يلقب بأبي القاسم.

وهو هنا يشير إلى ما كانت محاكم التفتيش المرعبة قد زرعته من الخوف الرهيب من التعذيب والاحراق وسلب الأرواح والأموال في قلوب الموركسيين والمدجنين الذين آثروا البقاء في اسبانيا بعد زوال الحكم الإسلامي منها. ثم يخبرنا أحمد بن قاسم عن طريقة هربه من اسبانيا بطريق حصن البريجة (الجديدة الآن) الذي كان بيد البرتغاليين والذي يقع على الساحل الغربي من المغرب ووصوله إلى معسكر السلطان السعدي المنصور الذهبي في حدود سنة 1007 هـ. ولعل السلطان أحمد قد ألحقه بديوان الترجمة فقد ذكر أحمد بن قاسم نفسه في ما ألحقه بترجمته لكتاب «العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع» لإبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي المعروف بالمعلم الرباس[3] من الاسبانية إلى العربية. فقال : «إن بمدينة مراكش كنت ترجمان السلطان مولاي زيدان بن السلطان أحمد بن مولاي محمد الشريف الحسني ـ رحمهم الله ـ سنين عديدة وكاتب سره باللسان العجمي (الاسباني)، وكذلك ترجمت للسلطانين أولاده ـ رحمهم الله وعفى عنهم ـ». والإشارة هنا إلى السلطان أبي مروان عبد الملك بن زيدان الذي خلف أباه في سنة 1039 هـ، والسلطان الوليد الذي خلف أخاه في سنة 1044 هـ.[4] والظاهر أن أحمد بن قاسم لم ينبغ في ديوان الترجمة (المخزن) إلا بعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي وخلافة ابنه زيدان في سنة 1012 هـ فبعد ست سنين أمر الملك الاسباني في سنة 1018 هـ (1609) بإخراج المورسكو جميعا من اسبانيا وهنا يروي لنا أحمد بن قاسم نفسه أن «السلطان الاسباني المسمى بفلب الثالث أمر بإخراج جميع المسلمين من بلاده وابتداء ذلك كان لسنة ثمان عشرة وألف، وآخر من خرج منهم كان عام عشرين وألف. وكان الأندلس يقطعون البحر في سفن النصارى بالكراء ودخل كثير منهم في سفن الأفرنج (الفرنسيين) ونهبوهم في البحر. وجاء إلى مراكش أندلس منهوبون من الفرنج من أربع سفن. وبعث رجل أندلسي من بلاد فرنجة يطلب منهم وكالة ليطلب الشرع عنهم ببلاد الفرنج. واتفق نظرهم أنهم يبعثون خمسة رجال من المنهوبين ويمشي بهم واحد من الأندلس الذين سبقوهم بالخروج، واتفقوا انني

3) احتار هارفي في معرفة «المعلم الرباس» واحتار معه فلوجل والأركون فهو معجم الرياش مرة وهو المعجم ريفاس مرة أخرى. وهو بكل بساطة «أستاذ المدفعية»، Master gunner Cf. L.P. Harvey; The Morisco who was Muley Zaidan's spanish interpreter, in : **Miscelànea de Estudios Arabes y Hebraicos** VIII, fasc. 1, 1959, p. 68.

4) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري (الدار البيضاء 1955) 3/6 ـ 82؛ وانظر أيضا : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين لمحمد حجي (الرباط 1976) 403. فقد قال عن أحمد بن قاسم : «وانخرط في سلك الكتاب بديوانه (أحمد المنصور) كمترجم».

نمشي بهم وأعاطني السلطان (زيدان) كتابه وركبنا البحر المحيط بمدينة آسفي» (ناصر الدين : 44). وهنا تبدأ رحلة أحمد بن قاسم إلى فرنسا نائبا عن الأندلسيين الذين سلبهم القراصنة الفرنسيون أموالهم ومتاعهم وتركوهم في جزيرة مهجورة دون ماء أو زاد حتى أنقذتهم سفينة انجليزية. وفي فرنسا يلتقي بجالية أندلسية كبيرة إلى حدّ أن السلطة الفرنسية عينت لهم قاضيا خاصا فرنسيا يقضي في أمورهم سماه أحمد بن قاسم بـ «قاضي الأندلس» (ناصر الدين : 49). وفي باريس أيضا يلتقي أحمد بن قاسم بمستشرق فرنسي هو هوبرت فيقول له هوبرت : «أنا أخدمك فيما تحتاجني لأكلم لك من كبراء الناس وغير ذلك وما نحب منك الا نقرأ عليك في الكتب التي عندي بالعربية وتبين لي شيئا مما فيها».

ويكتشف أحمد بن قاسم أن هوبرت سبق وأن زار مراكش وأن جلوسه هناك كان بأمر الملك الفرنسي «لنعلمه بحروف الرمز كلما نعلم أنه يقع لسلطان مراكش في ديوانه وحركاته». أي أنه كان جاسوسا فرنسيا في مراكش. (ناصر الدين : 50) ومن خلال هوبرت هذا يتعرف أحمد بن قاسم على أربينوس الذي كان مشغولا بجمع مادة كتابه المدرسي «مقدمة في القواعد العربية» والذي نشره في لايدن أثناء إقامة أحمد بن قاسم الأندلسي في بيت أربينوس بلايدن سنة 1613 (1022 هـ). فإن أحمد بن قاسم لم يحصل في فرنسا إلا على جزء ضئيل من أموال الأندلسيين المنهوبة فآثر السفر عبر هولندا إلى المغرب بسبب أن العلاقات السياسية بين هولندا والمغرب إذ ذاك كانت جيدة للعداوة المستحكمة بين الهولنديين وبين الاسبان الذين كانوا يحتلون هولندا زمنا طويلا وانحياز أكثر الهولنديين إلى البروتستانتية. فتذكر صاحبه الهولندي في باريس فكتب إليه حال وصوله إلى أمستردام رسالة جاء فيها : «الكتاب من عند صاحبك الذي عرفت في بريش من أجل صاحبنا الطبيب المعظم منسيو هبرت، هو - حفظكم الله - المسلم الذي جاء من مراكش المحروسة في شأن الخصومات...».[5] وقد نشرها خيرارد فيخرس بالتصوير مع وثائق أخر في كتابة مع ترجمتها إلى الانجليزية فيسر للمهتمين بها الاطلاع عليها بأصولها ومن ثم مقارنة نتائجه التاريخية بالمعلومات الواردة في هذه الوثائق. وقد أحسن الباحث أيضا في نشره الرسالة الطويلة التي أرسلها أحمد بن قاسم إلى جماعة الموريسكو في استانبول بأصلها الاسباني وترجمتها الانجليزية.[6] فقد ألقت هذه الرسالة الطويلة الضوء على نشاط

5) Leiden Univ. Library, Or 1228, nr. 32 (136).

6) الأصل المخطوط محفوظ في مكتبة جامعة بولونا بإيطاليا برقم : 565.

الموريسكو في استعداء السلطان العثماني وإغرائه على استرداد الأندلس بعد أن عمت الفتن والمنازعات والحروب في المغرب أثناء حكم الأسرة المرينية ومن بعدها السعدية فاستولى الاسبان والبرتغاليون على العرائش والبريجة وبعض الحصون الساحلية الأخرى[7] فمنعوا الموريسكيين من الهجرة إلى المغرب. واستعان المتنازعون إمّا بالاسبان أو بالبرتغاليين للوصول إلى الحكم - كل ذلك حمل الموريسكيين على اليأس من انتظار أية مساعدة من المغرب المضطرب سياسيا واقتصاديا وعسكريا فوجه الموريسكو أنظارهم وعلقوا آمالهم بالسلطنة العثمانية التي كانت في أوج قوتها في القرن العاشر والحادي عشر، فاستغاثوا بالسلطان العثماني مرارا سواء بإرسال القصائد الطويلة المثيرة أو الرسائل المؤلمة أو بإرسال الوفود إلى أستانبول وإلى حد أنهم عدوه سلطانهم وحاميهم والسيد الكبير.[8] وهذه فترة تاريخية لم يكشف الغطاء عنها بعد وهي فترة غريبة يشوبها الغموض عند المؤرخين المشارقة والمغاربة على حد سواء ويكتنفها التناقض والاضطراب إذ بالرغم من ظهور الدراسات العديدة[9] حول الموريسكو باللغات المتعددة وبخاصة الاسبانية والفرنسية والهولندية والانجليزية فإن الفترة التاريخية الممتدة من سقوط غرناطة وما تبعها من تهجير غالبية سكانها إلى قشتالة بعد ثورة البغراس ومن ثم طرد الموريسكو وتشتيتهم ونفيهم إلى أوربا وشمال إفريقية والمستعمرات الاسبانية في أمريكا الجنوبية والمكسيك وغيرها حتى نهاية القرن الحادي عشر ما تزال بحاجة إلى البحث والتنقير لوضع جماعة الموريسكو في إطار تاريخي واضح وهذا ما حاوله خيرارد فيخرس بالنسبة إلى أحمد بن قاسم الأندلسي الموريسكي فأصابه التوفيق في توضيح بعض معالم أنشطة بعض الموريسكيين إلى حد كبير في استانبول وفي فرنسا وهولندا إلا أنه لم يحاول أن يربط بين النشاط الدبلوماسي الذي كان قويا بين فرنسا والسلطنة العثمانية وبينها وبين هولندا - وهذا ما أشار إليه أحمد بن قاسم عرضا. ففي السنة التي كتب فيها رسالته إلى جماعة الموريسكو من باريس (1021 هـ / 1612) منحت السلطنة العثمانية حقوق التجارة في

7) The Cambridge History of Islam, part. VII, p. 232.

8) انظر : ناصر الدين، 50. وهو السلطان أحمد الأول الذي لم تنقطع الحروب في عهده.

9) Such as : Bronaty Barrachina, P., Los morisco españoles y su expulsión, Valencia 1901.

– Garrido Aranda, A., « **La educación de morisco y mexicos como factor de asimilacio'n cultural** », in : Estudios sobre politica india – éspañola en Amèrica, Univesidad de Valladolid 1976.

– Hess, A.C., « The Moriscos : An Ottoman Fotith Column in Sixteenth Century Spain », in : **The** American Historical Review, Vol. LXXIV, nr. 1, Oct. 1968, pp. 1-25.

– Lapeyre, H., **Géographie de L'Espagne Morisque**, Paris 1959.

– Lea, H.Ch., **The Moriscos of Spain : their conversion and expulsion**, Philadelphia 1901.

أراضيها للتجار الهولنديين الذين كانوا أول من أدخل التبغ للبلاد العثمانية من الهند الشرقية الهولندية (أندونيسيا الآن) فعارض المفتى في استعماله وأصدر فتوى بمنعه فهاج الجند واشترك معهم بعض مستخدمي السرايا السلطانية حتى اضطروه إلى أباحته».[10] فقد كانت هولندا تود التعاون مع السلطان العثماني وسلطان مراكش عسكريا ضد اسبانيا التي كانت إذ ذاك تبذل الجهد للحصول من العثمانيين على اعتراف دبلوماسي بها. ففي إحدى مقابلات أحمد بن قاسم الأندلسي مع الأمير مورتس (أمير الولايات المتحدة الهولندية) في مدينة دنهاخ (لاهاي) قال الأمير لأحمد : «لو اتفقنا مع كبراء الأندلس (الموريسكيين) ونبعث لهم عمارة (أسطولا) من سفن كبيرة ليركبوا فيها مع جنودنا نأخذ اسبانيا (...) لو كنا نتفق مع سلطان مراكش ونبعث للسيد الكبير - أعني السلطان الأعظم، سلطان الإسلام والدين - ونتفق جميعا على سلطان اسبانية نظفر به ونأخذ بلاده».[11] فاستعظم أحمد بن قاسم الأندلسي هذا الأمر إلا أنه رأى في هذا الاتفاق احتمال استرداد الأندلس للموريسكيين في الأقل. والظاهر أن الأمير الهولندي حمله رسالة شفوية بهذا المعنى إلى سلطان مراكش وزوده بـ «الشفرة» السرية لتكون المكاتبة بينهما بها. ولعل البحث سوف يكشف النقاب عن دور أحمد بن قاسم الأندلسي في هذه العملية التي لم تنجح. ولعل سبب فشلها يكمن في الجو السياسي الذي كان مضطربا في المغرب ومن ثم انشغال السلاطين العثمانيين بالحروب الخارجية والداخلية. وقد أشار صديقنا د/عبد الجليل التميمي إلى مثل ذلك في مقاله في مجلة البحث العلمي (1977).

إن دراسة جيرارد فيخرز هذه صححت بعض المعلومات التي كان يرددها بعض المستشرقين الهولنديين دون تمحيص ومن ثم فأنها ألقت الضوء على وجود التعاون منذ بداية الاستشراق في هولندا بين دارسي العربية والإسلام وبين المسلمين حيث استفاد الأولون من الآخرين فائدة كبيرة مما يظهر في رسالة أربينوس إلى كازابون وهنا يقول الباحث : «وبدون شك فإن أربينوس قد تعلم كثيرا من أحمد بن قاسم، وهذا التعلم والمعرفة لا تختص باللغة العربية ولكن أيضا فيما يتعلق بالإسلام فإن أحمد بن قاسم قد استطاع أن يخفف (يزيل) بعض التحامل ضد الإسلام عند أربينوس (صفحة 62). ومع هذا فإن أربينوس لم يذكر أحمد بن قاسم في أي عمل منشور له.[12]

10) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية، القاهرة 1311 هـ /1893 (ط 1)، 117، وانظر أيضا :
The Cambridge History of Islam, 1 : 330.

11) ناصر الدين : 109.

12) انظر دراسة فيخرس :60 حيث قال : «ولم يذكر أربينوس في منشوراته أنه كان مدينا لأحمد بن قاسم إطلاقا».

أما علاقة خوليوس بأحمد بن قاسم فقد بدأت ـ على ما يبدو ـ في سنة 1622 عندما سافر مع بعثة هندسية هولندية إلى المغرب لبناء ميناء على الشاطئ المغربي ضمن التعاون المغربي الهولندي فقد كان الصلة بين البعثة والبلاط السعدي على ما يظهر من مراسلات أحد أعضاء هذه البعثة (صفحة 64). فلا بد من الافتراض هنا أن أربينوس قد عرف صديقه أحمد بن قاسم بخوليوس برسالة منه إليه لأن هذه الصلة لم تقف عند حد العلاقات الدبلوماسية فحسب بل أننا نعرف أن أحمد بن قاسم قد نسخ لخوليوس كتاب المستعين في الطب ليونس بن إسحاق بن بقلارش وهو الآن محفوظ في مكتبة جامعة لايدن بخط أحمد بن قاسم إضافة إلى رسالة بالعربية أرسلها أحمد بن قاسم من مراكش إلى خوليوس بتاريخ 10 جمادى الأولى من سنة 1033 هـ (صفحة 66 ـ 67). ولعل أحمد بن قاسم أعان خوليوس إذ ذاك على اقتناء مجموعته النفيسة من المخطوطات العربية التي آلت بعد وفاته ـ في قصة طويلة ـ إلى مكتبة جامعة اكسفورد (بودليان) وآلت مجموعة أربينوس إلى مكتبة جامعة كمبرج بانجلترا.(13)

ان أهم ما يلاحظ القارئ في هذا البحث الجاد هو ظاهرة إيراد النصوص اللاتينية والاسبانية دون ترجمة إلى الانجليزية وهذا على ما يبدو نابع من افتراض الباحث أن جميع القراء يفهمون هاتين اللغتين وهذا افتراض قد يصح على قلة قليلة من قراء كتابه مع أنه في حالات أخر الحق ترجمة انجليزية ببعض النصوص الأخرى وترك نصوصا غيرها في لغاتها الأصلية. وكنا نود أنه سار على نسق واحد في جميع بحثه. وهناك نقطة أخرى تتعلق بما رواه أحمد بن قاسم في كتاب : ناصر الدين حول «رسول من بلاد فلمنكه» (رسول من بلاد هولندا) فقال : «وقد جاء رسول من بلاد فلمنكه إلى مولاي زيدان بن مولاي أحمد ـ رحمهما الله ـ إلى مدينة مراكش، وكتاب رسالتهم عجمي (بالاسبانية) وأمرني السلطان أن أعربه (...) ورأيت عنده كتبا بالعربية، وهو يقرأ ويكتب بها فسألته أين تعلم ذلك ؟ قال : أعلم أنني كنت في جزيرة كذا من جزر الهنود المشرقية التي يأتوا منها بالقرفة والقرنفل والجوز وغير ذلك من الأباريز وهي للمسلمين، وهناك تعلمت نقرأ (...) وليس بفلنضس (فلاندرز) إلا الذي سنذكره يقرأ بالعربية وهما رجلان فقط».(14)

13) Oates, p. 2.

14) كتاب ناصر الدين : 98.

فقد حاول الباحث أن يستنتج من إشارة أحمد بن قاسم هذه أن الرسول الفلامنكي هذا إنما هو خوليوس لأن كل الدلائل تشير إليه مع أنه لا يعرف عنه أنه زار جزر الهند الشرقية. والأمر ليس كذلك في إشارة أحمد بن قاسم لأن المفهوم منها أن أحمد بن قاسم كان يعرف رجلين فقط في هولندا أو من هولندا ممن يقرأ بالعربية قبل وصول هذا الرسول إلى مراكش فلا بد والأمر هنا أن هذا الرسول كان غير أربينوس وغير خوليوس. وهذه نقطة مهمة لم تحظ باهتمام الكاتب وهو لذلك أوردها في الحاشية (صفحة 67).

وختم الباحث دراسته حول علاقة العالم المسلم أحمد بن قاسم الأندلسي الحجري بكل من أربينوس وخوليوس واثر هذه العلاقة على الدراسات العربية في هولندا بقوله : «ان البحث في المجموعات المخطوطة المحفوظة في لايدن وكمبردج واكسفورد قد يكشف دور أحمد بن قاسم في بعض المخطوطات التي لا يعرف مصدرها حتى الآن والتي تعد من جملة هذه المجموعات وهل أنها جاءت عن طريقه، هذا الرجل الذي كان يعرف حتى العصر القريب بالتاجر المغربي بينما كان في الحقيقة عالما مسلما أندلسيا».

ملحق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسله

اما بعد حمد الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فانه قبلت كتابك وفرحت بما رايت من فهمك
خطك وفهمت معناه ومرماه اما ماذكرت من كتاب مروج
الذهب انه لم يبلغ اليك وانه نهبه العرب من ايدي حامله فذلك
عادتهم في هذه البلاد وفي هذا الزمان الصعب وفرحت اذ جاء
على غير ضك الكتاب المستعين في صناعة الطب مازلت نكتب لك
في شانه شيئا الا في غالب ظني ان النسخة التي بيد صاحبنا
الطبيب تظهر لي ان لها مكتوبة نحو لاربع مائة سنة وهو
هذاك الكتاب المذكور عجيب مقبول عند المسلمين وكنت
ذكرت لي ان عندك حروفا مجهولة لميل الشمس لو امكان
ان تردها عربية او في لسان الاشبانيول وتبعثها لي نعرفني بذلك
والسلام وكتب في من اكثر المحروسة في العاشر من شهر جمادى
الاول من عام ثلاثة وثلاثين والف سنة

خديم المقام العلي

احمد بن قاسم
الفقير الى الله به

رسالة أحمد بن قاسم الأندلسي الحجري إلى خوليوس

معلمة المغرب (*)

من تقديم : إبراهيم بوطالب

كلية الآداب ـ الرباط

أول ما يسترعي الانتباه من هذا العمل القيم، أنه يسد ثغرة من إنتاجنا الثقافي، إذ كنا نفتقر إلى حين صدوره، إلى انسيكلوبيديا مغربية تحيط بالشاذة والفاذة من شخصيتنا، لا أن أسلافنا من العلماء ـ رحمهم الله ـ لم يعتنوا بجمع المعلومات أو قصروا في وضع الطبقات على اختلاف مضامنها، وإنما لأن الفكر الأنسيكلوبيدي المعاصر، على شكل ما ورثناه من عصر الأنوار، يفيد التخلص من مضيق الذاكرة والتقليد والدغمائية للخروج إلى فسيح العقل والابتكار والنقد البناء، فكيف يمكن أن تهون لحظة مثل هذه تتم فيها قفزة نوعية تنقل الإبداع العلمي المغربي من مرحلة تولي حتماً إلى أخرى تشكل المعلمة المغربية إحدى ناراتها القويمة...

فماذا نجد في هذين المجلدين من حرف الهمزة من أمور ؟ ما أنا مكلف بعرضه أمامكم، لا على سبيل السرد الممل أو الجرد الذي لا يتسع له المقام، وإنما على سبيل الإيعاز والتشويق والاستئناس ببعض الأمثلة.

إننا نجد فيه الكثير مما قد يحتاج إليه عموم المثقفين أو طائفة الباحثين في ميادين اللغة والمجتمع والفنون والآداب والفكر والسياسة والتاريخ.

فبالنظر إلى اللسانيات، فلقد أدرجت بأعمدة هذين الجزأين مادة لغوية غزيرة متنوعة طريفة، وذلك على جانبين :

ـ أولهما جانب الطوبونيميا التي كثيراً ما يتعثر فيها الباحث في الاجتماعيات لانغلاق معنى الأعلام الجغرافية والتاريخية بسبب انعدام أداة تقرب من تلك الألغاز باللغة العربية، فيستحيل على الذي لا يعرف اللغة الأمازيغية استغلال دلالاتها، وعلى

(*) قاموس مرتب على حروف الهجاء، يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، يصدر عن الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

الذي يعرفها أن يتأكد منها أو أن يناقش المحتمل من ذلك، وأن يتدارك تلك الأعلام بالرعاية فيفحصها ويرسي مدلولها قبل أن يستعصي فهمها ويضيع أصلها مثلما حصل للعديد منها، مما علقت به نهائياً أو إلى حين، نقطة الاستفهام. ونستقرئ ذلك من مواد أبقّيو، أحنصال، أخمليش، الأطلنطي، أطلس، إچلي، إفران، أفوس، أكَدال، إكَروان. ولا يقف الأمر عند الطوبونيميا الأمازيغية، بطبيعة الحال، وإنما وقع الاعتناء أيضاً ببسط أصول القبائل العربية، وبمنتجعاتها فيما مضى وبمواطنها الراهنة مثل الاثيج والأحلاف وأشجع والأعشاش، وغيرها مما يبتدئ اسمه بالهمزة.

أما في باب الاجتماع، فإن القارئ يجد مادة وافرة مفيدة تقربه من معاني كثيرة من المفاهيم التي تتردد في مجالنا بكثرة لتجذرها فينا، مثل مفهوم ازرف، الذي كان قانون المعاملات لدى العديد من قبائل البلاد إلى عهد الحماية، ودون في الألواح أحياناً، على ما تأكد من ذلك بهذه المادة، إلى جانب المواد التي تشرح مفهوم الأسرة المغربية، أو معاني أغبال وإغرم وأفراكَ وأكَادير وأكَناو وأكَرام وأكَليد وأمغار، وقضايا حضارية مثل أكبار، القافلة الصحراوية الكبرى، والألعاب الأولمبية والمغرب، ومفهوم الأسكيا عند جيراننا السودانيين وأتاي وإزرزاين.

ونالت الفنون نصيبها وافياً مستوفى، سواء منها الفنون التشكيلية أو الموسيقية أو الأدبية، مما يبتدئ اسمه بحرف الهمزة، مع مقال أساسي للآثار بالمغرب ومقالات مركزة عن بعض المساجد مثل مسجد الأزهر بفاس أو بعض الأبواب مثل باب أكَناو بمراكش، ومقال مفصل عن الأسلحة القديمة، وآخر عن الأشلوبية في عالم ما قبل التاريخ.

أما الموسيقى فأخالني لا أبالغ إن قلت إن موادها جاءت مستجيبة تماماً لما ينبغي أن يعرفه عموم المثقفين من غير أصحاب الصناعة، عن الآلة الأندلسية أو عن الرقصات الأمازيغية مثل أحواش وأحدوس، وأيضاً عن النظم الأمازيغي من خلال مادتي أكَوال وأماركَ...

وورد الشيء الكثير في ميدان السياسة، مما يسترعي الانتباه لا من جهة غزارته وحسب، ولكن من جهة ما يدل عليه من خروج هذه المعلمة عن عادة السلف، - رحمهم الله - الذين كانوا يفضلون السكوت عن القضايا الحية، فإن القارئ يجد ها هنا ما ينير سبيله للوقوف على منطلقات وتطورات بعض التجمعات السياسية والنقابية والتعاضدية بالمغرب، مع معلومات عنها جديدة متصلة سهلة المنال، مثل الاتحاد

الاشتراكي للقوات الشعبية، والاتحاد الوطني للقوات الشعبية، والاتحاد العام للشغالين، والاتحاد المغربي للشغل، والاتحاد العام لطلبة المغرب، والاتحاد الوطني لطلبة المغرب، والاتحاد الوطني النسوي، وحزب الأحرار، وحزب الاستقلال، وحزب الإصلاح.

ويتصل بهذا الجنس من المعلومات ما يعرض في المعلمة للعلاقات الديبلوماسية بين المغرب وعدد من الجهات من المعمور مما يبتدئ اسمها بالهمزة، مع ذكر جذور تلك العلاقات في التاريخ، ونماذج ذلك توجد بمادة الاتحاد السوفياتي والمغرب، وإسبانيا والمغرب، وإفريقيا والمغرب، وألمانيا والمغرب، مما هو تاريخ حي يشهد على ما توجد عليه تلك الأمور حالاً، وينقلنا إلى الباب الأخير من هذه المعلمة، الذي هو في المنطق صلبها ولحامها وهو باب التاريخ الذي تدور المعلمة كلها عليه، حتى عندما يرمي البحث إلى إرساء ما لا يزال قابلاً للحركة والتحول، أليست الصيرورة هي القاعدة الخالية من كل استثناء ؟ وهل الحاضر إلا عبارة ومجاز ؟.

وحيث لا سبيل ولا داعي إلى ذكر كل ما ورد بهاذين الجزأين من باب التاريخ، فلنكتف بالإشارة إلى وفرة المواد، وإلى غزارتها وإلمامها بمخلتف الحقب التاريخية، في القديم والوسيط والحديث والمعاصر، وأيضاً بمختلف جهات البلاد، وبالقضايا الحضارية الكبرى قديماً وحديثاً، وبرجالاتنا في كل زمان ومكان، سواء منهم المسلمون أو اليهود، وكذا بالشخصيات الأجنبية التي كان لها دور في تاريخنا.

الأنشطة والتظاهرات العلمية بالكلية

1986 ـ 1990

إعداد : عمر أفا

كلية الآداب ـ الرباط

سبق لهيئة تحرير المجلة أن وعدت القراء الكرام ـ بعد تعذر إدراج ملف الأنشطة العلمية بصفة عادية في العدد الرابع عشر ـ بأنها ستقدم موجزاً لهذه الأنشطة في السنوات الجامعية الممتدة من سنة 1986 إلى الآن وتكتفي في هذا العدد بإدراج الأنشطة والتظاهرات العلمية الكبرى دون الأنشطة العادية التي تتم في إطار شعب الكلية وندرجها حسب التصنيف التالي :

الندوات الدولية والوطنية ـ الأيام الدراسية ـ المحاضرات والموائد المستديرة ـ الدورات التكوينية في المنهجية ـ المعارض ـ العروض المسرحية ـ محاضرات الأساتذة الأجانب المدعوين.

1 ـ الندوات الوطنية والدولية :

* الملتقى العلمي المغربي الهولندي الأول بتعاون مع جامعة ليدن الهلندية بتاريخ 6 ـ 13 أبريل 1986 (طبعت أعماله ضمن منشورات الكلية 1988 بالعربية والفرنسية).
* ندوة (الأدب الشعبي المغربي) بالاشتراك مع جمعية موظفي كلية الآداب بالرباط (11 ـ 1986/3/13) (طبعت أعمالها ضمن منشورات عكاظ 1989).
* ندوة (البحث الغربي حول المجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية) بتعاون مع مؤسسة كونراد أدناور الألمانية (15 ـ 1986/10/18) (طبعت ضمن أعمال ندوة ثلاثين سنة).

* ندوة ثلاثين سنة من البحث الجامعي بالمغرب (الحلقة الأولى : السوسيولوجيا ـ الجغرافيا ـ التاريخ ـ اللسانيات الاجتماعية) بالتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور بتاريخ 15 ـ 1986/12/18 (طبعت ضمن منشورات الكلية في أربعة أجزاء بالعربية والفرنسية : التاريخ ـ 1989 ـ الجغرافية البشرية 1989 ـ علم الاجتماع 1989 ـ اللسانيات الاجتماعية 1989).

* ندوة (الإسلام والتطورات العلمية الحديثة) بتنسيق مع شعبة الدراسات الإسلامية بتاريخ 20 ـ 1986/3/21 (طبعت أعمالها بنفس العنوان ضمن منشورات جمعية البحث في الآداب والعلوم الإنسانية 1989).

* ندوة (المقاربات العلمية للنص المغاربي)، بتنسيق مع شعبة اللغة الفرنسية وآدابها ـ 1986 (بالفرنسية).

* ندوة حول (العلاقات المغربية الأمريكية) بتعاون مع مركز البرامج الدولية لجامعة (ولد دومينيو) الأمريكية ـ 1986.

* ندوة تكريمية على شرف الدكتور أمجد الطرابلسي، بتعاون مع اتحاد كتاب المغرب 1987.

* ندوة (الشباب والمجتمع في العالم المعاصر)، بتعاون مع منتدى الفكر العربي ـ عمّان (20 ـ 1987/10/22).

* ندوة (العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية)، بتنسيق مع جمعية موظفي كلية الآداب بالرباط ـ 1987 (تحت الطبع ـ منشورات عكاظ 1990).

* ندوة (إطلالات على الاقتصاد الإسلامي)، بتنسيق مع شعبة الدراسات الإسلامية ـ 1987 (طبعت ضمن منشورات الكلية بعنوان : في الاقتصاد الإسلامي ـ 1989).

* ندوة جهوية حول (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية)، بتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ـ 1987.

* ندوة جمعية اتحاد اللسانيين المغاربة بتعاون مع نفس الجمعية 1987.

* الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، بتعاون مع جمعية اللسانيات بالمغرب ـ 1987.

* ندوة ثلاثين سنة من البحث الجامعي بالمغرب (الحلقة الثانية : الدراسات الأدبية) 1987.

* ندوة (يوم حطين)، بتعاون مع اتحاد المؤرخين العرب ـ 1987.

* الملتقى العلمي المغربي الهولندي الثاني، بتعاون مع الجامعات الهولندية 1988.
* ندوة (العلوم السلوكية والتطور الحضاري في البيئة الإسلامية)، بتنسيق مع شعبة الدراسات الإسلامية 1988.
* الندوة الدولية الثانية لجمعية اللسانيات بالمغرب (اللسانيات الإفريقية) بتعاون مع جمعية اللسانيات بالمغرب 11 ـ 14 اكتوبر 1988.
* الملتقى الفكري الأول لمدينة أسفي بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة أسفي 23 ـ 1988/6/25 (طبعت أعماله بمطبعة بابل بالرباط بعنوان : أسفي : دراسات تاريخية وحضارية 1989).
* الملتقى الجامعي المغربي الألماني الأول : العلاقات البشرية والثقافية، بتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور الألمانية ـ 21 ـ 24 نونبر 1988.
* ندوة (الطفل المغربي وإشكالية القراءة) بتعاون مع جمعية موظفي الكلية (22 ـ 1989/2/24).
* ندوة (الزكاة وانعكاساتها في المجالين الاجتماعي والاقتصادي)، بتنسيق مع شعبة الدراسات الإسلامية ـ 20 ـ 1989/3/22 (تحت الطبع).
* اللقاء الجامعي المغربي الألماني الثاني : (المغرب : المجال والمجتمع) بتعاون مع جامعة (باسو) بألمانيا الاتحادية ـ 24 ـ 27 أبريل 1989.
* الملتقى الفكري الثاني لمدينة آسفي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة آسفي 24 ـ 26 ماي 1989 وقد طبع في جزءين الجزء الأول بعنوان : آسفي دراسات جغرافية واجتماعية والثاني بعنوان : أبو محمد صالح : المناقب والتاريخ بالرباط 1990.
* ندوة (الأزمة والإصلاح والحياة اليومية بمغرب القرن 19م) بتنظيم مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفرد الأمريكية، وبمساهمة شعبة التاريخ بكلية الآداب بالرباط، وقد شارك فيها مجموعة من الباحثين الأمريكيين والمغاربة وكان حضور شعبة التاريخ بكلية الآداب ممثلاً في 6 أساتذة من مجموع 14. (في بوسطون : 25 ـ 26 ـ 1990/10) (تحت الطبع ـ مطبوعات جامعة هارفرد).

* الندوة الدولية حول : (الدراسات الألمانية بالمغرب العربي) بتعاون مع كل من (د.أ.أ. د) و (د.ف.ج) ومعهد جوته وسفارة النامسا بالمغرب (10/30/ ـ 1989/11/1).
* ندوة (التاريخ وأدب النوازل) ندوة تكريمية على شرف الأستاذ محمد زنيبر بتنسيق مع كل من الجمعية المغربية للبحث التاريخي وشعبة التاريخ (13 مساهمة) 16 دجنبر 1989 (تحت الطبع).
* ندوة (تاريخ المغرب الحديث : البنى الداخلية والعلاقات الخارجية). وهي ندوة تكريمية على شرف الأستاذ محمد حجي، بتعاون مع كل من شعبة التاريخ والجمعية المغربية للبحث التاريخي (9 ـ 1990/2/10).
* ندوة (الهوية الثقافية بالمغرب العربي) بتنسيق مع شعبة اللغة الفرنسية وآدابها (22 ـ 1990/2/24).
* ندوة (اللغة والطفل المغربي)، بتعاون مع جمعية موظفي كلية الآداب بالرباط (6 ـ 1990/3/9).
* ندوة (الإسلام والقضايا الصحية)، بتنسيق مع شعبة الدراسات الإسلامية، بتعاون مع كلية الطب والصيدلة، أيام : (15 ـ 1990/3/17) (36 مشاركاً).
* ندوة ثلاثين سنة من البحث الجامعي بالمغرب : (الفكر الفلسفي بالمغرب) (21 مساهمة) (15 ـ 1990/5/17).
* مناظرة (التاريخ واللسانيات)، بتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور الألمانية (مراكش 25 ـ 1990/5/27).
* الملتقى الفكري الثالث لمدينة أسفي بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة أسفي (25 ـ 1990/5/27).

2 ـ الأيام الدراسية :

* (هنري بوسكو والمغرب) بتنسيق مع شعبة اللغة الفرنسية وآدابها 1988.
* يوم دراسي حول (الإمام الشاطبي)، بتعاون مع جمعية البحث في الآداب والعلوم الإنسانية ـ (1988/12/21).
* أيام دراسية حول (الطفل المغربي وإشكالية القراءة) بتعاون مع جمعية موظفي كلية الآداب بالرباط (21 ـ 23 فبراير 1989).

* يوم دراسي حول : (الأسطوغرافيا والأزمة) بتعاون مع الجمعية المغربية للبحث التاريخي ـ 25 فبراير 1989. (تحت الطبع).
* الأيام (الجيومورفولوجية المغربية) الأولى، بتنسيق مع شعبة الجغرافية ـ 3 ـ 5 أبريل 1989.
* يوم دراسي حول : (القراء ودورهم في نشر الإسلام بالمغرب) بتعاون مع جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية (1990/4/5).

3 ـ **المحاضرات والموائد المستديرة :**

* مناظرات الأربعاء بتعاون مع جمعية البحث في الآداب والعلوم الإنسانية :
ـ (الإمام الشاطبي وعلم مقاصد الشريعة) 1988/11/23.
ـ دراسات حديثة في المنهجية التشريعية : القرآن والسنة (1988/11/24).
ـ بحوث ودراسات حديثة في المنهجية التشريعية : الإجماع والقياس (1988/11/25 «المحاضرات الثلاث ألقاها ذ.عبد المجيد التركي»).
ـ (في قضايا الفكر المغربي المعاصر)، ذ.محمد عياد، 1989/2/8.
ـ (المنطق الأكسيوماتي للعلوم الفزيائية)، ذ.محمد البغدادي 1989/1/25.
ـ (أصول الفقه والدرس اللساني) ذ.أحمد المتوكل 1989/2/22.
ـ (لماذا ساد التفسير الميكانيكي في القرن السابع عشر) ذ.سالم يفوت 1989/3/8.
ـ المضمون الثقافي في الغرب الإسلامي من خلال كتاب : (المدخل لصناعة المنطق) لابن طملوس ذ.عبد المجيد الصغير (1989/2/12).
* درس افتتاحي، بتنسيق مع شعبة الفلسفة : (تداخل العلوم ومفهوم الإنسان)، ذ.مبارك ربيع (1988/12/6).
* محاضرات في الثقافة والفكر الإسلاميين، بتنسيق مع شعبة الدراسات الإسلامية.
ـ (قيمة المعرفة البشرية وحدودها)، ذ.المهدي بن عبود (1988/12/2).
ـ (الفقه والاجتهاد في عصر الصحابة)، ذ.أحمد الريسوني (1988/12/16).
ـ (المذاهب الفقهية الأربعة وأصولها المنهجية) :
ـ (الإمامان أبو حنيفة ومالك)، ذ.محمد تائب البخاري 1989/1/5.
ـ (الإمامان الشافعي وأحمد) ذ. محمد تائب البخاري 89/1/6.
ـ (التناسق بين المنهجين التشريعي والتربوي في الإسلام)، ذ.محمد بلبشير (1989/1/13).

- (ظاهرة ابن حزم وإسهاماتها الأُصولية)، ذ.سعيد بن كروم (1989/1/20).
- (دور البنوك الإسلامية في استراتيجية شاملة للتنمية)، للدكتوران : أحمد البخاري ومنذر محق. (1989/1/24).
- (الاجتهاد في الشريعة الإسلامية)، ذ.محمد سدرة (1989/1/26).
- (الاجتهاد وضوابطه)، ذ.عبد الله لخضر (1989/1/27).
- (المنهج العقيدي ودوره في تطبيق الأحكام الشرعية)، ذ.محمد أمين الإسماعيلي (1989/2/3).
- (الاجتهاد بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي)، ذ.سعيد بلبشير (1989/2/10).
- (الدلالة عند الأُصوليين ومنهجهم الاستنباطي)، الأُستاذان : علي النمراوي ومحمد أمين الإسماعيلي (1989/2/17).
- (مقاصد الشريعة الإسلامية)، ذ.العربي بوسلهام (1989/2/23).
- مراكز الدراسات والأبحاث المهتمة بالعالم الإسلامي، ذ.محمد بربيش (1989/2/24).
- القواعد الفقهية (محاضرتان)، ذ.محمد الروكي (9 ـ 1989/3/10).
- (أهمية الوصية في التشريع الإسلامي)، ذ.عبد القادر العافية (1989/3/16).
- (المنهج الإسلامي في البناء والتعمير)، ذ.العربي بوعياد (1989/3/17).

* محاضرة عمومية : (الدراسات والأبحاث العربية في الاتحاد السوڤياتي)، بتعاون مع جمعية الصداقة المغربية السوڤياتية، ذ.ريبيا لكين ڤاليري (1989/5/17).
* محاضرة (التجربة الأُردنية في ميدان التعليم العالي)، للدكتور عبد السلام المجالي رئيس الجامعة الأُردنية (1989/4/5).
* محاضرات في الفكر والفقه والاقتصاد والطب، بتنسيق مع شعبة الدراسات الإسلامية.

أ ـ المحاضرات العمومية :

- (نقطة الانطلاق في التفكير)، ذ.المهدي بنعبود (1989/11/3).
- (القراءات القرآنية وأثرها في توجيه التفسير)، ذ.التهامي الراجي (1989/11/17).
- (المحبة والاتباع)، ذ.عيسى عبد الله بن مانع الحميري، نائب أوقاف دبي (1989/11/30).

- (العمل الشرعي ومراتب العقلانية)، ذ.طه عبد الرحمان (1989/12/8).
- (بين الإسلام وتراث المسلمين : نحو معيارية معرفية)، د.رشدي فكار (1989/12/15).
- (الفكر الإسلامي : التنوع في إطار الوحدة)، ذ.محمد بلبشير الحسني (1990/1/5).
- (إلى أين يسير العبث العلمي)، ذ.ادريس الخرشاف، ذ.محمد البيشوي (1990/1/19).
- (مكونات الأفكار الغربية في نهاية الحرب الباردة)، ذ.مارك سيفرز الملحق الثقافي الأمريكي بالمغرب ((1990/2/2).
- (خبر الآحاد وسبل الاحتجاج به)، ذ.محمد بن عبد الرحمان المفراوي (1990/2/16).

* ب ـ محاضرات متخصصة في إطار وحدات :

- وحدة القراءات القرآنية.
- وحدة الدراسات الفقهية الاقتصادية (17 مساهمة).
- وحدة الدراسات الإسلامية الطبية (4 مساهمات).

* محاضرة حول : (الكتابة في تاريخ المغرب)، ذ.فيكتور موراليس ليسكانو، من جامعة مدريد. (1989/11/16).
* محاضرة حول : (ترجمة الأدب العربي الحديث إلى اللغة الألمانية)، ذ.اسطفان فيلد، بتنسيق مع شعبة اللغة العربية وآدابها (1990/2/20).
* مائدة مستديرة حول موضوع : (جراحة التجميل والتعويض بين الطب والفقه)، بتنسيق مع شعبة الدراسات الإسلامية ومساهمة مجموعة من أساتذة الطب والفقه (1990/3/8).
* مائدة مستديرة حول (الآداب المغاربي).

Table RONDE, (8/12/89) Littérature maghrébine: perspectives comparatives avec la participation de:
M. Charles Bonn (U. Paris - XIII).
M. Abdellah M'darhri Alaoui (U. Mohammed V).
M. Abdellah Memmes (U. Mohammed V).
M. Marc Contard (U. Rennes - II).

4 ـ الدورات التكوينية في المنهجية :

عقدت هذه الدورات المنهجية في إطار التعاون بين كلية الآداب ومؤسسة كونراداديناور الألمانية شارك في كل منها مجموعة من 30 باحثاً ممن يقومون بإنجاز أبحاثهم الجامعية في إحدى تخصصات العلوم الإنسانية، وتقام هذه الدورات في إحدى المدن المغربية بإشراف الأساتذة الجامعيين المنتمين إلى إحدى التخصصات المذكورة. ويشتمل موضوع كل دورة على محورين المحور النظري الذي يكشف نوع العلاقات الرابطة بين التخصصات والعلوم الإنسانية. المحور التطبيقي الذي يهتم بتقنيات ومشاكل البحث المباشرة.

ونقدم فيما يلي لائحة هذه الدورات :

الدورة	التخصصات	المشرفون	المكان	التاريخ
الدورة 1	التاريخ الجغرافيا علم الاجتماع	أحمد التوفيق محمد الغوات المكي بنطاهر	المحمدية	19 ـ 1985/12/22
الدورة 2	الأدب الفرنسي الأدب العربي الفلسفة	عبد الله العلوي المدغري محمد مفتاح عبد الرحمان طه	الدار البيضاء	13 ـ 1986/3/16
الدورة 3	علم الاجتماع التاريخ الجغرافيا	المكي بنطاهر عبد الأحد السبتي امحمد بلفقيه	مراكش	17 ـ 1986/4/20
الدورة 4	اللسانيات الفلسفة التاريخ	أحمد المتوكل علي أومليل جرمان عياش	طنجة	10 ـ 1986/7/13
لدورة 5	اجتماع خاص بالأساتذة		القنيطرة	86/11/2-86/10/31

1987/2/1ـ87/1/30	المحمدية	أمجد الطرابلسي	الأدب	الدورة 6
		عبد الرحمن طه عبد القادر الفاسي الفهري	الإبستمولوجيا اللسانيات	
87/3/1ـ87/2/28ـ27	القنيطرة	محمد جسوس عبد اللطيف فضل الله أحمد الطريسي	علم الاجتماع الجغرافيا الأدب	الدورة 7
1987/4/19ـ17	الدار البيضاء	محمد زنيبر أحمد التوفيق حسني أطلس العلوي	التاريخ اللسانيات	الدورة 8
1988/2/14ـ11	القنيطرة	عبد السلام بومجد يل محمد القبلي عبد الفتاح كليطو	فلسفة إسلامية التاريخ أدب	الدورة 9
1988/7/3ـ6/30	الجديدة	سالم يفوت محمد وقيدي	الفلسفة	الدورة 10
1988/11/27ـ24	مراكش	فاروق حمادة عبد اللطيف بنشريفة	الدراسات الإسلامية الجغرافيا	الدورة 11

1988/12/11ـ9	مراكش		خاص بالأساتذة	الدورة 12
1989/3/12ـ9	القنيطرة	محمد المنصور محمد الكنوني	التاريخ الأدب	الدورة 13
1989/3/19ـ16	القنيطرة	التهامي الراجي أحمد اليابوري	الدراسات الإسلامية الأدب الحديث	الدورة 14
1989/6/11ـ8	مكناس	إبراهيم بوطالب علال الغازي	التاريخ الأدب	الدورة 15
1989/12/3ـ11/30	مراكش	جعفر الكتاني عبد الفتاح كليطو عبد الله المدغري العلوي	الأدب العربي الأدب الفرنسي	الدورة 16
1989/12/10ـ7	مراكش	أحمد الطريسي محمد مفتاح	الأدب العربي	الدورة 17
1990/2/4ـ1	مراكش	الفاسي الفهري عبد اللطيف فضل الله عبد الله العوينة	اللسانيات الجغرافيا	الدورة 18
1990/5/27ـ25	مراكش	عباس الجراري	الأدب العربي	الدورة 19

5 ـ المعارض :

* معرض الرسم للطلبة والموظفين الهواة بتعـاون مع جمعيـة موظفي كليـة الآداب (22ـ1989/2/24).
* معرض الفنون التشكيلية بتعاون مع جمعية موظفي كلية الآداب (6ـ1990/3/9).

6 ـ العروض المسرحية :

* عرض مسرحي لمجموعـة التنشيـط بتنسيـق مـع شعبـة اللغـة الفرنسيـة وآدابهـا (1989/3/16).

7 ـ المحاضرات التي ألقاها الأساتذة الزائرون

M. Arnold ROTHE, le roman marocain vu de l'extérieur, 14/10/88
M. André PETIT JEAN, le texte descriptif, 31/10/88.
Théorie du récit: application à une fable de la Fontaine, 1/11/88.
Le roman réaliste 3/11/88.
Institution littéraire et didactique.
L'enseignement de la littérature.
M. Daniel RIVET, Lyautey et l'Etat au Maroc, 6/12/88.
M. Pierre CARRIERE, L'expérience française en matière d'eau, 3-4/10/88.
Systèmes agro-territoriaux. Cas de l'URSS, de la Chine et de l'Algérie, 5/10/88.
M. Jean LECOZ, Socialisme et localité. Cas de l'Algérie, 6/10/88.
Mme. Luce Lopez BARALT, Huellas del Islam en la literatura española: de las jarchas a Goytisolo, 27/10/88.
La angustia secreta del exilio: el testimonio de un morisco de Tunez, 28/10/88.
Cervantes, 2/11/88.
M. Arturo ECHAVARRIA, Lenguaje y realidad en Jorge Luis Borges, 27/10/88.
Innovación en la poesia hispanoamerica: modernismo y ultra ismo, 2/11/88.
M. Michel DABENE, Eléments constitutifs de la compétence de lecture en langue seconde, 12/12/88.
Evaluation de la compétence, 13/12/88.
Le fonctionnement des textes: typologies, 14/12/88.
Le fonctionnement des textes: cohérence et progression, 15/12/88.
Les représentations de l'écrit, 16/12/88.
M. Alain GROSRICHARD, Psychanalyse et texte littéraire, 15,16,20,21/12/88.
M. Michel MURAT, L'analogie et ses réalisations linguistiques, 3/1/89.
L'image et le discours, 4/1/89.
Rimbaud n'est pas métaphorique, 5/1/89.

Rôle de l'analogie dans la description, 6/1/89.
De la sémantique à la pédagogie, 7/1/89.

M. Jean-yves POLLOK, Syntaxe comparée de la négation des adverbes et de quantification, 6/2/89.
Question de la phrase à temps fini: le impératives 7/2/89.
Syntaxe comparée de construction à extraction (groupe nominal), 9/2/89.
Phénomène d'isolement, 9/2/89.

M. Peter KIRSCH, Cultures dominées et leurs littératures, 9/2/89.
Les thèses de Norbert Elias et l'histoire de la littérature, 10/2/89.

M. Jacques DERRIDA, Nationalisme et internationalisme en philosophie, 13/2/89.
Politiques d'amitié, 14/2/89.

M. Hans Hinrich BIESTERFELD, Influences orientales dans l'œuvre du poète allemand A. Grafa von Platen, 10/3/89.

M. Theo BUCK, Tendances actuelles de la littérature allemande des années 80, 23/2/89.

Charles BONN, Sur le thème: Le mythe du héros dans le théâtre européen: le cas de Don Juan.

Georges BLEIBER, du 30/10 au 3/11/1989 sur les thèmes:
- La sémantique du plototype.
- Sur la définition sémantique d'un mot: Les sens uniques conduisent-ils à des impasses?
- Peut-on définir une catégorie de l'anaphore?

Jean - Claude BONNET, 20 - 23/11/89 sur les thèmes:
- Littérature et cinéma (II).
- L'homme de lettres et l'artiste au XVIIIe siècle (II).

Marc GONTARD, du 12/12/89 sur les thèmes:
- Les récits tangérois.
- Les récits féminins.
- La technique narrative dans "l'enfant du sable" et "la nuit sacrée"de Tahar BENJELLOUN.

Irène TAMBA-MECZ, sur les thèmes:
A - Conférence publique:
Figures, traduction et tradition (23/1/90).
B - Séminaire suivi:
Autour du sens figuré
1 - Dimension figurative de la relation partie - tout (22/01/90).
2 - Les "figures: descriptions rhétoriques et approches cognitives" (23/01/90).
3 - Deux types de communication: linguistique et littéraire (25/01/90).
4 - Désignation et figure (26/01/90).

كلمة شكر

تشكر هيئة التحرير السادة الأساتذة الذين ساهموا في قراءة أو مراجعة بعض المواد من ملف هذا العدد وهم :

محمد أديوان	مبارك ربيع
محمد برادة	المصطفى مولاي رشيد
بلكامل البيضاوية	محمد شقرون
عبد السلام بنعبد العالي	محمد الكنوني
محمد التويجري	محمد المصمودي
مصطفى حدية	المختار الهراس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ الرباط

رسائل وأطروحات جامعية : Théses et Memoires

- ☐ أحمد التوفيق : المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850 ـ 1912) طبعة جديدة، جزءان في مجلد واحد، 1983.
- ☐ نعيمة هراج التوزاني : الامناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894) مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب ـ يناير 1979.
- ☐ سعيد بنسعيد : دولة الخلافة، دراسة في التفكير السياسي عند الماوردي، 1980.
- ☐ سالم يفوت : مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر.
- ☐ عبد اللطيف الشاذلي : الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر، 1982.
- ☐ محمد مزين : فاس وباديتها (1549 م ـ 1637 م) جزءان، 1986.

- ☐ Abderrahmane Taha : Langue et Philosophie, essai sur les structures linguistiques de l'ontologie. Janvier 1979.
- ☐ Ali Oumlil : L'histoire et son discours, essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldoun, 1979.
- ☐ Abdellatif Bencherifa : Chtouka et Massa, étude de géographie agraire, 1980.
- ☐ Abdelkader Fassi Fehri : Linguistique arabe : forme et interprétation, 1982.
- ☐ Ahmed Moutaouakil : Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe, 1982.
- ☐ Aziza Bennani : Monde mental et monde romanesque de Carlos Fuentes, 1985.
- ☐ Larbi Mezzine : Le Tafilalt, Contribution à l'histoire du Maroc aux XVII^e^ et XVIII^e^ siècles, 1987.
- ☐ Hassan Benhalima : Petites Villes Traditionnelles et Mutations Socio-Economiques au Maroc, Le cas de Sefrou, 1987.

نصوص ووثائق : Textes documents

- ☐ محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ـ 1980.
- ☐ محمد بن تاويت : جهار مقالة (أربع مقالات مترجمة عن الفارسية) ـ 1982.
- ☐ أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، 1984.

ببيليوغرافيا : Bibliographie

□ محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب، جزءان : 1983؛ 1989.

□ لجنة من أساتذة الكلية : مرشد الباحثين في قواعد إعداد النصوص للطبع وتصحيحها، 1986.

□ لجنة من أساتذة الكلية : ببيليوغرافية الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب، 1990.

أعمال الندوات : Colloques

□ اللقاء المغربي الأول للسانيات والسيميائيات، عروض ومناقشات، 1979.

□ أعمال ندوة ابن رشد، 1981.

□ أعمال ندوة ابن خلدون، 1981.

□ أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية، 1985.

□ أعمال ندوة البحث اللساني والسيميائي، 1984.

□ أعمال ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن XIX، 1986.

□ أعمال ندوة المغرب وهولندة، دراسات في التاريخ والهجرة واللسانيات وسيميائيات الثقافة، 1988.

□ أعمال ندوة الإمام أبي حامد الغزالي، 1988.

□ أعمال ندوة العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، 1988.

□ أعمال ندوة في الاقتصاد الإسلامي، 1989.

□ أعمال ندوة ثلاثون سنة من البحث الجامعي بالمغرب :

الجزء الأول : السوسيولوجيا المغربية المعاصرة، حصيلة وتقييم 1988.

الجزء الثاني : البحث الجغرافي بالمغرب، تقويم أولي، 1989.

الجزء الثالث : البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، 1989.

الجزء الرابع : اللسانيات الاجتماعية (Langues et sociètè)، (باللغات الأجنبية) 1989.

□ Actes 6º colloque international de linguistique fonctionnelle S.I.L.F, 1979.

□ Le Maroc et la Hollande (deuxiéme rencontre Universitaire), 1990.

المجلات : Revues

□ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية : من العدد الأول 1977 إلى العدد الخامس عشر 1990.

□ Langues et littératures : du vol. I 1981 au vol. VIII 1989 – 90.

□ Héspéris Tamuda : du vol. I 1960 au vol. XXVIII 1990, vol de l'année 1921 (réedition).

مطبعة فضالة

الهاتف: 32.46.43 /32.46.45 (03)

المحمدية - المغرب

MAJALLAT KULLIAT AL ADAB

" Parution annuel "

Les opinions et la terminologie exprimées dans cette revue
n'engagent que leurs auteurs



مطبعة فضالة

المحمدية - المغرب

رقم الايداع بالخزانة العامة 1977/1

الرقم الدولي الموحد : 1160 — 0851